

كلية أصول الدين - قسم التفسير
وعلوم القرآن

الشیطان خطواته وغاياته

دراسة قرآنية موضوعية

رسالة ماجستير مقدمة لقسم التفسير وعلوم
القرآن
استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير بكلية أصول
الدين
في الجامعة الإسلامية بغزة

إعداد الطالب
وائل عمر علي بشير

إشراف الدكتور
عبد السلام حمدان اللوح

1426هـ - 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : (يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي
الْأَرْضِ خَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (البقرة : 168)

قال الله تعالى : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ
فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ) (فاطر: 6)

قال الله تعالى : (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ
فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سبا : 20)

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى والدَيَّ
العزيزين ، وإلى زوجتي الفاضلة ، وإلى أهلي
وإخوتي في الله ، وأخص بالإهداء العلماء والدعاة
القابضين على لواء هذا الدين ، المحاربين بكل
جهدهم كيد الشياطين ، الصابرين على إيذاء أولياء
الشيطان ، وأهديه إلى كل مسلم يطلب النجاة من
الشيطان ، والاعتصام بالرحمن .

شكر وتقدير

يقول الله تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... ﴾ ⁽¹⁾ ويقول عليه الصلاة والسلام : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " ⁽²⁾ ، فامتناناً لنعمة ربي ، واتباعاً لسنة نبيّ أتقدم بخالص الشكر لأستاذي الفاضل الدكتور عبد السلام اللوح الذي ما وفر جهداً في صحي وإرشادي وتقويم بحثي على طول فترة إشرافه عليه ، كما وأتقدم بجزيل الشكر للأستاذين الفاضلين المناقشين لهذا البحث : الدكتور رياض قاسم مناقشاً داخلياً ، والدكتور عبد السميع العرايب مناقشاً خارجياً على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث .

كما لا أنسى أن أشكر كلية أصول الدين عميداً وأعضاء هيئة تدريس وإداريين كما وأشكر الجامعة التي أتاحت لي فرصة الالتحاق ببرنامج الدراسات العليا وكذلك الدراسات العليا عميداً وإداريين والمكتبة التي سهلت لي الحصول على المراجع المطلوبة وكذلك مكتبة ابن كثير في دير البلح . ومن بعد أخص بالشكر كل من أعانني في كتابة هذا البحث وإخراجه بهذا الشكل ، وأبدأ شكري وامتناني وعرفاني بوالدي العزيز الذي لم يمنعه مرضه - ولو للحظة - عن تقديم كامل العون لي ، وأدعو الله له بالشفاء ، وبوالدتي الغالية التي قدمت لي الدعم والجهد ، كما أثنّي وأخص بخالص الشكر وجزيل الامتنان ساعدي الأيمن ، ونور عيني زوجتي التي أجهدت نهارها ، وأسهرت ليلها معي في كتابة البحث وكانت معي من الصابرات ، فجزاها الله عني كل خير وإلى أختي العزيزة نهى بشير . كما وأتقدم بالشكر الجزيل للأخ منير بشير الذي ساهم في إخراج هذا البحث ، والإخوة فايز أبو عمرة ، وأحمد أبو لبدة ،

¹ - سورة إبراهيم ، الآية 7 .

² - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - سنن الترمذي - كتاب البر والصلة عن رسول الله - باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك - ص 1848 - ح 1954 - قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وساهر جودة ، والأستاذ الفاضل محمد خلف الذي تكبد عناء تدقيق هذا البحث نحويًا وإملائيًا .

ولا أنسى أن أخص بالشكر الجزيل كل من مد لي يد العون والمساعدة سواء بالدعم المادي أو المعنوي أو العلمي ، وهم أكثر لا أستثني منهم أحداً .

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام، ونور دربنا بالإيمان، وأيدنا بالقرآن، هداانا إلى صراطه المستقيم، وأعزنا باتباع منهجه القويم، أظهر لنا طريق الحق وبينه وحذرنا من خطوات الشيطان وطرقه، لم يترك صراط الإيمان لكل مدع يلججه دونما امتحان، فأرسل الشياطين مزينين، مسؤولين، ليميز الخبيثاء من الطيبين والصلاة والسلام على خير ولد آدم ، النبي العربي الأمي الأمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد بن عبد الله ، الذي أمضى عمره في سبيل إعلاء الحق والتحذير من الباطل ، حول الله السماء لمقدمه رجوماً لألد أعدائه ، شياطين الجن المستترقين السمع، بل هدى على يديه نفراً منهم إلى الحق ليكونوا إلى قومهم منذرين. أما بعد :

فقد هداني الله بمنه، وعنايته، إلى اختيار موضوع قرآني ذي أهمية كبيرة لأهل زماننا الذي كثر فيهم الإنسلاخ من صراط هذا الدين، والسير في خطوات الشياطين، ولقد سمّيت هذا البحث (**الشیطان - خطواته - وغاياته - دراسة قرآنية موضوعية**) ، ولم يكن اختيار هذا الموضوع بدافع الكتابة، أو اللذة العلمية بقدر ما هو بدافع إفادة وكشف الحقائق المخفية ، فلقد عُيِّبَ القرآن وللأسف - عن الحكم على قضايا الناس ومسالكتهم ، فأصبح المنهج عندهم في كثير من الأحيان مشوشاً ، والرؤية غير واضحة ، فانجرفوا وراء شياطين الجن والإنس يتبعون خطواتهم ، ويحققون غاياتهم ، وهم في بعض هذا يجهلون أعداءهم ، ويغفلون عن خطوات الشياطين ، ولا يميزون بين شيطان الجن ، وشيطان الإنس بل لا يقيمون لشيطان الإنس وزناً ، ولأجل هذا وغيره كثير - مما سأبينه بعد قليل إن شاء الله - وقع اختياري بتوفيق الله لي على هذا البحث الذي أسأل الله أن يكون قيماً مفيداً يؤتي أكله ، ولقد وجدت كتاب الله قد تناول هذا الموضوع

بشكل شامل موسع كدأبه في مهمات الأمور فلقد وردت ألفاظ (شيطان ، شياطين ، إبليس ، الطاغوت) مائة وثمانين مرات ، متفرقة في هذا الكتاب العظيم ، ذلك فضلاً عن الآيات الكثيرة التي أشارت إلى هذه الألفاظ بالضمير الظاهر أو المضمّر ، وتلك التي تحدثت عن مضامين هذه الألفاظ .
وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يهديني في اختياري هذا سواء السبيل ، وأن يوفقني لتقديم صورة مرضية لمقصد القرآن من وراء هذا الموضوع والله الهادي إلى سواء السبيل .

الدراسات السابقة

هذا باب مهم يجب على كل باحث طرقه بقدر استطاعته؛
ليقف على جهود من سبقه من باحثين حول الموضوع الذي ينوي الكتابة فيه ، أو ما يشبهه ليكون هو في بحثه إما مكملًا ، أو مبيّنًا ، أو مجددًا ، أو مؤصلاً ومقعداً أو يأتي بالجدة الخاصة فيه - وإن كان هذا نادراً - ، ولقد بذلت وسعي وطاقتي للوقوف على ما كتب من أبحاث حول الموضوع الذي أنا بصدد الكتابة فيه فلم أجد فيما اطّلت عليه بحثاً يستوفي الأهداف التي من أجلها كتبت البحث ، ولقد بدأت البحث بمكتبة الجامعة ، ثم في بعض المكتبات العربية ، كمكتبة الملك فهد بالرياض ، وذلك عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) ، وانتهيت بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ولقد حصلت في النهاية على هذه القائمة من الأبحاث ولكنني للأسف لم أحصل على فهارس بعض الرسائل التي بدا عنوانها مشابهاً لعنوان رسالتي حيث أخبرني المركز بأنه لا يملك منها سوى العنوان فقط

- 1- محاورة إبليس مع الله في القرآن - جميلة محمد الجوهر - جامعة الكويت ، ولقد راسلت الجامعة المانحة للدرجة أكثر من مرة بواسطة البريد الإلكتروني للحصول على خطة الدراسة أو فهرسها فلم أحصل على جواب منهم .
مستوى الرسالة - ماجستير - تاريخ المناقشة -2000 .
- 2- مسالك الشيطان إلى بني الإنسان في ضوء القرآن والسنة - حورية دغيم بركات الديحاني- جامعة الكويت .
مستوى الرسالة - ماجستير - تاريخ المناقشة - 1999 ، ولقد راسلت الجامعة المانحة للدرجة أكثر من مرة بواسطة البريد الإلكتروني للحصول على خطة الدراسة أو فهرسها فلم

أحصل على جواب منهم ، مع ملاحظة أن هذا البحث يتناول جانباً صغيراً من مباحث رسالتي فهو يتحدث عن تلك المسالك ، أو الخطوات التي ينتهجها الشيطان في حربه ضد الإنسان ، وهذا مبحث في فصل في بحثي ثم إن الباحثة لجأت إلى توسيع نطاق البحث ليشمل السنة ، كي تغطي صغر حجم البحث وبذلك يخرج البحث عن كونه قرآنيّاً موضوعياً بحثاً كالبحث الذي أنا بصدد الكتابة فيه .

3- الإنسان والشيطان في القرآن الكريم - منير أحمد قاضي -
جامعة القاهرة كلية الآداب - قسم اللغة العربية وآدابها -
تاريخ المناقشة : 1971 م - مستوى الرسالة - ماجستير.
والناظر إلى عنوان هذا البحث للوهلة الأولى يظنه بحثاً مماثلاً للبحث الذي سأكتب ولكن بإلقاء نظرة فاحصة عليه يتبين لنا أن هذا البحث قد خرج من كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، أي هو بعيد عن الدراسة المتخصصة والتي يجب أن تخرج من كلية أصول الدين أو كلية الدراسات الإسلامية ، ويظهر أن هذا البحث ليس بحثاً موضوعياً بالمعنى الخاص بل يدخل في باب الدراسات الإسلامية ، ولقد حاولت مراراً الاتصال بالجامعة عن طريق بعض معارفي في مصر للحصول على معلومات حول الرسالة ، ولكنني فوجئت أن جامعة القاهرة ترفض تصوير أي ورقة من البحوث العلمية لديها .

4- عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم -
عبد المنعم بن حواس بن محمد الحواس - جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية . كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه - مستوى الرسالة - ماجستير -
تاريخ المناقشة - 1414هـ وقد راسلت الجامعة المانحة
لدرجة فلم أحصل منهم على أي معلومات حول الرسالة ،
وهذه الدراسة محصورة في جانب واحد هو العداوة .

وبالنظر في هذه الرسائل الأربعة ، ورغم تشابهها في العناوين ، إلا أن وجود بعضها لم يمنع من الكتابة في البعض الآخر ، وذلك أنه من الصعب أن نجد موضوعاً لم يُكتب في جانب من جوانبه .

الأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع

- تتلخص أهم أسباب اختيار هذا الموضوع فيما يلي :
- 1- حضور هذا الموضوع بشكل قوي ، وظاهر في القرآن الكريم ، فقد لفت انتباهي كثرة الآيات التي تحتوي على ألفاظ (شيطان ، شياطين ، إبليس ، طاغوت ، جن) فأردت أن أبرز هذا الموضوع القرآني من خلال هذه الآيات .
 - 2- الرغبة في تأصيل هذا الموضوع من وجهة نظر قرآنية خاصة حيث لم يتم تأصيله قرآنياً بحسب إطلاعي - وتبرز أهمية هذا التأصيل إذا أدركنا ما لهذا الموضوع من أهمية في زماننا حيث كثر أتباع الشياطين ، وكثرت مكائدهم بالمسلمين ، وقد وقفت في هذا الصدد على كلام قيم جداً للأستاذ الدكتور أحمد شلبي - أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - حيث يقول : "وبعد الكلام عن إسرائيل ، التي كانت سبباً رئيسياً في تمهيد الطريق لمبأة عبادة الشيطان ، بعد هذا نجىء بسبب آخر قوَّى هذه الفتنة وذلك هو إهمال الدراسات الإسلامية في المدارس الإسلامية والجامعات والأندية والمجتمعات وقد سبق أن قلنا : إن صوراً من الضلال ظهرت في عالمنا قبل الإسلام وبعده ، والفكر الإسلامي كان يتصدى لهذا الضلال ويقضي عليه ، ولكن الساحة الآن خالية تقريباً من الدراسات الإسلامية المستنيرة التي تجذب الشباب وتحرسه ، فمثل هذه الدراسات نضبت في البيت ، وفي وسائل الإعلام ، وفي المدرسة والجامعة والنادي ، ومن هنا لا عجب أن يستشري هذا الداء وأن نحتاج للقوى الفكرية لتحميننا منه " (1)
 - 3- استنشاء خطر الشياطين ، والطغاة في العالم اليوم ، واستحواذهم على كثير من أهل الإسلام الذين صاروا يتبعون خطوات الشياطين وغاياتهم دونما وعي أو تمييز .
 - 4- استهانة بعض الناس بالأثر الذي يحدثه شياطين الإنس ، والاعتقاد أن تولى كِبَر الغواية يكون لشياطين الجن ، فدفعني هذا إلى بيان خطورة شياطين الإنس ، وأنهم قد يفوقون شياطين الجن في الغواية والإضلال .

¹ - مجلة منبر الإسلام - شباب مصر وعبادة الشيطان - أحمد شلبي - العدد 11 - السنة 55 - ذو القعدة 1417 هـ .

5- عجز بعض الناس أمام الشيطان وجعله مبرراً لذنوبهم وأخطائهم ، دفعني لبيان وجهة النظر القرآنية في هذا الجانب ، حيث إن الشيطان ضعيف أمام المؤمن القوي .

أهداف البحث

- 1- إظهار المفهوم الحقيقي لكلمة (الشيطان) ، حيث يخلط كثير من الناس هذه الأيام بين مفهومها ومفهوم الجن مما يلغي جانباً كبيراً من ملكة التعرف على هؤلاء الشياطين وافتقاء شرورهم .
- 2- ظهر ما يسمى - عبدة الشيطان - في بلاد الإسلام ، فهدفت هنا إلى بيان أن عبادة الشيطان ليست هي التي صورتها تلك المجموعات الصغيرة ، بل إن كثيراً ممن حاربوهم هم واقعون في هذه العبادة .
- 3- إيضاح وإبراز الوسائل التي تتبعها الشياطين في إيقاع بني البشر في الغواية والضلالة وإظهار السبل التي تتبعها الشياطين في إبعاد الناس عن طريق الحق .
- 4- إبراز السلاح الرباني الذي أودعه الله في كتابه لمحاربة هذه الشياطين ، وتجنبها .
- 5- تعريف الناس بعدوهم الحقيقي ، ومدى شدة عداوته لهم .
- 6- بيان وإبراز أخطر غايات الشيطان التي يرمي إلى نشرها بين البشر ، والتحذير الشديد من هذه الغايات التي هي مفتاح الشر على الفرد ، والمجتمع على حد سواء .

منهج في البحث

- 1- جمعت الآيات التي وردت فيها لفظة الشيطان ونظائرها.
- 2- وضعت عنوان لكل مجموعة من الآيات التي تبحث في جزئية واحدة.
- 3- استخراج معاني لفظة الشيطان ونظائرها من كتب اللغة وبيّنت الصلة بين هذه الألفاظ المتقاربة، ثم ربطت بين هذه الألفاظ ، وبين الموضوع القرآني الذي بحثته.
- 4- تتبعت تفسير الآيات من كتب التفسير القديمة ، والحديثة قدر المستطاع .
- 5- بيّنت الأبعاد المعاصرة للآيات ، وذلك بما تتضمنه من إشارات ، وإيحاءات مرتبطة بحاجات ، ومشكلات العصر الحاضر .
- 6- استخلصت الدلالات ، والعبر ، واللطائف من الآيات ، وبيّنت موطن ووجه الاستدلال والتركيز على الدلالات ذات البعد الاجتماعي ، والإنساني .

- 7- اطلعت على الدراسات ، والأبحاث القرآنية التي لها صلة بموضوع الشيطان وخطواته وغاياته .
- 8- اطلعت على الدوريات ، والنشرات المعاصرة لإثراء هذا البحث ، وربطه بالواقع المؤلم الذي تعيشه هذه الأمة ؟ .
- 9- وثقت الآيات القرآنية الواردة في البحث .
- 10- خرّجت الأحاديث ، وحكمت عليها بما ورد عن العلماء المتخصصين .
- 11- عملت تراجم للأعلام غير المشهورة ، وكذلك عرّفت الأماكن الغربية ، ووثقت ذلك من المراجع المختصة .
- 12- وضعت فهرس عامة في نهاية البحث : للآيات ، والأحاديث ، والمراجع والموضوعات ، وذلك حسب الأصول .
- وتحقيقاً للأهداف والأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع ، وانطلاقاً من المنهجية السابقة قد جعلت بحثي مشتملاً على مقدمة ، وخمسة فصول ، وخاتمة .

المقدمة

وفيهما الدراسات السابقة والأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع ، وأهدافه والمنهجية التي اعتمدها، و خطة البحث .

الفصل الأول

الشیطان تعريفه ونظائره وصفاته

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف لفظة الشيطان ونظائرها لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : لفظة الشيطان ونظائرها في السياق القرآني .

المبحث الثالث : صفات الشياطين وأصنافهم .

الفصل الثاني

عداوة الشيطان وأولياؤه

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : العداوة بين الإنسان والشیطان

وفیه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الاستكبار والعلو أصل العداوة بين إبليس وآدم وذريته.

المطلب الثاني : عداوة الشيطان وذريته للبشر.

المطلب الثالث : الشيطان ألد أعداء الأنبياء .

المبحث الثاني : أولياء الشيطان

وفیه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ولاية الشيطان.

المطلب الثاني : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا والآخرة .

المطلب الثالث : أولياء الشيطان وصفاتهم .

الفصل الثالث

خطوات الشيطان

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الخطوات بين التعريف وبلاغة التعبير .

المبحث الثاني : وسائل الشيطان ومدخله إلى النفس .
وفیه مطلبان :

المطلب الأول : وسائل الشيطان في خطاب الإنسان

المطلب الثاني : مدخل الشيطان إلى النفس

المبحث الثالث : الخطوات المنهجية للشيطان

وفیه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تزيين العمل وتسويله

المطلب الثاني : الإنساء

المطلب الثالث : التمنية والإملاء

المطلب الرابع : التخويف من الفقر والموت

المطلب الخامس : النزغ والمسّ

الفصل الرابع

غايات الشيطان

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الغايات.

المبحث الثاني: غايات عامة.

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : السوء والفحشاء والمنكر.

المطلب الثاني : إيقاع الناس في الكفر.

المطلب الثالث : الصد عن سبيل الله .

المطلب الرابع : إبعاد أعدائه عن الجنة.

المبحث الثالث : غايات فرعية .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : إيقاع الناس في الكفر .

المطلب الثاني : إيقاع الناس في المحرمات.

المطلب الثالث : تمزيق المجتمع .

الفصل الخامس

عواقب اتباع الشيطان ووسائل محاربه

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : عواقب اتباع الشيطان

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : عواقب إتباع الشيطان في الدنيا .

المطلب الثاني : عواقب إتباع الشيطان في الآخرة .

المبحث الثاني : وسائل محاربة الشيطان .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وسائل الوقاية من خطوات

الشیطان وغاياته

المطلب الثاني : وسائل محاربة الشيطان وولايته.

الخاتمة

وفيه نتائج البحث والتوصيات .

الفهارس

وفيهما :

- 1- فهرس الآيات القرآنية .
- 2- فهرس الأحاديث النبوية .
- 3- فهرس المصادر والمراجع .
- 4- فهرس الموضوعات .

الفصل الأول

الشيطان تعريفه ونظائره وصفاته

وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف لفظه الشيطان ونظائرها

وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : تعريف لفظه الشيطان

المطلب الثاني : تعريف نظائر لفظه الشيطان

المبحث الثاني : لفظه الشيطان ونظائرها في السياق القرآني

المبحث الثالث : أصناف الشيطان وصفاته

وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : أصناف الشيطان

المطلب الثاني : صفات الشيطان

المبحث الأول

تعريف لفظة الشيطان ونظائرها

المطلب الأول : تعريف لفظة الشيطان :

أولاً : تعريفها لغة :

اختلف أهل اللغة في الأصل الذي يرجع إليه اشتقاق هذه الكلمة على قولين:

الأول : أنها ترجع في اشتقاقها إلى الجذر (شَطَنَ) .

الثاني : أنها ترجع إلى الجذر (شَيْطَ) .

وسنعرض إلى معاني هذين الجذرين عند أهل اللغة ، وذلك

فيما يلي :

1- الجذر الأول : (شَطَنَ) : الشَطَنَ الجبل الطويل

الشديد الفتل يستقى به ، وشَطَنَت الدار إذا بعدت ، وغزوة شطون أي بعيدة ، والشَطَن مصدر شَطَنه يشطنه إذا خالفه عن نيته ووجهه ، وبئر شَطُون إذا استقي ماؤها بحبلين لعوج فيها ، وحرب شَطُون عسرة شديدة ، ورمح شَطُون طويل أعوج ، وأشطن أبعد ، والشيطان كل عاتٍ متمرد من الإنس والجن والدواب ، والعرب تسمي الحية شيطاناً وقيل الحية ذو العرف القبيح ، ورؤوس الشياطين من النبات هو الشَّفَلح ينبت على سوق ، وتشيطان الرجل فهو شيطان وشياطن⁽¹⁾ .

2- الجذر الثاني : (شَيْطَ) : شاط الشيء شَيْطاً وشياطة

وشيطوطة ، احترق ، وشاطت القدر شيطاً احترقت ، وقيل احترقت ولصق بها الشيء ، وتَشَيْطَ الدم إذا علا بصاحبه ، وشاط دمه وبدمه وأشاط دمه وبدمه عَرَّضه للهلكة ، واشتاط غضبا التهب في غضبه ، وشاط الرجل هلك ، والإشاطة الإهلاك وفي حديث زيد بن حارثة أنه قاتل براءة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم⁽²⁾ ، أي هلك ، وشاطت الجزور إذا لم يبق فيها نصيب إلا قُسيم ،

¹ - انظر المعاجم التالية :

* معجم العين - للخليل بن أحمد الفراهيدي - ص 479 .

* مجمل اللغة - لابن فارس - ج 2 - ص 502 .

* المحيط في اللغة - للصاحب بن عباد - ج 7 - ص 304 .

* لسان العرب - لابن منظور - ج 13 - ص 237 .

* مختار الصحاح - للفخر الرازي - ص 338 .

* المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصبهاني - ص 261 .

* المصباح المنير - للفيومي - ص 142 .

² - أخرجه الحاكم في المستدرک - ج 3 - ص 237 - ح 4952 ، سكت عنه

الذهبي في التلخيص ، وأخرجه الطبراني في الكبير - ج 5 ص 84 - ح 4656 .

واستشباط الرجل من الأمر إذا خفَّ له واحتدَّ وتحرقَّ ،
والشیطان فعلان من شاط يشیط إذا هلك واحترق (1) .
ومن هذا العرض نخلص إلى أن (شطن) جذر مضطرد يدل
في أصل معناه على البعد ، و(شیط) أصل مضطرد يدل في
أصل معناه على الهلاك والبطلان .

والحق أن الخلاف في اشتقاق لفظة الشيطان من أحد
الجذرين ، إنما هو خلاف قديم وكبير بين أرباب اللغة ، كانت نشأته
مع نشأة مدرستي البصرة والكوفة في اللغة (2) ، فلقد ذهب
البصريون إلى ترجيح اشتقاقها من (شطن) ، في حين خالفهم
الكوفيون مرجحين اشتقاقها من (شیط) ، ولقد كان أكثر أهل
اللغة ، والمفسرون ممن جاء بعد نشأة المدرستين ، على رأي
أهل البصرة ، فلم يؤيد الرأي الثاني إلا القليل من المفسرين
وأهل اللغة .

ومهما يكن مرجع هذه اللفظة ، سواء أكانت من (شطن) ،
بمعنى بَعَدَ عن الحق والخير ، أو من (شیط) بمعنى احترق
وبطل ، فإن كلا المعنيين لصيق بمفهوم هذه اللفظة في اللغة
والشرع فهو البعيد دائماً وأبداً عن الحق والخير ، وهو الهالك
الباطل .

بين العربية وغيرها من اللغات :

المعلوم لدينا أن لفظة الشيطان تأخذ أشكالاً لغوية متقاربة
في لسان اللغات المنحدرة من أصول لاتينية ، وإغريقية ،
فالإنجليز يطلقون عليه لفظ (satan) ، وهي في لفظها شديدة
القرب من كلمة الشيطان ، وكذا الفرنسيون ، فهل أخذ العرب
هذه اللفظة عن ما سبقهم من اللغات اللاتينية والإغريقية ؟

إن كان الأمر كذلك فقد بطل كل ما قاله علماء اللغة من أن
أصل اشتقاقها من كلمات عربية المنشأ ، ولكن الأمر يتعلق
بأصول اللغات كلها بما فيها العربية – وهذا بحث يطول فيه
السجال في غير هذا الموضع – وأرى من المفيد أن نسوق كلاماً

1 - انظر :

* معجم العين – للخليل بن أحمد - ص 503 .
* مجمل اللغة – لابن فارس - ج 2 - ص 518 .
* المفردات – للراغب الأصبهاني - ص 261 .
* لسان العرب – لابن منظور - ج 7 - ص 337 .
* المصباح المنير – للفيومي - ص 142 .
* المحيط في اللغة – للصاحب بن عباد - ج 7 - ص 358 .
2 - انظر روح المعاني – للأوسى - ج 1 - ص 157

طیباً للأستاذ عباس محمود العقاد حیث یقول : " والآكد عندنا أن الكلمة أصیلة فی اللغة العربیة القدیمة فیها ، لا یبعد أن تكون أقدم من نظائرها فی اللغة البابیة ، ففیها مادة (شَطُّ) ، و (شوط) ، و (شاط) ، و (شطن) وفی هذه المواد معانی البعد والضلال والتلهّب والاحتراق ، وهی تستوعب أصول المعانی التي تُفهم من كلمة الشیطان جمیعها ، فالشطط من الغلّة والذي یدخل فی أخص خصائص الشیطنة ، والشطُّ بمعنی الجانب المقابل ، قد تلحظ فیة مقابلة الخیر بالشرّ من جانب الشیطان ، وشاط بمعنی احترق وتلف ، وأشاطه بمعنی أهلكه وأتلفه ، وانطلق شوطاً أي ابتعد واندفع فی مجراه ... وقد كان العرب یسمون الثعبان الكبیر بالشیطان ، وفی بعض التفسیرات أن هذا المعنی هو المقصود من (طلعتها كأنه رؤوس الشیاطین) ، وذكر الشراح الیهود المتأخرون أن الشیطان تمثّل لآدم فی صورة الحیة حیث أمره بالأكل من الثمرة المحرمة ، والعلاقة بین الشیطان والحیة لا تقف عند ذلك الحد ، وأخذ من سفر آیوب أن ما یذكره المؤرخون أن الشیطان كان معروفاً بین العرب من ذلك العهد الذي كان فیة خروج بنی إسرائيل من مصر ... ویرى بعض الغربیین أن الكلمة أصلها یونانی من كلمة diablos)) والتي تفید معنی الاعتراض والدخول بین الشیئين كما تفید معنی الوقیعة ، وأصلها فی الیونانیة من dia بمعنی أثناء ، و baline بمعنی یقذف أو یلقي ، ومعنی الكلمتین معاً قریب من معنی الاعتراض والدخول بین الشیئين ، وهو قریب من ثم إلى معنی الوقیعة ، وعندنا أن هذا التركیب أضعف من قول القائلین إن كلمة (devil) أي الشیطان فی اللغة الساكسونیة مأخوذة من فعل الشرّ do evil أي do بمعنی یفعل ، و evil بمعنی الشرّ ، وقد أجمع اللغویون والدیونیون علی نبذ هذه التراکیب مع أنه أقرب إلى صفة

الشیطان من الصفة التي توحى بها الكلمتان اليونانيتان بعد
التمحل والتكلف ... " (1)

ثانياً : تعريف لفظة الشيطان في مفهوم الشرع :

لم أَلجأ في بحثي هذا إلى التسمية والعنونة بالمعنى
الاصطلاحي ، فالاصطلاح كلمة تدل على خصوصية ارتضاها أهل
فن من الفنون أو علم من العلوم لكلمة ذات معنى عام ، أما هنا
فكلمات (شيطان ، طاغوت ، إبليس) إنما هي في معناها لا
تحمل اصطلاحاً عند قوم دون قوم بل هي باقية على معناها
اللغوي ، مع بعض القيود البسيطة أو الاحترازات الطفيفة التي
أضافها الشرع إلى بعضها ، وقد وقع تعريف لفظة الشيطان في
أكثر كتب اللغة على النحو التالي :

الشیطان : هو كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب .
وهذا تعريف صحيح ينطبق على مفهوم الشيطان في القديم
والحديث ، ولكني سأضيف إليه محترّرين كي ينطبق التعريف
تمام التتابع مع مفهوم هذه اللفظة كما وردت في كتاب الله عز
وجل ، وأول هذين المحترّرين هو تحديد الجهة التي يكون العتو
والتمرد عليها ، فقد يصدق أن تقول : تمرد الرجل على الباطل ،
فهل نعدّ هذا الرجل في هذه الحالة شيطاناً ! وأما المحترّز الثاني
فهو إلغاء كون الشيطان من الدواب ، وذلك من جهة نظر قرآنية
حيث لم ترد هذه اللفظة (شيطان) أبداً في كتاب الله بمعنى
الدّواب ، وعليه يكون التعريف الأدق
للشيطان هو : كل عاتٍ متمرد على أوامر الله من الجن
والإنس .

المطلب الثاني : تعريف نظائر لفظة الشيطان : أولاً: لفظة إبليس :

¹ - إبليس - لعباس العقاد - ص 38 ، 39 .

1- **لغة** : أبلس الرجل قُطِع به ، وأبلس سكت ، وأبلس من رحمة الله يئس وندم ومنه سُمِّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله وقيل : إبليس لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة ، والمبلس الساكت من الحزن أو الخوف ، والإبلاس الحيرة⁽¹⁾.

2- **في مفهوم الشرع** : لا يُوجد تعريف اصطلاحي لإبليس في الشرع ، إذ هو مخلوق معروف لدى الأديان الأخرى ، وهو رمزُ الشرِّ عند كل شعب من الشعوب ودين من الأديان وطائفة من الطوائف ، أما إذا أردنا أن نعرّف إبليس في هذا البحث ، فسيكون تعريفه تعريفاً وصفيّاً على ضوء المفهوم الشرعي ، وعليه نعرّف إبليس بأنه :

الجانّ الذي أبى السجود لآدم حين خلقه الله ، فاستحق لعنته ، وطُرد من جنته ، ووجبت له النار بعد إنظار الله له إلى يوم القيامة ، وأوتيت من وسائل الإغواء ما لم يُؤت أحد من العالمين .

ثانياً : تعريف لفظه الطاغوت :

1- **لغة** : الجذر (طَعَوَ) ، وكذلك (طغى) مثله ، فنقول : طغوت وطمغيت طغياناً وطمغواناً ، والمعنى : جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر ، وأطغاه المال : جعله طاغياً ، والطاغية : صيحة العذاب ، والبغي ، والكفر ، والطاغوت : الكهنة والشياطين ، وأصل وزنه طَغَيوت على فعلوت ثم قدّمت الياء قبل الغين محافظة على بقائها فصارت طَيغوت على وزن فعلوت ، ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت طاغوت ، والطاغوت كل رأس في الضلال ، والطاغوت يكون للأصنام ، والطاغوت يكون من الجن والإنس ، والطاغوت

1 - لسان العرب - لابن منظور - ج 6 - ص 29 - 30 -

رئيس النصارى ، والطاغية الجبار العنيد ، والطاغية الأحمق
المستكبر الظالم .⁽¹⁾

2- **في مفهوم الشرع** : تأتي الواو والتاء في ختام لفظة

طاغٍ لتزيد المعنى الذي تحمله هذه الكلمة شدة وقوة
واستمرارية ، فكيف إذا كان أصل الجذر يدل على مجاوزة الحد
، فإن هذه الكلمة بهذه الصيغة بالذات تثير في الذهن معنى
فظيحا من مجاوزة الحدود وبلوغ القمة في الظلم والجور
والعصيان ، والمتتبع لسياق ورود هذه الكلمة في كتاب الله
يجد أنها وردت في جميع مواضعها في مجال العبادة والطاعة
المطلقة والتحاكم ، وهذه أمور هي من أخص خصائص الله
سبحانه ، فكيف إذا صُرفت إلى من يسمون بالطواغيت ، بهذا
 نجد أن الطاغوت يحتل مرتبة هي أعلى من مجرد كونه متمرداً
أو عاتياً كما هو حال الشيطان ، بل هو في مرتبة تصل إلى قمة
الكفر والطغيان بحيث يجترئ على خصائص ألوهية الله
سبحانه حيث يدعو البشر لعبادته من دون الله ، فقد قال مالك
بن أنس : " الطاغوت كل ما يعبد من دون الله " ⁽²⁾ ، ولقد جاء
في بيان معنى الكفر بالطاغوت في قوله تعالى : **فَمَنْ
يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى** ⁽³⁾ : " أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه
الشیطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعبدته
وحده وشهد أن لا إله إلا هو فقد استمسك بالعروة الوثقى " ⁽⁴⁾

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نخرج بالتعريف التالي

للطاغوت في الشرع:

¹ - المرجع السابق - ج -15 - ص 7-9.

² - الدر المنثور - للسيوطي - ج 2 - ص 22

³ - سورة البقرة ، الآية 256

⁴ - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 1 - ص 312

الطاغوت : هو كل ذي طغيان على الله فعُيد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده ، إنساً كان ذلك المعبود أو جاناً .

وأخص مظاهر هذه العبودية أن ينصب شيطان الجن أو الإنسان نفسه حاكماً من دون الله يشرّع للبشر قوانين الكفر والضلال ، يقول تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾** (1) .

¹ - سورة النساء ، الآية 60 .

المبحث الثاني لفظة الشيطان ونظائرها في السياق القرآني

أولاً : لفظة الشيطان في السياق القرآني:

لقد وردت لفظة الشيطان وتصريفاتها المختلفة (شيطاناً ، شياطين ، شياطينهم)⁽¹⁾ (ثماني وثمانين مرة) ، منها تسع وستون مرة معرفة بـ (ال) أو بالوصف ، ومرة واحدة بلفظة (شيطاناً) نكرة ، وثمانية عشرة مرة بلفظة (شياطين) معرفة بـ (ال) أو بالإضافة .

أما على صعيد المكي والمدني من السور ، فلقد وردت لفظة الشيطان واشتقاقها ثلاثاً وخمسين مرة في ثانيا السور المكية ، وخمسةً وثلاثين مرة في السور المدنية . وقد وردت هذه اللفظة وتصريفاتها في ثانيا ست وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم احتلت السور الواقعة في أول المصحف العثماني القدر الأكبر منها فأخذت البقرة ، والنساء ، والأعراف ثماني لفظات لكل سورة ، ثم تلتها في الترتيب الأنعام بست لفظات ، ثم الإسراء ، ومريم بخمس لفظات لكل سورة ، ثم الحج ، والمجادلة بأربع لفظات لكل سورة ، ثم آل عمران ، ويوسف بثلاث لفظات لكل سورة ، ثم المائدة ، والأنفال ، والنحل ، والنور ، والصفاء ، وص والزخرف ، والشعراء بلفظتين لكل سورة ، ثم إبراهيم ، والحجر ، والكهف ، وطه ، والفرقان ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، ولقمان ، وفاطر ، ويس ، وفصلت ، ومحمد ، والحشر ، والتكوير ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والملك بلفظة واحدة لكل سورة .

ثانياً : لفظة الطاغوت في السياق القرآني :

¹ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد بعد الباقي - ص 485

وردت لفظة (طاغوت) على صورة واحدة وهي : صيغة الإفراد في كتاب الله عز وجل (1) ثماني مرات . وقد وردت هذه اللفظة في السور المكية مرتين فقط ، أما الألفاظ الست الباقية فجاءت في السور المدنية . أما السور التي وردت فيها هذه اللفظة فخمس ، أخذت سورة النساء أكبر نصيب من هذه اللفظة فوردت فيها ثلاث مرات ، ثم تلتها سورة البقرة بلفظتين ، ثم المائدة ، والنحل ، والزمر بمرة واحدة .

ثالثاً : لفظة إبليس في السياق القرآني :

وردت لفظة (إبليس) في سياق آيات الكتاب العزيز على هيئة واحدة ، وكان ورودها أحد عشر مرة باللفظ الصريح ، ومرة واحدة بصفته (السفیه) كما أجمع على ذلك أهل التأويل (2)

وقد أخذت السور المكية النصيب الأعظم من هذه اللفظة فوردت إحدى عشرة مرة فيها ، وبقيت لفظة واحدة لسورة مدنية واحدة .

أما عدد السور التي وردت فيها هذه اللفظة فعشر سور وهي : سورة الحجر ، وص حيث احتوت كل منهما على لفظتين ، ثم تلتها سورة البقرة ، والأعراف ، والإسراء ، والكهف ، وطه ، والشعراء ، وسبأ ، والجن بمرة واحد لكل سورة .

لطائف مستنبطة مما سبق :

يمكننا استنباط بعض المعاني ، واللطائف من الإحصائيات السابقة حول ورود لفظة الشيطان ونظائرها في كتاب الله وذلك على النحو التالي :

- 1- وردت ألفاظ (شيطان ، إبليس ، طاغوت) بمجموعها مائة وثمانين مرات موزعة بين آيات وسور هذا الكتاب المنير ، وهذا العدد يدل على أهمية هذه القضية للبشر ، ذلك أن هذا القرآن هو كتاب هداية وإرشاد ، والشيطان هو عنصر ضلال وإضلال ، فوجب التحذير منه وبيان حقيقته .
- 2- ورود هذه الألفاظ في السور المكية (66 مرة) أكثر منه في السور المدنية (42 مرة) دليل على اتخاذ هذا الموضوع أهمية أكبر في العهد المكي للدعوة ، حيث جاء القرآن على

¹ - المرجع السابق - ص 541
² - أنظر: جامع البيان - للطبري - ج 29 - ص 107 و تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 4 - ص 429 .

قوم جاهليين تمكن منهم الشيطان ، واستحوذ عليهم ، وليس أدل على ذلك من واقعهم القائم على الكفر ، بحيث لم يبق إلا عدة نفر على دين التوحيد في الجزيرة ، فكان لزاماً أن يبين لهم القرآن خطر هذا الشيطان ، ويوضح لهم خطواته وغاياته .

3- لم يُذكر إبليس في السور المدنية إلا مرة واحدة ، وكان ذكره في القرآن المكي هو الأغلب ، وهذا باب عظيم من حسن الوعظ حيث يُذكر القرآن الناس بمنشأ الشياطين وقبح صفاتهم المتمثلة في إبليس عليه لعنة الله ، ويذكرهم بقبح صنيعه مع أبيهم آدم عليه السلام ، ويبين لهم العداوة القائمة أبداً بينهم وبينه ، ليكون ذلك حافزاً على التنفير من اتباعه ، فكان ذكره بشكل مكثف في السور المكية يناسب حال الناس مع الشيطان في ذلك الزمان ، أما لما تجلت حقيقة إبليس وموقفه من آدم عليه السلام وعُرف ذلك للقاصي والداني ، لم يكن هناك حاجة لذكره في العهد المدني إلا على سبيل الإغذار والتذكير فورد مرة واحدة في سورة البقرة .

4- في حين كانت ألفاظ (شيطان ، إبليس) ترد بشكل أكبر في السور المكية ، لاحظنا أن لفظة (طاغوت) وردت في السور المدنية ثلاثة أضعاف ورودها في السور المكية ، فلماذا ؟

عرفنا أن الطاغوت هو مرتبة عليا في الكفر والطغيان يفوق الشيطان في الإجرام ، وهذا النوع من الشياطين لم يكن بارز الظهور في العهد المكي حيث سذاجة العقول وجهالة الأحلام ، أما في المدينة فقد ظهر اليهود بمكرهم وخبثهم وتجرئهم على الله ، مع من اتبعهم من المنافقين ، فظهر التجرؤ على خصائص الألوهية من صرف العبادة ، والحكم فكانت الحرب على هؤلاء في المدينة أقوى وأعتى .

5- خلو سورة التوبة - على طولها - من هذه الألفاظ إشارة على ضعف وبطلان الشياطين ، وعدم صمودهم أمام الحق ، لا سيما ذلك الحق القوي بالفاظه ، القوي بمعانيه ، الشديد على الباطل ، والذي تمثل في سورة التوبة ، ففرت منها الشياطين خوفاً وفرقاً .

المبحث الثالث

أصناف الشيطان وصفاته

المطلب الأول : أصناف الشيطان :

لقد علمنا مما سبق أن الشيطان لا يقتصر وجوده على جنس معين من المخلوقات ، فهو من الجن كما أنه من الإنس أيضاً ، وعلى ذلك - وبناءً على ما ورد من آيات قرآنية - فإن الشيطان يكون من هذين الجنسين المكلفين (الثقلين) وبظهر هذا جلياً في قوله تعالى : **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾** ⁽¹⁾ قال قتادة : " من الجن شياطين ومن الإنس شياطين ، يوحى بعضهم إلى بعض . وقال : بلغني أن أبا ذر كان يوماً يصلي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (تعوذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن) . فقال : أو إنَّ من الإنس شياطين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم) ² .

وقد ذهب البعض إلى أن ما ورد في الآية لا يعني أبداً وجود شياطين من الإنس بل المقصود بقوله تعالى (شياطين الإنس والجن) ⁽³⁾ أي أن مع كل إنسي شيطان من الجن ، ومع كل جنى شيطان من الجن ، وقد حُكي هذا القول عن عكرمة ⁽⁴⁾

1 - سورة الأنعام ، الآية 112 .

2 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - سنن النسائي - كتاب الاستعاذة - باب : الاستعاذة من شر شياطين الإنس - ص 20440 - ح 5509 .

3 - سورة الأنعام ، الآية 112 .

4 -3 هو عكرمة مولى ابن عباس كان عبداً لعبدالله بن عباس فمات رضي الله عنه فورثه ابنه علي بن عبد الله فباعه من خالد بن يزيد بأربعة آلاف دينار فأتى عكرمة علياً فقال ما خير لك بعثت علم أهلك بأربعة آلاف دينار فاستقاله خالد وأعتقه وكان يكنى أبا عبد الله عالماً بالقرآن ومعانيه وتوفي سنة خمس ومائة- طبقات المفسرين - للداودي - ج 1 - ص 12 .

والضحاک⁽¹⁾ والسدّي⁽²⁾ والكلبي⁽³⁾، وقد استندوا على حديث رواه ابن عباس في تفسير هذه الآية حيث قال: "مع كل جني شیطان، ومع كل إنسي شیطان، فيلقى أحدهما الآخر فيقول: إني قد أضللت صاحبي بكذا فأضلّ صاحبك بمثله، ويقول الآخر مثل ذلك، فهذا وحي بعضهم إلى بعض وهذا الحديث في إسناده ضعف"⁽⁴⁾

وقد رد الإمام ابن جریر الطبري على هذا التأويل عند تفسير هذه الآية بكلام طويل نذكر طرفاً منه: "جعل عكرمة والسدّي في تأويلهما هذا الذي ذكرت عنهما عدوّ الأنبياء الذي ذكرهم الله في قوله: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا**"⁽⁵⁾ أولاد إبليس دون أولاد آدم ودون الجن، وجعل الموصوفين بأنهم بعضهم يوحى إلى بعض زخرف القول غروراً، ولد إبليس، وأن من مع ابن آدم من ولد إبليس يوحى إلى من مع الجن من ولده زخرف القول غروراً، وليس لهذا التأويل وجه مفهوم، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم، فكل ولده لكل ولده عدو، ولقد خص الله في هذه الآية الخبر عن الأنبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداء، فلو كان معنياً بذلك الشياطين الذي ذكرهم السدّي، الذي هم ولد إبليس، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم أنهم جعل لهم الشياطين أعداء وجه. وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه مثل الذي جعل لهم، ولكن ذلك كالذي قلنا من أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدواً يوحى بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به"⁽⁶⁾.

1 - الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير مات بخراسان سنة أربع ومائة بالمدينة - طبقات المفسرين - للداودي - ج 1 - ص 10 .
2 - السدي الكوفي المشهور المفسر كان عالماً بالتفسير وكانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائة - طبقات المفسرين - الداودي ج 1/ص 15
3 - هو محمد بن السائب بن بشر وقيل مبشر بن عمرو أبو النصر الكلبي الكوفي صاحب التفسير وكان إماماً في التفسير وكان من أصحاب عبد الله بن سبأ وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق وسكن الكلبي دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي توفي سنة ست وأربعين ومائة - طبقات المفسرين - الداودي ج 1- ص 17.
4 - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ج 7 - ص 66
5 - سورة الأنعام، الآية 112
6 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 9

أما القول الأول - الذي يجعل الشياطين من الجن والإنس على السواء - فقد رجحه أكثر المفسرين ، وهو الظاهر والأولى من الآية ، حيث ذهب إليه الطبري وابن كثير ، وابن عطية في تفاسيرهم وحسبنا بهؤلاء الأعلام الأفاضل حجة لنا على هذا القول . أما إذا أردنا أن نتلمّس مقصدنا في إثبات هذا المذهب من آيات الكتاب العزيز ، فهذا ظاهر في آخر سورة حيث يثبت فيها الحق سبحانه أن الوسواس الخناس - الذي هو الشيطان بلا نزاع في معناه - هو من الجنة كما هو من الناس على حد سواء : **مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** (1) .

ومن هؤلاء الشياطين إنسهم وجنهم تنبثق زمر من الشياطين المتخصصة بصفة من الصفات ومهمة من مهام الإغواء والإضلال ، وها هي تلك الأصناف كما وردت في سياق آيات الحق سبحانه وتعالى :

أولاً : مردة الشياطين :

(مَرَدٌ) : المارد : العاتي ، وتمرد : أقبل وعتى ، وقال ابن الأعرابي (2) المرّد : التناول بالكبر والمعاصي ، والمريد : الخبيث المتمرد الشرير (3) .

وهذه المعاني بمجملها تصدق على مجموعة من الشياطين اتصفت بالعتو وتجاوز الحد في المعصية وإن كانت تشترك مع بقية الشياطين في أصل الكفر بالله والتمرد على أوامره ، ولكن هنا زيادة في التمرد والعصيان ولذلك فقد استحق رأس الشياطين إبليس عليه لعنة الله هذه الصفة حيث يقول رب العزة : **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا** (4) .

ولربما يسأل سائل هنا عن فائدة وصف الشيطان بالمريد إن كان معنى المرّد هو مجاوزة الحد في المعصية وهو ما يحمله معنى الشيطان ؟

والجواب يكمن في أن المرّد هو درجة متقدمة على

الشیطان ، فالشیطان هو البعيد عن الحق ، أما المرید فذو البعد

¹ - سورة الناس ، الآيات 4 - 6 .

² - هو : محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي أبو عبد الله ، علامة باللغة ، من أهل الكوفة ، توفي سنة 231 هـ - الأعلام - للزركلي - ج 6 - ص 131 .

³ - لسان العرب - لابن منظور - ج 3 - 400

⁴ - سورة النساء ، الآية 117

الكامل التام عن الحق ، يقول الرازي : " أما المرید فهو المبالغ في العصیان الكامل في البعد من الطاعة ويقال له : مارد ومرید ، قال الزجاج : يقال حائط ممرّد أي مملّس ، ويقال شجرة مرداء إذا تناثر ورقها ، والذي لم تنبت له لحية يقال له أمرد لكون موضع اللحية أملس ، فمن كان شديد البعد عن الطاعة يقال له مرید ومارد لأنه مُملّس عن طاعة الله لم يلتصق به من هذه الطاعة شيء " (1) . ومن كان أمرداً عن الحق والخير فهو متجرد للشر والضّرّ ، يقول ابن عطية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ (2) : " والمارد المتجرد ومنه شجرة مرداء لا ورق عليها " (3) .

ومن تتبع أقوال المفسرين في أصل معنى المارد والمرید من الشياطين نجد أنه يرجع إلى معنيين :

- 1- التجرد للشر .
- 2- البعد عن الخير تشبيهاً له بالأملس الذي لا يعلق به شيء . وقد زاد البعض معنى ثالثاً فقالوا : " هو من ظهور الذقن بعد ذهاب الشعر أو ظهور عيدان الشجر بعد سقوط الورق وهذا المعنى يتفق مع مراد تشبيه الشيطان بالأمرد فالمقصود من هذا التشبيه هو ذهاب الخير عنه من جهة كذهاب الشعر وورق الشجر عن الذقن والشجر ، وهما اللذان يشكّان الخير لأصلهما اللذان هما عليه ، ومن جهة أخرى بقاء الأصل بلا خير فعلاهما الشر ، كحال الذقن بلا شعر والشجرة بلا ورق " (4) .

ثانياً : الطاغوت :

1 - التفسير الكبير - للرازي - م 6 - ج 11 - ص 36

2 - سورة الصافات ، الآية 7

3 - المحرر الوجيز - لابن عطية - ج 4 - ص 466

4 - روح المعاني - للألوسي - ج 5 - ص 218

لم يكن حديثنا عن المارد ووصفه بتلك الشرور ليوصد الباب تماماً أمام استنشادة الشيطان في الشر والغواية والإضلال ، فلإن كان المارد مُملساً عن الخير مجرداً للشر فإن هناك من الشياطين من جاوز هذا الوصف ، فبالإضافة إلى البعد التام الكامل عن الخير ، وإلى التجرد التام للشر والإضلال ، فقد تجرأ هذا الصنف زوراً وبهتاناً على أخص خصائص الألوهية والربوبية بتنصيب نفسه معبوداً من دون الله ، وهذا الصنف هو الطاغوت الذي ورد ذكره في كتاب الله ثماني مرات كلها في سياق العبودية لله والتبرؤ من هذا الشيطان المتأله .

وقد عرّف الإمام الطبري الطاغوت تعريفاً جامعاً حيث يقول : " والصواب من القول عندي في الطاغوت : أنه كل ذي طغيان على الله فعُبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، إنساناً كان ذلك المعبود ، أو شيطاناً ، أو وثناً ، أو صنماً ، أو كائناً ما كان من شيء " (1) .

وقد عرّفه ابن القيم رحمه الله بأنه : " ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع " (2) ، وهذا تعريف عام يحتاج إلى بعض الدقة كي يكون جامعاً مانعاً وهذا ما اقترب منه الإمام الطبري ، حيث إن تعريفه يعرض عليه إشكال إذ إنه جعل الأصنام والأوثان من الطواغيت مع أنها أحجار لا حول لها ولا قوة ولا ينطبق عليها بأي حال معنى الطغيان ومجاوزة الحد ، نعم هي عُبدت وما زالت تُعبد من دون الله ، ولكن هذه العبادة لها لا تجعلها من الطواغيت بل هي باطل بوصفها هذا ، وإن شئت فقل هي جبت كما وصفها رب العزة في قوله تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِثِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾** (3) ، ففي هذه الآية دليل على خصوصية

1 - جامع البيان - للطبري - م 3 - ج 3 - ص 27

2 - التفسير المنير - ج 3 - ص 26

3 - سورة النساء ، الآية 51

الطاغوت بالجن والإنس دون الوثن ، فلو كان الطاغوت جامعاً للمكلفين وغيرهم من الجمادات لاكتفى رب العزة بذكرها دون الجبت ، ولما كان لذكر الجبت بعد الطاغوت فائدة ، ذلك أن معنى الجبت يتعدى المكلفين إلى الجمادات والأمور المعنوية ، فهذا ابن الخطاب رضي الله عنه يعرف لنا الجبت والطاغوت فيقول : " الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، " (1) والسحر معنى غير عاقل ، وقد ورد عن ابن عباس : " الجبت : الشرك ، وعنه الجبت الأصنام " ، أما الطاغوت فلم يخرج تأويله عند أهل التفسير عن كونه إما الشيطان على العموم ، أو أحداً من الناس على الخصوص كما ورد عن ابن عباس " الطاغوت : كعب بن الأشرف (2) ، والجبت : حَيِّ بن أخطب " (3) .

وبناءً على ما سبق يكون تعريف الطاغوت على ما اخترناه في بداية هذا الفصل .

والمتتبع لمواضع ورود لفظة الطاغوت في القرآن الكريم يجدها تأتي في سياق العبادة والإيمان ، فهذه آية البقرة تعلن أن الإيمان بالله يستلزم التبرؤ من الطاغوت ومن عبادته **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (4) .

1 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 4 - ص 512

2 - هو : كعب بن الأشرف الطائي ، من بني نبهان : شاعر جاهلي كانت أمه من بني النضير فدّان باليهودية وكان سيّداً في أخواله ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وهو من أكثر من هجوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحرص القبائل عليهم بإيذائهم ، خرج إلى مكة بعد بدر ، فندب قتلى قريش فيها ، وحضّ على الأخذ بثأرهم ، وعاد إلى المدينة ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة السنة الثالثة للهجرة - الأعلام للزركلي - ج 5 - ص 225 .

3 - هو حَيِّ بن أخطب النضري ، جاهلي من الأشداء العتاة ، أدرك الإسلام وآذى المسلمين فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه سنة خمسة للهجرة - المرجع السابق - ج 2 - ص 292 ، جامع البيان - للطبري م 4 - ج 5 - ص 177

4 - سورة البقرة ، الآية 256 .

يقول الألوسي : " الطاغوت أي الشيطان ، وهو المروي عن عمر بن الخطاب ، والحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم - كذا قاله مجاهد وقتادة - وعن سعيد بن جبير وعكرمة أنه الكاهن ، وعن أبي العالية أنه الساحر ، وعن مالك بن أنس : كل ما عبد من دون الله تعالى ، وعن بعضهم الأصنام ، والأولى أن يقال بعموم سائر ما يطغى ، ويجعل الاقتصار على بعض في تلك الأقوال من باب التمثيل " (1) ، يقول ابن كثير رحمه الله : " ومعنى قوله في الطاغوت (إنه الشيطان) قوي جداً ، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية ، من عبادة الأوثان ، والتحاكم إليها ، والاستنصار بها " (2) ، ولا يقصد ابن كثير في قوله (عبادة الأوثان) الأصنام منها وإلا لما قال عاطفاً عليها (والتحاكم إليها) فالتحاكم لا يكون لجماد بل هو لشياطين الإنس وأسيادهم من الجن ، وقد ورد ذكر الطاغوت بأنه الأصنام في كثير من كتب التفسير دون عزو واضح أو قوي فهذا الألوسي يقول فيه " وعن بعضهم " دون تحديد مَنْ هذا البعض ، وهذا ابن عطية يقول : " وقال قوم (الطاغوت) : الأصنام " (3) فهو أيضاً يعزو هذا الرأي إلى قوم ونرى الفيروزابادي يجمع كل ما ورد في الطاغوت فيقول : " الطاغوت : اللات والعزى ، والكاهن ، والشيطان ، وكل رأس ضلال ، والأصنام ، وكل ما عُبد من دون الله ، ومردة أهل الكتاب " (4) ، أما حين يُذكر معنى الطاغوت بأنه الشيطان فتجد العزو قوياً وكثيراً وموثقاً ، فهذا الطبري ينقل هذا الرأي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعن مجاهد والشعبي والضحاك وقتادة والسدّي (5) ، ويتكرر هذا العزو المتين عند سائر المفسرين .

أنواع الطاغوت :

1 - روح المعاني - للألوسي - ج 3 - ص 21
 2 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 2 - ص 447
 3 - المحرر الوجيز - لابن عطية - ج 1 - ص 344
 4 - بصائر ذوي التمييز - للفيروزابادي - ج 3 - ص 509
 5 - جامع البيان - للطبري - م 3 - ج 3 - ص 26

الطواغيت كثيرة لا حصر لها على هذه الأرض ، ولكنها
تتصنف في أنواع متعددة وقد ذكر ابن القيم رؤوس هذه
الطواغيت فجعلها خمسة حيث قال : " والطواغيت كثيرة ،
ورؤوسهم خمسة :

إبليس لعنه الله ، مَنْ عُبد وهو راض ، مَنْ دعى الناس إلى
عبادة نفسه ، مَنْ ادعى شيئاً من علم الغيب ، مَنْ حكم بغير ما
أنزل الله " (1) .

والحق أن هذه الرؤوس – كما سماه ابن القيم – تشمل كل
طاغوت على اختلاف ألوانهم وأنواعهم وأجناسهم .

ثالثاً : القرين :

ولكي يتم إبليس اللعين مهمة إغواء البشر ، وكى تكون
أقوى وأنجح أخرج من حزبه طائفة يُسمَّون : القرناء ، يتخصص
كل واحد منهم بإضلال أحد الصالحين ، أو حتى غير الصالحين من
بقية البشر ، بل إنه يحشر معه يوم القيامة ليساقا جميعاً إلى جهنم ،
ولذلك فقد عبر الحق سبحانه وتعالى عن ملازمة القرين لقرينه
بلفظة (قَيْض) في قوله تعالى : **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ
الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** (2) .

يقول ابن عاشور : " التقيض : الإناحة وتهيئة شيء لملازمة
شيء لعمل حتى يتمه ، وهو مشتق من اسم جامد وهو قَيْض
البيضة ، أي القشر المحيط مما في داخل البيضة من المَحِّ (3) لأن
القَيْض يلزم البيضة فلا يفارقها حتى يخرج منها الفرخ فيتم ما أتبع
له القَيْض " (4) .

وقد وضح الحق سبحانه وتعالى مهمة هذا القرين الملازم
لصاحبه وبين أنها تنطوي على مهمتين كل منهما تكمل عمل
الأخرى ، وذلك في آية الزخرف **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ
الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ
لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** (5) فهذه
الآية تحدد مهمة القرين على النحو التالي :

- 1- الصد عن سبيل الله .
- 2- إيهام المقارن بأنه على حق .

1 - التفسير المنير - ج 3 - ص 26

2 - سورة الزخرف ، الآية 36

3 - وهو بياض البيضة مما يلي قشرتها من الداخل ، وهو ما يتغذى عليه جنين الدجاجة
قبل الخروج .

4 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - ج 25 - ص 209

5 - سورة الزخرف ، الآيات 36 ، 37

فالصد عن سبيل الله لا يكون إلا بتزيين الباطل وتحسينه في نظر المقارن فهو يقول له : إياك أن تعتقد أن ما فعلت شر ، أو مخالف لشرع الله ، فوالله ما أردت لك إلا الخير ، بل أنت على الحق والهداية ، ويبقى معه في هذا الوسواس حتى يكتشف الحقيقة ولكن متأخراً جداً ، يوم لا ينفع مال ولا بنون فيقول حينها : **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُتْسَنَ الْقَرِينُ** (1) .

وهذا القرين كما يكون من الجن فهو من الإنس أيضاً ، بل إن الإنس هم سبب نزول آية الزخرف فيما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره : " عن محمد بن عثمان المخرمي ، أن قريشاً قالت : قَيِّضُوا لِكُلِّ رَجُلٍ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ يَأْخُذُهُ ، فَيَقِيضُوا لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَأَتَاهُ وَهُوَ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِلَٰمًا تَدْعُونَنِي ؟ قَالَ : أَدْعُوكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ ! قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمَا اللَّاتُ ؟ قَالَ رَبِّنَا : قَالَ وَمَا الْعُزَّىٰ ؟ قَالَ : بَنَاتُ اللَّهِ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَمَنْ أَمَهُمْ ؟ فَسَكَتَ طَلْحَةُ ، فَلَمْ يَجِبْهُ ، فَقَالَ طَلْحَةُ لِأَصْحَابِهِ : أَجِيبُوا الرَّجُلَ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ طَلْحَةُ : قُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا** " (2) .

وهذه الطريقة العجيبة في الجدل والإصرار على الإغواء تبين وظيفة القرين على قرينه ، وكيف أن الإيمان الراسخ بالله كإيمان أبي بكر يستطيع أن يهزم هذا القرين ووساوسه .

مصير القرناء في الآخرة :

ويبقى القرين مقيضاً لقرينه إلى أن يدخل في جهنم ، فهو ملازم له في المحشر ، يقول تعالى : **فَوَرَبُّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا** (3) يقول القرطبي : " أي ولنحشرن الشياطين قرناء لهم . قيل : يُحْشِرُ كُلَّ كَافِرٍ مَعَ شَيْطَانٍ فِي سَلْسَلَةٍ ، كَمَا قَالَ : **اُخْشِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ** " (4) " (5) .

1 - سورة الزخرف ، الآية 38
2 - تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم - ج 10 - ص 3283
3 - سورة مريم ، الآية 68
4 - سورة الصافات ، الآية 22.
5 - الجامع لآيات الأحكام - للقرطبي - ج 11 - ص 132

وفي النهاية أسوق كلمة لابن عاشور يبين فيها توافق القرناء معنى التقييض يقول : " والقرناء هنا هم الملازمون لهم في الضلالة : إما في الظاهر مثل دعاة الكفر وأئمة ، وإما في باطن النفوس مثل شياطين الوسواس الذي قال الله فيهم **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ⁽¹⁾ ... ومعنى تقييضهم لهم تقديرهم لهم ، أي خلق المناسبات التي يتسبب عليها تقارب بعضهم مع بعض لتناسب أفكار الدعاة والقابلين كما يقول الحكماء (استفادة القابل من المبدئ تتوقف على المناسبات بينهما) . فالتقييض بمعنى التقدير ، عبارة جامعة لمختلف المؤثرات والتجمعات التي توجب التآلف والتحاب بين الجماعات ولمختلف الطبائع المكونة في نفوس بعض الناس ، فيقتضي بعضها جاذبية الشياطين إليها ، وحدث الخواطر السيئة فيها . وللإحاطة بهذا المقصود أوترّ التعبير هنا ب (قيضنا) دون غيره من نحو : بعثنا ، وأرسلنا . " ⁽²⁾

المطلب الثاني : صفات الشياطين :

وبعد أن عرضنا التصنيف القرآني للشياطين من حيث أنواعهم ووظائفهم نعرض في هذا المطلب تلك الصفات التي تميز هذه الأصناف سواء أكانت خلقية تتعلق بطبيعتهم ، أو معنوية تتعلق بسلوكهم وخلقهم .

أولاً : الصفات الخلقية :

وضح القرآن الكريم بعض صفات الشياطين وخاصة تلك التي ترتبط معرفتها بالتنفير من هذا الصنف من المخلوقات من جهة ، والتحذير منهم ومعرفة حقيقتهم من جهة أخرى كي لا يكون للشياطين على المؤمنين سبيل أو سلطان ، وهذه الصفات هي :

1- شيطان الجن مخلوق من نار :

وهذه الخلقة مندرجة في عموم خلق الجن ، كما إن شياطين الإنس مخلوقون من طين كعموم جنسهم من الإنس يقول تعالى : **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾** ⁽³⁾ ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : " المراد بالصلصال ها هنا التراب

¹ - سورة الزخرف ، الآية 36

² - التحرير والتنوير - لابن عاشور - م 11 - ج 24 - ص 274 ، 275

³ - سورة الحجر ، الآيتان 26 ، 27

اليابس . والظاهر أنه كقوله تعالى : **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ** (1) ...
وقوله (**مِنْ حَمَآ مَسْنُونٍ**) أي : الصلصال من حمأ وهو الطين .
والمسنون : الأملس ... وقوله : (**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ**)
أي : من قبل الإنسان (**مِنْ نَارِ السَّمُومِ**) أي : هي السموم
التي تقتل ... وعن ابن عباس : إن الجان خُلق من لهب النار وفي
رواية : من أحسن النار" (2) .

وقد ورد في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خلقت الملائكة من نور ،
وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وُصف لكم " (3) .

2- طبيعة شياطين الجن لا تُرى للإنس :

وهذه صفة خاصة بشياطين الجن دون شياطين الإنس حيث
اكتسبت هذه الصفة من الطبيعة العامة لخلق الجن ، ولكن لما
كانت لصنف الشياطين استُغلت شر استغلال في تخويف البشر
واستفزازهم ، يقول تعالى عن هذه الطبيعة : **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ
وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ** (4) ، " يعني جل ثناؤه بذلك : إن
الشیطان يراكم هو . والهاء في (إنه) عائدة على الشيطان .
وقبيله يعني : وصنفة وجنسه الذي هو منه ، واحد جمع (قبيل
(وهم الجن : وقوله (**مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**) يقول : من حيث
لا ترون أنتم أيها الناس الشيطان وقبيله . " (5) .
وقد أثارت هذه الطبيعة – كما ذكرنا – الخوف والنفور من
شياطين الجن بل الاستسلام لهم في بعض الأحيان ، ولذا فقد

1 - سورة الرحمن ، الآيتان 14 ، 15 .

2 3 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 8 - ص 255 ، 256

3 4 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح مسلم - كتاب الزهد
والرقائق - باب : في أحاديث متفرقة - ص 1196 - ح 2996 .

4 - سورة الأعراف ، الآية 27

5 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 195

حذر الله البشر من هذه الطبيعة في الآية السابقة ، يقول صاحب
الظلال : " وزيادة في التحذير ، واستثارة للحذر ينبههم ربهم أن
الشیطان يراهم هو وقبيله من حيث لا يرونهم . وإذاً فهو الأقدر
على فتنهم بوسائله الخفية ، وهم محتاجون إلى شدة الاحتياط ،
وإلى مضاعفة اليقظة ، وإلى دوام الحذر ، كي لا يأخذهم على
غرة " (1) ، وقد بين الألوסי هذا المعنى حيث قال في تفسير
قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (2)
: " تعليل للنهي كما هو معروف في الجملة المصدرة (بأنه) في
أمثاله وتأكيد للتحذير لأن العدو إذا أتى من حيث لا يُرى كان أشد
وأخوف " (3) .

وقد مكنت هذه الطبيعة شياطين الجن من رؤية ما لا يراه الإنس ،
ومثال ذلك رؤية إبليس للملائكة يوم بدر ، حيث حكى عنه رب
العزة قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (4) ، " تبرأ منهم إما بتركهم أو ترك
الوسوسة لهم التي كان يفعلها أولاً ، وخاف عليهم وأيس من
حالهم لما رأى إمداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة عليهم السلام
" (5) .

3- قبح صورة الشيطان :

ومما جُبل عليه الشيطان خاصة دون سائر الجن ، قبح
صورته ، والتي تحمل في مضمونها قبح أفعاله ، وقبح اتباعه ، "
فالشیطان قبيح الصورة ، وهذا مستقر في الأذهان ، وقد شبه
الله ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس

1 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 3 - ص 1279 ، 1280

2 - سورة الأعراف ، الآية 27

3 - روح المعاني - للألوסי - ج 8 - ص 155

4 - سورة الأنفال ، الآية 48

5 - روح المعاني - للألوسي - ج 10 - ص 22

الشیاطین ، لما عُلم من قبح صورهم وأشكالهم ، **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** ⁽¹⁾ ، وقد كان النصراني في القرون الوسطى يصورون الشيطان على هيئة رجل أسود ذو لحية مدببة ، وحواجب مرفوعة ، وقم ينفث لهاً ، وقرون وأظلاف وذيل .

وثبت في السنة أن الشيطان له قرنان ، فعن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ولا تَحِينُوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا فَإِنَّهَا تَطَّلِعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ " ⁽²⁾ ... ⁽³⁾

ثانياً : الصفات المعنوية :

لم يستطرد كتاب الله في توضيح الصفات الخلقية للشيطان كما رأينا : إذ هو يبيّن منها ما يتعلق بهدفه الرئيسي الهداية للبشر ، ولأجل هذا الهدف استطرد الحق سبحانه وتعالى في بيان الصفات المعنوية الخلقية للشيطان ، وذلك بهدف توضيح وتحديد صورة الشيطان لكل من تحق عليهم الدعوة ، فيظهر لهم عدوهم بصفاته فيعرفوه ، ومن ثم يجتنبوه ، ويتعدوا عن التشبه بأي صفة من صفاته وهذه الصفات هي :

1- الاستكبار والكفر :

صفتان متلازمتان تقود أولاهما إلى ثانيتهما ، ولقد كان الاستكبار هو الدافع إلى كفر أبي الشياطين إبليس عليه لعنة الله ، يقول تعالى : **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ⁽⁴⁾ " فقله تعالى : (واستكبر) الاستكبار : الاستعظام فكأنه كره السجود في حقه ، واستعظمه في حق آدم ، فكان ترك السجود لآدم

¹ - سورة الصافات ، الآيتان 64 ، 65 .

² - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق -

باب : صفة إبليس وجنوده - ص 264 - ح 3272 .

³ - عالم الجن والشیاطین - لعمر الأشقر - ص 23 .

⁴ - سورة البقرة ، الآية 34

تسفيهاً لأمر الله وحكمته ، وعن هذا الكبر عبر عليه السلام بقوله : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر " (1). وفي رواية " فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً . قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " (2) . ومعنى بطر الحق تسفيهه وإبطاله . وغمط الناس : الاحتقار لهم والازدراء بهم ... وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال تعالى على لسانه : **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ** **خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** . (3) **أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً** . (4) **لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ** (5) فكفره الله بذلك ... ولذلك قال الله تعالى : **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** (6) أي استكبرت ولا كبر لك ، ولم أتكبر أنا حين خلقته بيدي والكبر لي . فلذلك قال **وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** (7)

وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية ارتباط الكفر بالاستكبار في معرض حديثه عن أقسام الكفر حيث جعل كفر الكبر واحداً منها يقول : " أما الكفر الأكبر فهو خمسة أنواع : كفر تكذيب ، كفر استكبار وإباء ، كفر إعراض ، كفر شك ، وكفر نفاق ... وأما كفر الإباء والاستكبار : فهو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله

1 - أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ (ذرة) بدل (حبة) - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب: تحريم الكبر وبيانه - ص 693 - ح 91 وهو جزء من حديث طويل .

2 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب : تحريم الكبر وبيانه - ص 693 - ح 91.

3 - سورة ص ، الآية 76 .

4 - سورة الإسراء ، الآية 61 .

5 - سورة الحجر ، الآية 33 .

6 - سورة ص ، الآية 75 .

7 - الجامع لآيات الأحكام - للقرطبي - ج 1 - ص 296 ، 297

بالإنكار وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار ومن هذا كفر من عرف
صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بالحق من عند الله
ولم ينصع له إباءاً واستكباراً ، وهو الغالب على كفر أعداء
الرسول كفرعون وقومه . وقول الأمم لرسولهم : **إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
بَشَرٌ مِثْلُنَا** ⁽¹⁾ وهو كفر اليهود **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا
كَفَرُوا بِهِ** ⁽²⁾ " ⁽³⁾ .

ولقد اكتسب أتباع إبليس من شياطين الجن والإنس هذه
الصفة المقيتة ، فحملتهم على كل قبيح بدءاً بالكفر ومروراً
بالاغترار بأنفسهم ، وانتهاءً بإضلال غيرهم كي يصبحوا من
أشياعهم .

ولو أنا تتبعنا أسباب الكفر في هذا العالم لوجدنا أن جلّها
يعود إلى الكبر والتعالي على شرع الله ، مع استيقان الأنفس
بالحق ، ألم ترى كيف أظهر الله مكنون صدور شياطين آل
فرعون : **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**
⁽⁴⁾ ، وها هم شياطين اليهود والنصارى يدفعهم الكبر والعلو إلى
الكفر بنبي الرحمة مع أنهم يعرفونه أكثر من معرفتهم بأبنائهم :
**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ⁽⁵⁾ .
جزاء المتكبرين :

وعد الله عباده المؤمنين المطيعين بالجنة ، وبين أن هذه
الجنة لا يسكنها مستكبر ، ولذلك كان هبوط إبليس من ملكوت
السموات إلى دركات الأرض يقول تعالى : **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا
فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ⁽⁶⁾

¹ - سورة إبراهيم ، الآية 10

² - سورة البقرة ، الآية 89

³ - مدارج السالكين - لابن القيم - ج 1 - ص 364 ، 367 (بتصرف)

⁴ - سورة النمل ، الآية 14 .

⁵ - سورة البقرة ، الآية 146 .

(1) أي " اهبط منه - يعني من الجنة - فليس لك أن تستكبر فيها عن طاعتي وأمري . فإن قال قائل : هل لأحد أن يتكبر في الجنة ؟ قيل : إن معنى ذلك : فاهبط من الجنة فإنه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله ، فأما غيرها فقد يسكنها المستكبر عن أمر الله ، والمستكين لطاعته " (2) ، أما جزاء أولئك المتكبرين في الآخرة فقد تحدث عنه سبحانه في قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ** (3) أي : " إن الذين كذبوا بحجنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا ، وتكبروا عن التصديق لها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبراً ، لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء ، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل لأن أعمالهم خبيثة ... وكذلك نثيب من أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله من العذاب الأليم في الآخرة " (4).

2- معصية الله :

ونتيجة لهذا الاستكبار ، والذي أدى إلى الكفر ، وقع إبليس عليه لعنة الله ، هو ومن تبعه ، في كبرهم وكفرهم ، وقعوا في معصية الله ومخالفة أمره ، فصار هذا العصيان لهم ديدناً وسجية ما دام في قلب أي شيطان منهم كبرٌ وأنفة عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، وبين الحق سبحانه هذه السجية على لسان أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام فيقول فيما يحكيه عنه في خطابه لأبيه : **يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** (5) يقول تعالى على لسان إبراهيم : " يا أبت

1 - سورة الأعراف ، الآية 13 .

2 - انظر جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 169

3 - سورة الأعراف ، الآية 40

4 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 224 .

5 - سورة مريم ، الآية 44 .

لا تعبد الشيطان ، إن الشيطان كان لله عصيماً . والعصي : ذو العصيان ، كما العليم : ذو العلم " (1) فهذه هي صفة الشيطان في أي زمان ، وفي أي مكان .

3- اللعن والرجم :

صفتان اكتسبهما أبو الشياطين إبليس لما عصى ربه استكباراً وكفراً بعدم السجود لآدم ، وهما متلاصقتان في المعنى فكلاهما تعني الطرد والرمي والإبعاد .

أما اللعين " فأصل اللعن : الإبعاد ، وهو في العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب " (2) ، وأما الـرجم والرجيم : " فأصل الـرجم : الرمي بقول كان أو بفعل ومن الـرجم بالقول قول أبي إبراهيم صلوات الله عليه : **لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ** (3) وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان : رجيم ، لأن الله جل ثناؤه طرده من سماواته ، ورجمه بالشهب الثواقب " (4) ، " والرجيم : المرجوم ، صُرف من مفعول إلى فعيل ، وهو : المشتوم ، كذلك قال جماعة من أهل التأويل " (5) .

وقد وردت هاتان الصفتان في مواضع كثيرة بلفظيهما وبألفاظ مقاربة كلها تدل على العيب والنقص والنفي والطرده من رحمة الله ، ومن تلك الألفاظ المتقاربة : الذأم ، والدحر ، يقول تعالى : **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْخُورًا** ... (6) " ومذؤوماً أي : مذوماً ، والذأم : العيب بتخفيف الميم ، قال ابن زيد : مذؤوماً ومذوماً سواء ، يقال ذأمته وذممته وذُمته بمعنى واحد ، وقال مجاهد : المذؤوم المنعي ، والمعنيان متقاربان ، والمدحور : المبعد المطرود ، وأصله : " الدفع " (7) .

1 - جامع البيان - للطبري - م 9 - ج 16 - 120

2 - المحرر الوجيز - لابن عطية - ج 2 - ص 114

3 - سورة مريم ، الآية 46

4 - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 62

5 - المرجع السابق - م 8 - ج 14 - ص 42

6 - سورة الأعراف ، الآية 18

7 - الجامع لآيات الأحكام - للقرطبي - ج 7 - ص 176

وقد ركزت الآيات القرآنية على بيان لعنة ورجم إبليس وطرده من رحمة الله ، بتلك الألفاظ المختلفة التي ذكرنا ، أما لعنة ورجم أتباعه فبديهيُّ بالاتباع له وإن كان قد ورد لعن الشيطان بشكل عام في آيات قلائل أمثال قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (1) .

بعض اللطائف حول الآيات :

ورد لعن إبليس في آيتين متشابهتين باختلاف حرف واحد وذلك في سورتي الحجر و ص ، ففي الحجر قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (2) ، وفي سورة ص يقول : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (3) ففي آية الحجر جاء اللعن مطلقاً دون تقييد ، وفي ص جاء مضافاً إلى رب العزة سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول أبو السعود : " وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ ﴾ لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى ، وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وإبعاده من الرحمة إلى يوم الدين " (4)

4- الطغيان ومجاورة الحد :

ونتيجة لهذا الطرد الرباني للمستكبرين المتعاليين ، زاد بعض المعاندين في عُنْدِهِمْ ، وجاوز بعض المستكبرين في غِيْهِمْ ، وطغى أتباع إبليس في الأرض ، وتجبروا بغير الحق كفراً وعناداً وتحدياً سخيلاً لرب العزة ﴿ لَئِنْ أَحْزَنْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (5) فكانت النتيجة أن سمى الله طغاتهم بالطاغوت ، أي : المتجاوز للحد في العصيان والضلال

¹ - سورة النحل ، الآية 98

² - سورة الحجر ، الآية 35

³ - سورة ص ، الآية 78

⁴ - إرشاد العقل السليم - لأبي السعود - ج 7 - ص 237

⁵ - سورة الإسراء ، الآية 62

والإضلال لغيره ، يقول تعالى : **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى** ﴿ (1) " أي لیتجاوز الحد في المعصية واتباع هوى النفس ويستكبر عن ربه عز وجل " (2) وهذا في حق شياطين الإنس الذين تفوقوا على شياطين الجن في هذه الصفة بالذات دون غيرها .

ولذلك ترى القرآن حين يتحدث عن الطغيان يورده في معرض الحديث عن الإنس ، فهذا لعنة الله يصفه الحق سبحانه وتعالى بالطغيان **أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ﴿ (3) " وطغى : معناه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد " (4) .

وفي معرض الحديث عن بني إسرائيل يحذرهم الله من الطغيان وتجاوز الحد يقول تعالى : **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى** ﴿ (5) " أي لا تحملنكم السعة والعافية أن تعصوا ، لأن الطغيان هو التجاوز إلى ما لا يجوز . وقيل : المعنى : أي لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر المنعم بها عليكم " (6)

وقد توعد الله سبحانه وتعالى الطغاة بالعذاب الشديد في الآخرة بالخلود في جنهم : **فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴿ (7) " أي عتا عن أمر ربه فعصاه ولم يطعه بأداء فرائضه واجتناب نواهيهِ " (8) .

5- الضعف أمام الحق :

1 - سورة العلق ، الآية 6

2 - روح المعاني - للألوسي - ج 16 - ص 326

3 - سورة طه ، الآية 24

4 - الجامع لآيات الأحكام - للقرطبي - ج 11 - ص 192

5 - سورة طه ، الآية 81

6 - المرجع السابق - ج 11 - ص 230

7 - سورة النازعات ، الآية 37 - 39

8 - أيسر التفاسير - لأبي بكر الجزائري - ج 4 - ص 619

وبعد هذا العرض المخيف للشیطان المتكبر اللعين الطاغية العاصي المجرم ، يطمئن الله عباده المتمسكين بالحق بأن هذا الشيطان على كل ما أوتي من طغيان ، ضعيف أمام الحق لا يستطيعه ولا يقدر على أتباعه المتمسكين به مهما أوتي من كيد ومكر وخداع يقول الحق سبحانه وتعالى : **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ⁽¹⁾ وكيده : " ما كاد به المؤمنین من تحزيبه أوليائه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان . فلا تهابوا أولياء الشيطان فإنما هم حزبه وأنصاره ، وحزب الشيطان أهل وهن وضعف " ⁽²⁾ .

وقد بين تعالى بشكل لا يقبل الريب أن الباطل زاهق لا محالة وأنه لا يستطيع هزيمة الحق ، بل لا يستطيع أن يفعل شيئاً في هذه الدنيا بدون إرادة الله يقول تعالى : **وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** ⁽³⁾ " والباطل : إبليس ، أي : ما يخلق إبليس أحداً ولا يبعثه " ⁽⁴⁾ ، وهذا الباطل الذي هو إبليس وجنده زهوق أمام الحق كما أخبرنا ربنا في قوله **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ⁽⁵⁾ قال قتادة : " الحق : القرآن ، وزهق الباطل : هلك ، وهو الشيطان " ⁽⁶⁾ .

6- خذلان أتباعه :

ولما كان الشيطان يمثل هذا الضعف والهوان ، ولما كان كل ما يقوم به زور وبهتان ، كانت حبائله أمام الحق قصيرة ، وكانت مكائده للمؤمنين ضعيفة ، فإذا جد الجد ، وظهر الحق ، نكص على عقبيه ، لأنه يعلم ما لا يعلمه أتباعه المعرَّرين .

1 - سورة النساء ، الآية 76

2 - جامع البيان - للطبري - م 4 - ج 5 - ص 223

3 - سورة سبأ ، الآية 49

4 - جامع البيان - للطبري - م 12 - ج 22 - ص 129

5 - سورة الإسراء ، الآية 81

6 - جامع البيان - للطبري - م 9 - ج 5 - ص 178

ولقد بين الله تعالى لنا صورتين لهذا الخذلان إحداهما في الدنيا والأخرى في الآخرة :

الصورة الأولى :

تلك هي صورته القبيحة وهو يخذل المشركين في معركة بدر الكبرى بعد أن أوقعهم فيما يريد من الوقوف أمام الحق وأتباعه يقول تعالى : **وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْيَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (1) وكفى بالآية وصافاً لهذا الخذلان .

الصورة الثانية :

وهي يوم المشهد العظيم إذ يتبرأ الشيطان تبرأً تاماً من كل أتباعه ويخذلهم يقول تعالى واصفاً هذا المشهد **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (2) " يخبر تعالى هنا عما خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات وأسكن الكافرين الدركات ، فقام فيهم إبليس لعنه الله ، يومئذ خطيباً ، ليزيدهم حزناً إلى حزنهم ، وحسرة إلى حسرتهم ، فقال : إن الله وعدكم وعد الحق علي السنة رسله ، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة ... وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم ، كما قال الله تعالى **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** (3) " (4) .

وقد جلى الحق سبحانه هذه الحقيقة في قوله تعالى : **... وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا** (5) " والشيطان يوسوس

1 - سورة الأنفال ، الآية 48 .

2 - سورة إبراهيم ، الآية 22 .

3 - سورة النساء ، الآية 120 .

4 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 8 - ص 192 ، 193 .

5 - سورة الفرقان ، الآية 29 .

ويغري بالكفر والشرك والمعصية ، ثم يخذل أتباعه ، والخذل :
الترك من الإعانة ، والبراء من فعله .
وكل من صد عن سبيل الله وأطيع في معصية الله ، فهو
شیطان للإنسان ، خذول عند نزول العذاب والبلاء ، كما قال
تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (1)
«(2)

تعليق على هذه الصفات :

قد يُطرح سؤال مهم حول هذه الصفات يتعلق بعددها
وإحاطتها الفعلية بكل ما هو من صفات الشيطان المعنوية ، فقد
يقول قائل : الإغواء ، والكذب ، والوسوسة ، والعداوة للمؤمنين
... كل هذه صفات لم تُذكر هنا ، وهي مذكورة في كتاب الله عز
وجل !

نعم ، هي صفات مذكورة في كتاب الله عز وجل ، ولكننا
في هذا المبحث أردنا أن نسلط الضوء على الصفات الذاتية
للشيطان ، والتي هي قائمة بذاته ، لازمة له ، تكوّن شخصيته
وتمزجها بمزاجها ، أما ما دُكر كالوسوسة والإغواء والوعد الكاذب
فهو من قبيل الصفات العرضية التي لا تقوم في جوهر الشيطان ،
بل هي أقرب إلى الأدوات منها إلى الصفات ، وهي أقرب إلى
الأهداف منها إلى النعوت ، وبما أن بحثنا هذا هو بحث قرآني
موضوعي ، فلن يترك شيئاً منها - بإذنه تعالى - إلا وسيأتي عليه ،
ولكن في مكانه التصنيفي الصحيح ، فسنبحث هذه الأهداف
والوسائل الشيطانية في موضعها في مستقدّم البحث إن شاء
الله .

¹ - سورة الحشر ، الآية 16 .

² - التفسير المنير - للزحيلي - ج 19 - ص 54 .

الفصل الثاني عداوة الشيطان وأولياؤه وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول : العداوة بين الإنسان
والشيطان**

وينقسم إلى ثلاثة مطالب :

**المطلب الأول : الاستكبار والعلو أصل العداوة بين
إبليس وأدم وذريته**

المطلب الثاني : عداوة الشيطان وذريته للبشر

المطلب الثالث : الشيطان ألد أعداء الأنبياء

المبحث الثاني : أولياء الشيطان

وينقسم إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ولاية الشيطان

المطلب الثاني : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا والآخرة

المطلب الثالث : أولياء الشيطان وصفاتهم

الفصل الثاني عداوة الشيطان وأولياؤه المبحث الأول

العداوة بين الإنسان والشيطان
تلك هي سنة الله في الكون مذ خلق السماوات والأرض
إلى أن يرث الأرض ومن عليها ، الصراع بين الحق والباطل ،
معاداة الباطل للحق ، ومعاداة الحق للباطل ، ولما كان الشيطان
بدأ بأبيهم إبليس - وهو الباطل بعينه - ناصب الحق وأهله العدا ،
وأعلن عليهم حرب الجبناء ، حرباً يذكيها استكباراً وعلواً ، استكباراً
بالباطل ، وعلوً لا محالة زائل ، ولقد كان الحق - على مرّ العصور
- أبداً منتصراً ، وإن خبا صوته للحظات ، أو ضعف أهله فترات ،
ولقد تناول كتاب الله - كتاب الهداية والبيان - مسألة العداوة بين
إبليس وجنده من جهة والمؤمنين من خلق الله من جهة أخرى ،
بشكل واضح ، مبيناً سبب هذه العداوة ومنشأها ، ومحذراً أتباع
الحق من الاغترار بالباطل على أي حال ، وسنين تلك المسائل
في المطالب التالية :

المطلب الأول : الاستكبار والعلو أصل العداوة بين إبليس وادم وذريته :

تكرر ذكر قصة خلق آدم وما كان من إبليس معه ، في كتاب
الله عدة مرات بين إطناب ، وإيجاز ، وبين تفصيل في جانب ،
وإجمال في آخر ، وكان في كل مرة يذكر لأهل الإيمان بأن ما كان
من إبليس - عليه لعنة الله - من رفض للِسجود لآدم إنما كان
بسبب الكبر والعلو بغير الحق ، يقول تعالى مبيناً نفسية هذا
اللعين لِمَا رَفَضَ الإِذْعَانَ لِأَمْرِ رَبِّهِ بِالسُّجُودِ : { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا
مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
الْعَالِينَ } ⁽¹⁾ ، " فالمانع له من السجود ، والداعي له إلى خلافه
أمر ربه في ذلك : أنه أشد منه أيداً ، وأقوى منه قوة ، وأفضل منه
فضلاً ، لفضل الجنس الذي منه خُلق وهو النار ، (على) الذي
خُلق منه آدم وهو الطين ، فجهل عدو الله وجه الحق ، وأخطأ
سبيل الصواب ، إذ كان معلوماً أنّ من جوهر النار : الخفة
والطيش والاضطراب والارتفاع علواً ، والذي في جوهرها من ذلك
هو حمل الخبيث بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب

1 - سورة الأعراف ، الآية 12 .

السابق ، على الاستكبار عن السجود لآدم والاستخفاف بأمر ربه ، فأورثه العطب والهلاك " (1) .

وبسبب هذا القياس الفاسد المبني على العجب بالنفس ، والاستكبار عن الحق ، والعلو على أوامر الله نشأ العداء في نفس إبليس لهذا المخلوق الذي كرمه الله تعالى ، فتوعد إبليس - عليه لعنة الله - آدم وذريته من بعده بالحرب والعداء الشديد ، كي تكون نهايتهم كنهايته ، جهنم وبئس المصير ، يقول تعالى حكاية عن هذا اللعين : { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا } (2) " ينبه تبارك وتعالى عباده على شدة عداوة الشيطان وحرصه على إضلالهم ، وأنه لما خلق الله آدم استكبر عن السجود له وقال متكبراً : { أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } أي : من طين ، وبزعمه أنه خير منه لأنه خلقه من نار " (3) .

وقد ذكر ابن كثير كلاماً طيباً عن تلك العداوة وأصلها بين إبليس وآدم وذريته ومما جاء فيه " يذكر تعالى عداوة إبليس - لعنه الله - لآدم - عليه السلام - وذريته ، وأنها عداوة قديمة مذ خلق الله آدم ، فإنه تعالى أمر الملائكة بالسجود ، فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى أن يسجد له افتخاراً عليه ، واحتقاراً له ، { قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا } كما قال في الآية الأخرى { قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } (4) ، وقال أيضاً : (أَرَأَيْتَكَ) يقول للرب جرأة وكفراً ، والرب يحلم ويُنظر " (5) .

المطلب الثاني : عداوة الشيطان وذريته للبشر :
وكما كان الاستكبار والعلو هو أصل تلك العداوة بين آدم

وذريته من جهة وإبليس من جهة أخرى ، فقد استمرت هذه العداوة بين جنود إبليس ، والمؤمنين وتستمر إلى يوم الوقت المعلوم ، ويستمر معها استكبار الشياطين وتعاليمهم على الحق ، وعلى أوامر الله ، ولأجل هذه الاستمرارية في العداوة فقد نبه القرآن الكريم عليها في كثير من آياته ، وحذر أتباع الحق من أصحابها تحذيراً متكرراً شديداً ، وقد بين الطبري معنى هذه العداوة وسببها حيث قال : " فإن قال قائل : وما كانت عداوة ما

1 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 168 .

2 - سورة الإسراء ، الآيتان 62 ، 63 .

3 - تيسير الكريم الرحمن - للسعدي - ص 493 .

4 - سورة ص ، الآية 76 .

5 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 9 - ص 38 ، 39 .

بين آدم وزوجته ، وإبليس والحية ؟ قيل أما عداوة آدم وذريته ، فحسده إياه ، واستكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه : { **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** } (1) ، وأما عداوة آدم وذريته إبليس ، فعداوة المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومخالفته أمره ، وذلك من آدم ومؤمني ذريته إيماناً بالله . وأما عداوة إبليس آدم ، فكفر بالله " (2)

وسنجلي تناول القرآن الكريم لهذه القضية على النحو

التالي :

أولاً : بيان شدة تلك العداوة والتحذير منها :

وقع بيان شدة عداوة الشيطان للحق وأتباعه في كثير من آي الفرقان ، يقول تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** } (3) ، " وقوله : (**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**) : تنفير عنه وتحذير منه " (4) ، يقول صاحب الضلال مبيناً بسبب تحذير الله من الشيطان : "وهنا يبيح الله للناس جميعاً أن يأكلوا مما رزقهم في الأرض حلالاً طيباً - إلا ما شرع لهم حرمة وهو مبين فيما بعد - وأن يتلقوا منه هو الأمر في الحل والحرمة وألا يتبعوا الشيطان في شيء من هذا ، لأنه عدوهم ، ومن ثم فهو لا يأمرهم بخير ، وإنما يأمرهم بالسوء من التصور والفعل ، ويأمرهم بأن يحلوا ويحرموا من عند أنفسهم ، دون أمر من الله ، مع الزعم بأن هذا الذي يقولون هو شريعة الله ... والمطلوب هو أن يتلقى الناس ما يحل لهم وما يحرم من الجهة التي ترزقهم هذا الرزق ، لا من إحياء الشيطان الذي لا يوحى بخير لأنه عدو للناس بين العداوة لا يأمرهم إلا بالسوء والفحشاء ، والتجديف على الله والافتراء عليه دون تثبت ولا يقين " (5) .

وقد كان آدم هو أول من تلقى التحذير الشديد من إبليس

بعدما وقع منه من رفض السجود وعصيان الله ، وقد كان من

رحمة الله بالبشر أن بين لهم - في قصة الأكل من الشجرة -

مدى كيد الشيطان بالإنسان وبغضه له ، فلا يتركه حتى يوقعه في

1 - سورة ص ، الآية 76 .

2 - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 316 .

3 - سورة البقرة ، الآية 168 .

4 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 2 - ص 145 .

5 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 1 - ص 155 .

الموبقات ، فها هو رب العزة يوجه اللوم الشديد لآدم على مخالفته أمره واتباعه وساوس الشيطان بالأكل من الشجرة ، وَيُضْمِنُ هَذَا الزجر سببه فيقول : { فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (1) " فعطف جملة (وَأَقُلْ لَكُمَا) على جملة (أَنْهَكُمَا) للمبالغة في التوبيخ ، لأن النهي كان مشفوعاً بالتحذير من الشيطان الذي هو المغري لهما بالأكل من الشجرة ، فهما قد أضاعا وصيته ، والمقصود من حكاية هذا القول هنا تذكير الأمة بعبادة الشيطان لأصل نوع البشر فيعلموا أنها عداوة بين النوعين ، فيحذروا من كل ما هو منسوب إلى الشيطان ومعدود من وسوسته ، فإنه لما جُبل على الخبث والخزي كان يدعو إلى ذلك بطبعه فكان لا يهنأ له بال ما دام عدوه ومحسوده في حالة حسنة ، والمبين : أصله المُظهر ، أي للعداوة بحيث لا تخفى على من يتتبع آثاره ووسوسته وتغريره ، وما عامل به آدم من حين خلقه إلى حين غروره به ففي ذلك كله إبانة عن عداوته ، ووجه تلك العداوة أنَّ طبعه ينافي ما في الإنسان من الكمال الفطري المؤيد بالتوفيق والإرشاد الإلهي ، فلا يجب أن يكون الإنسان إلا في حالة الضلال والفساد " (2) .

ولما كانت هذه العداوة تدفع أصحابها إلى الكيد الشديد بالمؤمنين جاء التحذير منها على لسان الأنبياء فهذا يعقوب - عليه السلام - يحذر ابنه يوسف من تلك العداوة فيقول الله حكاية عنه : { قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (3) " قال يعقوب لابنه يوسف يا بني لا تقصص رؤياك هذه على إخوانك فيحسدوك

1 - سورة الأعراف ، الآية 22 .

2 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - ج 8 - ص 67 .

3 - سورة يوسف ، الآية 5 .

فيكيدوا لك كيداً ، فيبغوك الغوائل ، ويناصبوك العداوة ، ويطيعوا فيك الشيطان ، فالشيطان لآدم وبنيه عدوٌ ، وقد أبان لهم عداوته وأظهرها ، فاحذر الشيطان أن يغري أخوتك بك بالحسد منك إن أنت قصصت عليهم رؤياك " (1) .

ولما كان أمر هذه العداوة جدّ خطير ، إذ هي توصل بمن جهلها إلى السعير ، زاد الحق سبحانه في بيان ذلك ، حيث أخبر في مواضع كثيرة بأن تلك العداوة هي لآدم وذريته ، ولكنه في سورة طه يزيد الأمر تفصيلاً ليدخل زوجه في نطاق تلك العداوة – وإن كنا نعلم أن زوجة آدم داخلة في خطاب زوجها ضمناً – ولكن هذه زيادة في التحذير لكل فرد من المؤمنين رجالهم ونساءهم ، ولعل ذكر حواء هنا جاء ليخبرنا أن إبليس وجنوده سيتخذون النساء مطية عظيمة للضلال والإضلال وبالتالي إلى جهنم مثوى المتكبرين ، يقول تعالى : { **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى** } (2) " أي فقلنا له عقب إباءه السجود : يا آدم إن إبليس عدو لك ولزوجك فلم يسجد لك وعصاني ، فلا تطيعاه ولا يكون سبباً لإخراجكما من الجنة ، فتتعب في حياتك الدنيا في الأرض في تحصيل وسائل المعاش " (3) .

ونلاحظ هنا كيف بين الله سبحانه تبعات تلك العداوة على البشر ، فهي تقود إلى التعب والنصب والشقاء ، وإن كان يوهم أتباعه بغير ذلك ، وقد وضع القرطبي تلك التبعات وعلى من تقع عند تفسير هذه الآية فقال : " قيل : الإخراج واقع عليهما والشقاوة على آدم وحده ، وهو شقاوة البدن ، ألا ترى أنه عقبه بقوله : { **إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى** } أي في الجنة ، **وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى** } فأعلمه أن له في الجنة هذا كله : الكسوة والطعام والشراب والمسكن وأنت إن ضيعت

1 - جامع البيان - للطبري - م 7 - ج 12 - ص 189 .

2 - سورة طه ، الآيات 117 - 119 .

3 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 16 - ص 296 .

الوصية ، وأطعت العدو أخرجكما من الجنة فشقيت تعباً ونصباً ،
أي جعت وعريت وطمئت ، وأصابتك الشمس " (1) .

ثانياً موقف المؤمنين من تلك العداوة :

ولما كانت تلك العداوة بمنزلة من الشدة والظهور ، بحيث لا
ينفع معها قول الله : { وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } (2) وبالتالي

لا يجدي أو يثمر الإحسان كما في قوله تعالى : { ادْفَعْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }
(3) فتلك عداوة لا ولن تتحول أبداً إلى ولاية مع المؤمنين ، فالأمر
أكبر من ذلك ، فهي لعنة الله وغضبه منذ الأزل على من تكبر وكفر
وطغى ، وهي الرهان القائم إلى يوم الدين بين الشيطان

والمؤمنين ، ولأجل ذلك كله وصى رب العزة بأن تعامل هذا العدو
معاملة الند ، فتتخذه عدواً كما اتخذك هو من البداية عدواً ، ولكنها
عداوة في الحق ، وبغض في الله ، لا فحش فيها ولا استكبار ، لا
ظلم فيها ولا طغيان ، يقول تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ

فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ } (4) ، وقد بين ابن عاشور كيفية اتخاذ الشيطان عدواً

حيث قال : " وتلك عداوة مودعة في جبلته كعداوة الكلب للهر ،
لأن جبلة الشيطان موكلة بإيقاع الناس في الفساد وأسوأ العواقب
، في قوالب محسنة مزينة ، وشواهد ذلك تظهر للإنسان في

نفسه وفي الحوادث حيثما عثر عليها ، وأعقب الأمر باتخاذ
الشيطان عدواً بتحذير من قبول دعوته ، وحث على وجوب اليقظة
لتغريبه ، وتجنب توليه بأنه يسعى في ضرر أوليائه وحزبه ، فيدعهم
إلى ما يوقعهم في السعير ، وهذا يؤكد الأمر باتخاذ عدواً لأن أشد
الناس تضرراً به هم حزبه وأولياؤه " (5) .

وفي الختام نلاحظ شدة هذه العداوة ووضوحها لمن استنار
قلبه بآيات الله ، إنساً كان أو جنّاً ، وأود في هذا السياق أنؤكد
على الحقيقة التي بينتها في مطلع هذا البحث ، وهي أن الشيطان
يكون من الإنس كما يكون من الجن ، وأن أعداءه أيضاً هم من
المؤمنين من الإنس والجن ، وإنما أعدت هذه الحقيقة هنا لما
لاحظته عدم وضوح مفهومها في كتابات كثير من المفسرين ، فهم
حين يتحدثون عن الشيطان يذكرون الإنسان في المقابل ، وكأن

1 - الجامع لآيات الأحكام - للقرطبي - ج 11 - ص 253 .

2 - سورة البقرة ، الآية 237 .

3 - سورة فصلت ، الآية 34 .

4 - سورة فاطر ، الآية 6 .

5 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - ج 22 - ص 260 ، 261 .

أعداء الشيطان أو أوليائه لا يكونون إلا من الإنس ، ولكي تتجلى لنا هذه الملاحظة نسوق بعض الجمل من كتب المفسرين الدالة على عدم الوضوح هذا :

- يقول الطبري : " إن الشيطان الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله لكم عدو فاتخذوه عدواً ... " (1) .
- يقول الزمخشري : " أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص لنا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام ... " (2) .
- يقول ابن عاشور : " والمقصود من حكاية هذا القول هنا تذكير الأمة بعداوة الشيطان لأصل نوع البشر فيعلموا أنها عداوة بين النوعين ... " (3) .
- يقول سيد قطب : " ... لا من إحياء الشيطان الذي لا يوحى بخير لأنه عدو للناس بين العداوة ... " (4) .
- والحق أننا نلتمس العذر لعلمائنا الأجلاء في نحوهم هذا النحو في التعبير ، إذ إن أكثر خطاب القرآن موجه للبشر ، وإن كانت عمومة رسالة هذا الدين للثقلين ، ولكن لأن النبوة كانت في الإنس - على الرأي الأرجح - فقد تركز الخطاب عليهم فنجد كثيراً من الآيات المعنية في هذا الموضوع توجه الخطاب للإنس كقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** } (5) فالكاف هنا في لكم تعود على المنادى في صدر الآية وهم الناس ، ومنها قوله تعالى على لسان نبي الله يعقوب يعظ ابنه يوسف : { **يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** } (6) وغيرها كثير ، ولكن هذه الحقيقة لا تعني بأي حال اقتصار الخطاب على الإنس فهناك آيات عامة في الخطاب كقوله تعالى على لسان موسى - عليه السلام - : { **قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ** } (7) ، وإنما تركز التحذير من الشيطان على بني آدم للقصة المعروفة بين إبليس وآدم والتي كانت منشأ العداوة بينهما ، ولكن العداوة في الأصل عامة لكل مؤمن من الإنس والجن ، وهذا ما ينبغي أن

1 - جامع البيان - للطبري - م 12 - ج 22 - ص 142 .

2 - الكشف - للزمخشري - ج 3 - ص 269 .

3 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - ج 8 - ص 67 .

4 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 1 - ص 155 .

5 - سورة البقرة ، الآية 168 .

6 - سورة يوسف ، الآية 5 .

7 - سورة القصص ، الآية 15 .

يكون واضحاً عند من يطلبون التأصيل العلمي ، ويبحثون عن دقة العبارة وهذا ما دفعني هنا إلى تلك الملاحظة ، فنحن هنا في باب التأصيل العلمي الدقيق لا في معرض الكلام التفسيري الرقيق .

المطلب الثالث : الشيطان ألد أعداء الأنبياء :

اقتضت سنة الله تعالى ألا يترك عباده في خصم تلك المعركة مع الشيطان دونما نصير أو مؤيد منه ، فكان كلما ضعف حبل العلاقة بين البشر وخالقهم فاستكانوا للشيطان بالانجراف في خطواته ، بعث الله لهم من يعيدهم إلى سبيل الحق ، وطريق الرشاد ، هؤلاء هم الأنبياء المؤيدون من الله بالمعجزات والكتب ، فيبیتون للمخدوعين مكائد الشيطان وحباله ، ويعلنون على الشيطان حرباً ضروساً لا هوادة فيها ، يقضون أعمارهم دفاعاً عن الحق ، وكشفاً لزيغ الباطل ، ومن هنا فقد كان أنبياء الله هم ألد أعداء الشياطين ، فكلما اقترب العبد من ربه ، ابتعد عن الشيطان ، وبالتالي زادت العداوة بينهما ، والأنبياء هم أقرب الناس مكانة من الله حيث العصمة ، والمعجزة ، والتأييد ، والنصرة ، وقد بين الله تعالى أنه ما من نبي على مر الزمان بعثه الله إلا وكان له من الشياطين زمرة تناصبه العداوة ، وتمشي في طريق حربه والكيد له ، شياطين من الجن ، وشياطين من الإنس ، يعملون سويماً على محاربة الحق ، يقول تعالى : { **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** } (1) " وكما ابتليناك يا محمد بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين يصدونهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك ، والإيمان بك بما جئتهم به من عند ربك ، كذلك ابتلينا من قبلك الأنبياء والرسل بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات " (2) .

من لطائف الآية : قدم الله - سبحانه وتعالى - لفظة

الإنس على الجن في ذكر أعداء الأنبياء مع أن أصل الشياطين في الجن ، وإنما كان ذلك للطفيفة أرادها الله في هذا السياق ، فهو هنا يتحدث عن عداوة الشيطان للأنبياء ، والأنبياء من البشر ، فكانت مهمة العداوة والحرب والكيد منوطة بشكل أساسي بشياطين

¹ - سورة الأنعام ، الآية 112 .

² - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 8 .

الإنس لأنهم من جنس الأنبياء ، فيسهل التعامل معهم ، ومع من يدعونهم ، وهذا قول الطبري حيث قال في بداية تفسير الآية السابقة : " بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداءً شياطين " ، ويؤيد هذا الرأي ما جاء عن ابن عباس في تفسير العدو في قوله تعالى : { **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا** } (1) " أي كما جعلنا لك يا محمد عدوًّا من مشركي قومك - وهو أبو جهل في قول ابن عباس - فكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من مشركي قومه ، فاصبر ، لأمري كما صبروا ، فإني هاديك ، وناصرك على كل ما ناوأك " (2) فهذه الآية مجملة من جهة ، ومبيّنة من جهة أخرى ، أما إجمالها فلأنها أجملت شياطين الإنس والجن في آية الأنعام بكلمة (عدوًّا من المجرمين) ، أما التبيين فلأنها وصفت شياطين الإنس والجن بأنهم (مجرمين) .

وقد احتدم الصراع بين الشياطين والأنبياء ، وبلغ أشده على مر عصور الأنبياء ، ولقد بلغ من الشدة أن استطاعت شياطين الجن - وهي تأخذ دورها الخطير إلى جانب شياطين الإنس - أن تلبس على الأنبياء بعض الوحي لفترة عارضة ، ولكن الله الذي تكفل بحفظ وحيه يزيل هذا الالتباس ، ويدحر الشيطان ، ويبين الحقيقة للمؤمنين ، أما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون الباطل ، ويستهوهم ما قال الشيطان ، ولقد بين الحق سبحانه وتعالى هذا الأمر في قوله : { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** } (3) .

1 - سورة الفرقان ، الآية 31 .

2 - الجامع لآيات الأحكام - للقرطبي - ج 13 - ص 27 .

3 - سورة الحج ، الآية 52 .

وقد نسجت شياطين الإنس بوحى من أسيادهم أكاذيب كثيرة على ذلك الإلقاء ، ومن تلك الأكاذيب قصة الغرائق التي وردت في كثير من كتب التفسير ومؤداها أن الشيطان ألقى في قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - كلمات ليست من وحي الله لما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتلو مطلع سورة النجم على المشركين في مكة ، فلما وصل قوله تعالى : { **أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ** } ⁽¹⁾ فقال الشيطان بعدها (وتلك الغرائق العلاء ، وإن شفاعتهن لترتجى) فسمع المشركون هذا المدح لألهتهم ففرحوا وانصرفوا .

تلك القصة الباطلة التي نشرها شياطين الإنس لم تكن لتجد طريقاً عند المحققين من علماء المسلمين ، فردوا عليها من طرق نقلية وعقلية يحسن بنا أن نسوق بعضها لنرى كيف احتدم

الصراع الفكري بين شياطين الإنس وعلماء الحق :
1- رد الرازي على قصة الغرائق : " أما أهل التحقيق فقد قالوا : إن هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليها بالقرآن والسنة والمعقول . أما القرآن فوجه إحداها قوله تعالى : { **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** } ⁽²⁾ .

وثانيها قوله : { **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ** } ⁽³⁾ .
وثالثها : { **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** } ⁽⁴⁾ فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرائق العلاء لكان قد ظهر كذب الله تعالى في الحال وذلك لا يقوله مسلم .
ورابعهما : قوله تعالى { **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتُفْتَرِي عَلَىٰ غَيْرِهِ إِذَا لَاتُخَذُوكَ خَلِيلًا** } .

1 - سورة النجم ، الآيتان ، 19 ، 20 .

2 - سورة الحاقة ، الآيات 46 - 48 .

3 - سورة يونس ، الآية 15 .

4 - سورة النجم ، الآيتان 3 ، 4 .

(5) وكلمة (كاد) عند بعضهم معناه قُرْب أن يكون الأمر كذلك مع أنه لم يحصل .

وخامسها : قوله تعالى : { وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَزَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا } (1) وكلمة (لولا) تفيد انتفاء الشيء لانتهاء غيره فدل على أن ذلك ركون قليل لم يحصل .
وأما السنة فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن (2) ، وليس فيه حديث الغرائيق .

وأما المعقول فمن وجوه :

أحدها : أن من جوّز على الرسول - صلى الله عليه وسلم - تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان .

وثانيها : أنه عليه السلام ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه وإنما كان يصلي إذا لم يحضروها ليلاً أو في أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم

وثالثها : - وهو أقوى الوجوه - أنا لو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ... } (3) فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي ، وبين الزيادة فيه " (4) .

5 - سورة الإسراء ، الآية 73 .

1 - سورة الإسراء ، الآية 74 .

2 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - أبواب سجود

القرآن وسنتها - باب : سجدة النجم - ص 84 - ح 1071 .

3 - سورة المائدة ، الآية 67 .

4 - التفسير الكبير - للرازي - م 12 - ج 23 - ص 44 ، 45 .

2- رد القاضي ابن العربي على تلك القصة : وقد رد على حديث الغرائق بعشرة أدلة سماها مقامات كان عاشرها قوله : " إن هذه الآية⁽¹⁾ نص في غرضنا ، دليل على صحة مذهبنا ، أصل في براءة النبي - صلى الله عليه وسلم - مما تُسبب إليه أنه قاله ، وذلك أنه قال تعالى : { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ...** }⁽²⁾ ، فأخبر الله تعالى أن من سنته في رسله وسيرته في أنبيائه ، أنهم إذا قالوا عن الله قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه ، كما يفعل سائر المعاصي ، كما تقول : ألقيت في الدار كذا ، وألقيت في الحكم كذا ، وألقيت في الكيس كذا . هذا نص في أن الشيطان زاد في الذي قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أن النبي قاله " ⁽³⁾.

هذا غيض من فيض من الردود على تلك القصة من جانبي النقل والعقل⁽⁴⁾.

ختم الرسالة لم يمنع تلك العداوة :

وعلى الرغم من تلك الردود القوية منذ العصور الأولى على هذه القصة ، إلا أن العلماء المعاصرين ما زالوا يكتبون حولها ، كما هو الألباني وغيره ، وما ذلك إلا لأن الشياطين ما زالوا في حرب دؤوب على الأنبياء حتى يومنا هذا بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حرب عليهم بعد ختامهم بخاتم الأنبياء - عليه الصلاة والسلام - ولعلنا لم ننس بعد شيطان الإنس ، ذلك الهندي

¹ - يقصد آية سورة الحج 52 .

² - سورة الحج ، الآية 52 .

³ - أحكام القرآن - لابن العربي - ج 3 - ص 1300 - 1303 .

⁴ - وإن شئت الاستزادة والاستشفاء حول هذه القصة المكذوبة فقد صنف فيها الشيخ

محمد ناصر الدين الألباني مصنفاً نسف فيه أساس تلك القصة وجمع طرقها ، وهذا المصنف هو : نصب المنجنيق لنسف قصة الغرائق .

المنتمي للإسلام كذباً ، والمدعو سلمان رشدي⁽⁵⁾ ، لم ننس كيف تستر بستار الأدب في دس السم في القرآن بإحيائه قصة الغرائق في كتابه الشهير (آيات شيطانية) ، وليس هذا هو أول هجوم على الأنبياء ولن يكون آخر هجوم ، فالعداوة الدفينة بين الأنبياء وما تركوا من ميراث وبين الشياطين مستمرة استمرار هذا الدين .

التفسير الصحيح :

أما تفسير آية الحج على الوجه الصحيح ، فورد في كثير من كتب القدماء والمعاصرين ، فمن القدماء شيخهم الطبري حيث يقول : " فتأويل الكلام إذا : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا

⁵ - هندي يحمل الجنسية البريطانية ، ولد في الهند بمدينة بومباي في 19 يونيو 1947 م لأسرة مسلمة تحمل من الإسلام اسمه دون معناه - كما أفصح هو عن ذلك في مقابلة أجرتها معه صحيفة دير اشبيغل الألمانية - كانت مربيته نصرانية ، درس التاريخ بجامعة كامبريدج ببريطانيا ، والتحق بالمعهد المسرحي فيها ، وبعد تخرجه عمل في أحد القنوات التلفزيونية باكستان حيث عائلته التي انتقلت إليها ، وبعد فترة وجيزة عاد إلى بريطانيا ليعمل هناك ككاتب مسرحي ، كتب أول رواياته " grimus ' عام 1975 بدأ رشدي يبحث عن الشهرة عن طريق كتابة روايات مثيرة للجدل فكتب رواية العار التي وجهت انتقادات حادة للنظام السياسي في باكستان عام 1983 ، ثم جاءت روايته آيات شيطانية لتفجر غضبا إسلامياً كبيراً تمثل بمظاهرات عارمة في باكستان والهند ضده وبفتوى الخميني - مرشد الثورة الإيرانية حين ذاك - بهدر دمه أينما وجد ، وقد مثلت هذه الرواية هجوماً سافراً على النبي - صلى الله عليه وسلم - وأزواجه ، وعلى الصحابة الكرام وعلى الوحي القرآني ، وقد رعى الغرب سلمان رشدي لما رأوا عنده تلك الوقاحة على الدين الإسلامي فنال العديد من الجوائز الأدبية والمراكز العلمية ، فقد نالت روايته " آيات شيطانية " جائزة رواية الطير الأبيض Whitbread Novel Award عام 1988 ، ونالت روايته " العار " جائزة أفضل كتاب أجنبي Prix du Meilleur Livre Etranger الفرنسية ، وفي عام 1993 نال جائزة " كاتب الكتاب " والتي تعطي كل 25 عاماً عن أفضل رواية في تلك الفترة ، وفي عام 1990 نال جائزة Guild Award لأفضل قصة كتبت للأطفال ، وهو الآن أستاذ مساعد في العلوم الإنسانية بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بأمريكا ، وزميل الجمعية الملكية للآداب ، وقد كُرم كزميل متميز في الآداب بجامعة شرق إنجلترا عام 1995 ، ونال جائزة الدولة النمساوية في الأدب عام 1993 ، وقد تلقى ثماني درجات في الدكتوراه الفخرية ، وقد انتخب أخيراً لعضوية جمعية القلم الأمريكي عام 2002 .

موقع دائرة الآداب والأفلام بالمجلس البريطاني على الإنترنت -

<http://www.contemporarywriters.com/authors/?p=auth87#top>

نبي ، إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ ، أو حدث وتكلم ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه ، أو في حديثه الذي حدث وتكلم فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، يقول تعالى : فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ، ويبطله " (1) .

وأما من المعاصرين فنسوق كلام السعدي ، والزحيلي في تفسير هذه الآية ونبدأ بأسبقهم حيث يقول السعدي في تفسيرها : " يخبر تعالى بحكمته البالغة واختباره لعباده وأن الله ما أرسل قبل محمد من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى أي : قرأ قراءته التي يُذكر بها الناس ويأمرهم وبنهاهم ، ألقى الشيطان في أمنيته ، أي : في قراءته من طرقه ومكائده ما هو مناقض لتلك القراءة مع أن الله تعالى قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله ، وحفظ وحيه أن يشتبه أو يختلط بغيره ، ولكن هذا إلقاء من الشيطان غير مستقر ولا مستمر ، وإنما هو عارض يعرض ثم يزول ، وللعوارض أحكام ، ولهذا قال : { **فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ** } أي : يزيله ويذهبه ويبطله ويبين أنه ليس من آياته ، ثم يحكم الله آياته أي : يتقنها ويحررها ويحفظها ، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشيطان " (2) .

وأما الزحيلي فيقول : " ... تبين من الكلام السابق في سبب النزول أن قصة الغرائيق موضوعة مكذوبة وضعها الزنادقة ، لذا يجب تفسير الآيات على نحو آخر ، خلافاً لما عليه كثير من المفسرين ، ولا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة ، به وقعت الفتنة ، ثم اختلف الناس في صورة هذا الإلقاء ، لكن المقطوع به أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عملاً بدلالة الآيات السابقة الدالة على عصمته ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، إنه لما يجار الشيطان فيما ألقاه ، ولم يُردّد على لسانه ما وسوس به ، وأحسن تأويل للآيات - كما قال القرطبي - هو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً ، ويفصل الآي تفصيلاً في قراءته ، كما روى الثقات عنه ، فيمكن ترصّد الشيطان لتلك السكتات ، ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات ، محاكياً نغمة النبي - صلى الله عليه وسلم - بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنوها من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - وأشاعوها ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين ، لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله ، وتحققهم من حال النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذم الأوثان وعيبتها ، وعلى هذا يكون معنى الآية : وما

1 - جامع البيان - للطبري - م 10 - ج 17 - ص 241 .

2 - تفسير الكرمي الرحمن - للسعدي - ص 585 .

أرسلنا من قبلك ... أي : وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولاً ولا نبياً إلا إذا قرأ وتلا كلام الله ، ألقى الشيطان في قراءته وتلاوته بعض الأقاويل والأباطيل ... فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، أي فيزيل الله ما وسوس به الشيطان من الكلمات والخرافات التي تعلق بها بعض الكفار ، ثم يجعل آياته محكمة محصنة مثبتة ، لا تقبل التشويه والتزييف أو الزيادة أو النقصان ، وهذا يشبه بعض محاولات القساوسة اليوم دس بعض الأكاذيب والشبهات في مبادئ الإسلام وتعاليمه ، وقلب الحقائق ، وتزييف الوقائع ، وتأويل بعض الآيات على وجه غير صحيح ، ثم تتبدد تلك المساعي الخبيثة ، وتُدحض تلك المفتريات على يد بعض العلماء الأثبات من المسلمين ومن غيرهم ، وتدفن تلك الآراء المدسوسة في النشرات والكتب المدرسية وغيرها " (1) .

1 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 17 - ص 249 ، 250 .

المبحث الثاني أولياء الشيطان

لقد كان القرآن ، كما رأينا ، واضحاً بيناً في بيان عداوة الشيطان لبني الجن والإنس وخاصة المؤمنين منهم ، بل لم يكتف بالبيان والتوضيح فحسب ، ولكنه حذر تحذيراً شديداً من إتباع هذا الشيطان الذي لا يبغى بالمؤمنين إلا كل الشر والسوء ، ورغم كل هذا البيان ، وكل هذا التحذير فقد استطاع إبليس وجنوده أن يستميلوا من الجن والإنس من يتخذونهم أولياء ، وعلنوا لهم الوفاء . رأينا من البشر كما من الجن ، خلقاً باعوا أنفسهم لإبليس وجنده ونشأت بينهم علاقة تآخ ، وتحاب ، وتواد .

ومنذ إنظار رب العزة إبليس وحتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها ، لا ولن تتوقف مساعي الشيطان في حشد الأولياء والأتباع ، وقد أفلحت جهوده في إغواء الكثير منهم ، وضمهم إلى حزبه وأهله ، وهؤلاء الحزب والأهل منهم من تخطى حد التبعية إلى حد الاندماج بالشيطان والاتصاف بصفاته فأصبح شيطاناً ، ومنهم من لم يتعد حد التبعية ، بل بقي ذليلاً يمشي في خطوات الشيطان ليقع في غاياته .

وبناءً على هذا التقسيم يبرز لدينا سؤال مهم : كيف يمكننا أن نميز بين الشيطان ووليه ؟ وبعبارة أخرى : ما هي تلك الحدود التي إن تعدّها الولي أصبح شيطاناً ؟ ، ولماذا فرق القرآن بين الشيطان وبين وليه ؟ .

وللإجابة على هذه التساؤلات يتحتم علينا أن نتعرف على ولاية الشيطان كما أبرزها كتاب الله تعالى ، وإن كانت المحصلة بالنسبة للشيطان ووليه واحدة ، فالولاية تثبت بين شخصين فيعطي كل منهما الآخر الولاء بنفس الدرجة مع اختلاف الأهداف والتوجهات ، وهذا ما يعيننا هنا ، أي اختلاف الأهداف والتوجهات ، فهي التي تحكم علاقة الشيطان بأوليائه .

المطلب الأول : ولاية الشيطان :

الولاية : الولاية والولاية : النصره ، يقال هم على ولاية أي مجتمعون في النصره ، ووالى فلان فلاناً إذا أحبه (1) .
تلك هي الولاية في اللغة ، تقوم على معنيين : الحب ، والنصره ، وليس المعنى الاصطلاحي عن هذين المعنيين ببعيد ، بل هو يقوم عليهما في تدرج طبيعي يبدأ بالحب المتبادل بين الشخص ووليه ، أي بين الوليين ، ثم يستتبع هذا الحب نصره متبادلة بين الوليين ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد ، وقد قيل : إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها . والأول أصح . والولي القريب ، فيقال : هذا يلي هذا أي يقرب منه " (2) .

والحديث عن أولياء الشيطان يستوجب الحديث عن أولياء الرحمن فهم أصدادهم ، يقفون قبالتهم ، فبضدها تتميز الأشياء كما يقال ، فإن نحن عرفنا من هم أولياء الرحمن ، تبين لنا مباشرة ، ومن باب مفهوم المخالفة ، أولياء الشيطان يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وإذا عُرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فيجب أن يُفَرَّقَ بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى : { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } (3) وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة - أو فقد آذنته بالحرب - وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته

1- لسان العرب - لابن منظور - ج 15 - ص 407

2 - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - لابن تيمية - ص 28

3 - سورة يونس ، الآيتان 62 ، 63 .

عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها (1) " (2) .

كيف تحصل ولاية الشيطان :

وليس أعرف بكيفية حصول هذه الولاية من خالق الناس أجمعين فقد أخبرنا عبر آيات كتابه العزيز بكيفية حصولها ، وشروط وقوعها ، فلنسر مع تلك الآيات ونقف على أقوال العلماء والمفسرين في معنى الولاية في كل منها :

يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى : { يَا أَيَّتُهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا } (3) : " أي لا تطعه فيما يأمرك به من الكفر ، ومن أطاع شيئاً في معصية فقد عبده " (4) .

ويقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : " أي لا تطعه لأنه عاص لله " (5) .

يقول ابن عطية في تفسير قوله تعالى : { قَرِيبًا هَدَىٰ وَقَرِيبًا حَقًّا عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } (6) : " والضمير في (إنهم) عائد على الفريق الذين حق عليهم الضلالة ، و (أولياء) معناها أنصار وأصحاب وإخوان " (7) .

ويقول الطبري في هذه الآية : " إن الفريق المذنب حق عليهم الضلالة ، إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة ، باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظهراء ، جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك " (8) .

1 - أخرجه البخاري بطوله في صحيحه - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة -

صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب : التواضع - ص 545 - ج 6502 .

2 - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - لابن تيمية - ص 28 .

3 - سورة مريم ، الآية 44

4 - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ج 16 - ص 102

5 - مفاتيح الغيب - للرازي - م 11 - ج 21 - ص 193

6 - سورة الأعراف ، الآية 30

7 - المحرر الوجيز - لابن عطية - ج 2 - ص 392

8 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 203

ويقول صاحب التفسير المنير في هذه الآية : " إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين أولياء أي تولوهم في ما أمرهم به " (1) .

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى : { **وَإِن لَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** } (2) : " وقوله : (فأتبعه الشيطان) يقول فصيحه لنفسه تابعاً ينتهي إلى أمره في معصية الله ، ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن " (3)

أخرج ابن أبي حاتم بسنده في تفسير قوله تعالى : { **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** } (4) عن أبي غسان (5) قال : " قلت لابن أبي ليلي (6) (وعبد الطاغوت) فقال : فخدم الطاغوت . " (7)

قول ابن كثير في هذه الآية : " وقرئ : (وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ) على أنه فعل ماض ، والطاغوت منصوب به ، أي وجعل منهم من عبد الطاغوت ، وقرئ : (وَعُيِّدَ الطَّاغُوتِ) بالإضافة على أن المعنى وجعل منهم خدم الطاغوت ، أي : خدامه وعبده : وقرئ (وَعُيِّدَ الطَّاغُوتِ) على أنه جمع الجمع عبد عبيد عُيِّد ، مثل ثمار وثمر ... كل هذه القراءات يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا : الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دونما سواه ، كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ما ذكر " (8)

قول الألوسي في هذه الآية : " المراد بالطاغوت عند الجبائي : العجل الذي عبده اليهود ، وعن ابن عباس رضي الله عنه والحسن أنه الشيطان ، وقيل : الكهنة وكل من أطاعوه

1 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 8 - ص 176

2 - سورة الأعراف ، الآية 175

3 - جامع البيان - للطبري - م 6 - ج 9 - ص 155

4 - سورة المائدة ، الآية 60

5 - هو : محمد بن مطرف بن داود الليثي أبو غسان المدني ، نزيل عسقلان ، ثقة من الطبقة السابعة - تقريب التهذيب - لابن حجر - ترجمة 6305 - ص 507 .

6 - هو : عبد الرحمن بن أبي ليلي الأنصاري ، المدني ثم الكوفي ، ثقة ، مات بوقعة الجماجم سنة 83 هـ وقيل إنه غرق - المرجع السابق - ترجمة 3993 - ص 349 .

7 - تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم - ج 4 - ص 1165

8 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 5 ص 274 ، 275

في معصية الله تعالى ، والعبادة فيما عدا القول الأول مجاز عن الإطاعة " (1)

يقول صاحب التفسير المنير في هذه الآية : " وعبد الطاغوت ، أي جعل منهم من صير الطاغوت معبوداً من دون الله والطاغوت : كل ما عبد من دون الله كالأصنام والشیطان والعجل ، فكانت عبادتهم للعجل مما زين لهم الشيطان ، فصارت عبادتهم له عبادة للشیطان " (2)

يقول أبو السعود في تفسير قوله تعالى : { **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا** } (3) : " وما يعبدون بعبادتها (إلا شيطاناً مریداً) إذ هو الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة " (4)

ويقول ابن كثير في تفسيرها : " أي هو الذي أمرهم بذلك وحسنه لهم وزينه ، وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر ، كما قال تعالى : { **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** } (5) " (6)

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى : { **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** } (7) : " ألم أوصكم وأمركم في الدنيا ألا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله " (8)

ويقول الألوسي في تفسيرها : " والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم ، عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ، ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل ، وجوز أنه يراد بها عبادة غير الله تعالى من الآلهة الباطلة وإضافتها إلى الشيطان لأنه الأمر بها والمزين لها فالتجوز في النسبة " (9)

ويقول السعدي في تفسيرها : " ألم آمركم وأوصيكم على السنة رسلي وأقول لكم : (يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان) أي

1 - روح المعاني - للألوسي - ج 4 - ص 257

2 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 6 - ص 243

3 - سورة النساء ، الآية 117

4 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم - لأبي السعود - ج 2 - ص 233

5 - سورة يس ، الآية 60

6 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 4 - ص 277

7 - سورة يس ، الآية 60

8 - جامع البيان - للطبري - م 12 - ج 23 - ص 31

9 - روح المعاني - للألوسي - ج 13 - ص 59

: لا تطيعوه ! وهذا التوبيخ يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي لأنها كلها طاعة للشیطان وعبادة له . " (1) يقول السعدي في تفسير قوله تعالى : { **قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ** } (2) : " هؤلاء المشركون (كانوا يعبدون الجن) أي : الشياطين يأمرونهم بعبادتنا أو عبادة غيرنا فيطيعونهم بذلك ، وطاعتهم هي عبادتهم لأن العبادة الطاعة " (3) .

نلاحظ هنا بعد هذا العرض لما جاء في تفسير الآيات المتضمنة معنى ولاية الشيطان ، أن معظم الآيات تحدثت عن عبادة الشيطان ، ومبحثنا هنا عن ولاية الشيطان ، فما العلاقة بين هذين المعنيين ، وهل الولاية والعبادة بمعنى ، أم الولاية جزء من العبادة أم العكس ، أم المعنيان متباعدان ؟

الحق أن الولاية والعبادة صنوان يسقيان بماء واحد ، ويفسر كل منهما الآخر ، وإذا أقيت نظرة على مبدأ ترتيب الآيات في العرض السابق أدركت هذه العلاقة ، فالآية الأولى ، آية الأعراف ، تتحدث عن اتخاذ الشياطين أولياء من قبل أتباعهم ، والولاية كما رأينا هي : النصره والمحبة ، ونصرة شخص ما ومحبه لا تتأتى إلا باتباعه فيما يأمر وينهى ، وهذا ما تقرره الآية الثانية في السياق السابق ، ثم إذا تقرر الاتباع في الأمر والنهي ، فتلك هي العبادة والطاعة ، وهذا ما تجده جلياً في بقية الآيات ، ولذلك ، ولأجل هذا التسلسل الطبيعي في العلاقة بين الولاية ، والاتباع ، والعبادة ، ولأجل هذا التلازم الوثيق ، رأينا كيف فسر العلماء رحمهم الله الولاية في الآية الأولى بالنصرة واتباع الأمر ، ثم هم فسروا الاتباع في الآية الثانية بالائتمار بأمر الشيطان ومعصية الرحمن ، وتلك هي العبادة والطاعة . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وفضائله - صلى الله عليه وسلم - وفضائل أمته كثيرة ، ومن حيث بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان . قال تعالى : { **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ...** } (4) " (5)

1 - تفسير الكريم الرحمن - للسعدي ص 765

2 - سورة سبأ ، الآية 41

3 - تفسير الكريم الرحمن - للسعدي - ص 746

4 - سورة آل عمران ، الآية 31 .

5 - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - لابن تيمية - ص 33

ولكننا بعد كل هذا البيان لم نقف بعد على حدود ولاية الشيطان ؛ أي ما الفارق بين الشيطان ، وبين وليه ؟

يتضح هذا الأمر بتحديد أمرين مهمين :

الأول : المعنى الدقيق لولاية الشيطان ، أو لعبادة الشيطان .

الثاني : معرفة مهمة الشيطان وصفاته .

أما المعنى الدقيق لولاية الشيطان ، أو لعبادة الشيطان ، وهما كما عرفنا بمعنى واحد ، فظاهر في تفسير كل الآيات التي تحدثت عن عبادة الشيطان ، وهذا المعنى يتجلى في الطاعة والائتمار بأمر الشيطان والانتهاه بنهيه ، ويوضح هذا المعنى حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعدي ابن حاتم لما دخل عليه وهو يعلق صليباً فقد روى الترمذي بسنده عن عدي بن حاتم قال : " أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي صليب من ذهب فقال : " ما هذا يا عدي اطرح عنك هذا الوثني وسمعه يقرأ في سورة براءة { **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ** } ⁽¹⁾ ثم قال : " أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه " ⁽²⁾ ، وهذا المعنى هو الذي جاء على لسان حذيفة رضي الله عنه فيما ذكره القرطبي : " روى الأعمش وسفيان بسندهما قالا : سئل حذيفة عن قول الله عز وجل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) هل عبدوهم ؟ فقال لا ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه ، وحرموا عليهم الحلال فحرموه " ⁽³⁾ ، وقد بين صاحب الظلال هذه المعاني بشكل جلي عند تفسيره هذه الآية فقال : " ومن النص القرآني الواضح الدلالة ، ومن تفسير الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو فصل الخطاب ، ثم من مفهومات المفسرين الأوائل والمتأخرين ، تخلص لنا حقائق في العقيدة والدين ذات أهمية بالغة نشير إليها هنا في غاية الاختصار .

إن العبادة هي الاتباع في الشرائع بنص القرآن وتفسير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فاليهود والنصارى لم يتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً بمعنى الاعتقاد بألوهيتهم أو تقديم الشعائر التعبدية إليهم ... ومع هذا فقد حكم الله سبحانه وتعالى عليهم بالشرك في هذه الآية وبالكفر في آية تالية في السياق لمجرد أن

¹ - سورة التوبة ، الآية 31

² - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - جامع الترمذي - أبواب التفسير - باب : سورة التوبة - ص 1964 - ح 3095 ، قال الألباني : حديث حسن - صحيح سنن الترمذي - للألباني - ج 5 - ص 278 .

³ - الجامع لأبيات الأحكام - للقرطبي - ج 10 - ص 461

تلقوا منهم الشرائع فأطاعوها واتبعوها ... فهذا وحده دون الاعتقاد والشعائر يكفي لاعتبار من يفعله مشركاً بالله الشرك الذي يخرج من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين ... " (1) .
وبهذا يتضح لدينا معنى الولاء للشیطان ، ألا وهو اتباعه فيما أمر مخالفاً شرع الله تحليلاً وتحريماً على غير منهج الله عز وجل ، فهذه الصفة إن اكتسبها أي إنسان أو جان ، يدخل في مفهوم ولاية الشيطان وعبادته .

أما حدود تلك العلاقة ، فتتميز بتميز صفات الشيطان ، فإن كان هذا الولي العبد للشیطان ، مجرد تابع مطيع لسيده فيما أمر ونهى مخالفاً شرع الله ، فهو الولي ، أما إذا تعدت العبادة والطاعة إلى مفهوم الخدمة والتسخير لأهداف الشيطان ، بأن يكتسب الولي - مع طول مزاولته الولاء للشیطان - صفات شيطانه ويصير غويًا مضلاً لغيره كما هو الشيطان ، فإن هذا الولي يتعدى كونه تابعاً ليصبح شيطاناً ، إذ هو يؤدي ما يؤديه الشيطان فينطبق عليه تعريف الشيطان بصفاته وأهدافه .

وبعد هذه الاستفاضة في معنى ولاية الشيطان وحدودها ، أصبح من الطبيعي أن أعرج في بحثي هذا على عبارة ذاع صيتها في السنوات الأخيرة في الدول العربية وثار حولها جدل كبير أفضى إلى استقرار مفاهيم خاطئة في عقول كثير من الناس ، هذه العبارة هي " عبدة الشيطان " : وهم مجموعة من الشباب الضال اتخذوا من الشيطان رمزاً يتجهون إليه ببعض الشعائر التعبدية ، واتخذوا لهذه الشعائر أماكن مخصوصة يقيمون فيها طقوساً تعبدية لتلك الرموز التي سموها شيطاناً .

وقد أثرت هذه العبارة " عبدة الشيطان " في حين العثور على هؤلاء الشباب الضال ، وألصقت بهم إلصاقاً شديداً وكأنهم هم وحدهم في هذا العالم - ومن يسير على دربهم - هم الذين يعبدون الشيطان ، وكان عبادة الشيطان قد قصرت على هذا النهج المتمثل في صرف ضرب من الشعائر التعبدية لرموز شيطانية ، ولن أبالغ إن ذهبت إلى أن مثل هذه الفكرة هي ضرب من اختلاط المفاهيم عند البعض على أحسن الأحوال ، ومن خبث المقصد وسوء النية عند آخرين في تمويح مفهوم عبادة الشيطان ، وتشويهه ليقتصر على هذه التفاهات ، فهذا رئيس مجلس الشعب المصري حينها أحمد فتحي سرور يقول : " لا يجوز معالجة هذه القضية على أنها ظاهرة عامة ، فمصر دولة إسلامية شعبها متدين ومثقف ، يؤمن بالله سبحانه وتعالى وأفراد الشعب المصري

1 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 3 - ص 1642

يعبدون الله ، ومن قيل عنهم أنهم عبدة الشيطان هم فئة ضالة محدودة لا يجوز أن نعطيها اهتماماً كبيراً إلا بقدر الخوف من أن توتي آثارها الضارة على الأجيال " (1) فهذا المفهوم المختلط لديه حول عبادة الشيطان إنما هو ناشئ عن غياب الرؤيا القرآنية الصحيحة لهذه العبارة ، وعلى أحسن الأحوال فهو مصيب في وصف هذه المجموعة بالقليلة على ما اتصفت به من تلك الشعائر الخاصة الغربية في عبادتها وأقول أننا لو قررنا المفهوم القرآني لعبادة الشيطان والتي هي ولاية الشيطان ، لأدركنا أن كثيراً من البشر اليوم واقعون في عبادة الشيطان ، وأن قسماً منهم أصبحوا شياطين ، وليس ثلة قليلة من بعض الشباب الجاهل المضلل كما حاول الكثير أن يفهم العالم أجمع ، وخاصة العالم الإسلامي .

ارتباط هذه الظاهرة باليهود :

رأينا كيف اختلطت المفاهيم عند الكثير من المسلمين حول هذه الظاهرة ، ولكننا ندرك أن هناك من كان الأمر لديهم ليس مجرد اختلاط ، بل هو تعمد لنشر هذه الطقوس كي يحجم مفهوم عبادة الشيطان على فئة يسيرة ، ويهون عبادته على الفئة الأكبر ، هؤلاء الخبيثاء يقودهم اليهود مبتدعو تلك الظاهرة يقول صفوت وصفي : " تنتشر عبادة الشيطان لدى اليهود ، وتعرف بجماعة (إخوة الشياطين) ومقرها تل أبيب وإيلات ، وتتخذ النجمة السداسية والصليب المقلوب شعاراً لها ، ولها وجود في ألمانيا ، وفرنسا ، واليابان ، وجنوب أفريقيا ، وقد أقام مواطن أمريكي يدعى (أنوان ساندرولافي) - ويظهر من اسمه أنه يهودي - ، كنيسة ومحفلاً شيطانياً بأمريكا عام 1966 م ، ليمارس فيه هو وأتباعه طقوس عبادة الشياطين ، وكانوا يتناولون عقاقير الهلوسة ، ويعمّدون الأعضاء بالدم ، وينبشون القبور ، ويعملون على تحطيم دور العبادة وإحراقها " (2) .

أسباب تلك الظاهرة :

هذه الظاهرة الخبيثة ليست هي إلا صارفاً خبيثاً عن حقيقة عبادة الشيطان ، وهي من جهة أخرى تضخم خطيئاً لعبادة الشيطان الموجودة أصلاً بشكل كبير في عالم اليوم ، فهذه المجموعات الصغيرة ممن يُسمون بعبدة الشيطان إنما هم الورم

1 - مجلة منبر الإسلام - في قضية عبدة الشيطان - أحمد فتحي سرور - ص 91 - العدد 11 - ذو القعدة 1417 هـ ، 1997 م .

2 - مجلة البيان - عبدة للشياطين في مصر ؟ مظاهر الخلل وأسبابه وعلاجه - صفوت وصفي - ص 119 - العدد 113 - محرم 1418 هـ ، 1997 م .

الظاهر على السطح لهذا المرض المستشري في جسد العالم ، وقد أرجع صفوت وصفی أسباب هذه العبادة إلى أمور سبعة نوجزها هنا ليظهر لنا

جانبٌ من أسباب تلك الطاعة العمياء للشيطان :

- 1- سياسة تجفيف المنابع⁽¹⁾ التي ازداد أوارها بعد عملية السلام مع العدو الصهيوني ، حيث انبثق عنها بما يعرف بعمليات تطبيع العلاقات مع اليهود والتي استتبعت غربلة المناهج الدراسية وإجراء كثير من التعديلات والحذف لصالح هذا التوجه ، فضلاً عما هو موجود أساساً من تحجيم لمواد التربية الإسلامية .
- 2- دور الإعلام المتواصل عن طريق وسائله المتنوعة في إثارة نزوات الشباب من الجنسين ، وإشغالهم في الفكر الهابط الرديء والأغاني الماجنة والأفلام الخليعة .
- 3- سوء استغلال شبكات الاتصالات الحديثة (الإنترنت) والتي تحتوي على برامج تروج لمثل هذا الفكر المنحرف .
- 4- تحجيم التوعية الإسلامية من برامج ومحاضرات وندوات عن طريق العلماء والدعاة ، ولاسيما في الجامعات والنوادي والمراكز التربوية بدعوى أن لمن يلقونها أهدافاً غير مرضية عنها .
- 5- الحياة المترفة والمنفلتة التي تعيشها أسر هؤلاء الشباب بكل ما تعنيه الكلمة من معنى من شيوع التبجج والسفور والاختلاط بين الجنسين وترك مسؤولية تربية الأبناء للخدم أو للمدارس الداخلية ، والتي عادة ما تكون أجنبية الولاء .
- 6- المدارس المختلطة بين الجنسين في كثير من الدول العربية وخاصة الجامعات ، ووضع المناهج المختلطة ، ووصول الأمر إلى تدريب هؤلاء الشباب من الجنسين في دورات

¹ - هذه سياسة دولية برزت في أواخر التسعينيات من القرن الماضي وتهدف إلى مراقبة وتتبع وتجفيف مصادر الدعم المالي والمعنوي للحركات الإسلامية التي تسعى إلى استعادة الإسلام كنظام سياسي .

ومعسكرات مختلطة ، لا شك أنها وسيلة لإشاعة الفاحشة بينهم .

7- السياسة الأمنية المتطرفة حيال الاتجاهات الإسلامية في بعض الدول العربية ، والتي لا تفرق بين صالح وطالح ، ولا بين معتدل وغالٍ .⁽¹⁾

أسباب موالاة الشياطين :

وبعد هذا البيان لمعنى ولاية الشيطان ، وحدودها ، وكيفيتها ، لعلك تتساءل : ما الذي دفع هؤلاء الأولياء إلى مثل هذه الولاية ؟ أو بعبارة أخرى : ما هي تلك الفائدة المتحصلة من وراء تلك العلاقة ؟

نعم ، سؤال إذا كشف النقاب عن إجابته اتضح أمر تلك العلاقة بما لا يدع مجالاً للتعجب من كنه هذه الولاية ودوافعها ، وإذا أردنا أن نزيد الأمر وضوحاً جعلنا السؤال على النحو التالي : ما الذي دفع هؤلاء الأتباع ، وهم بهذه الكثرة ، إلى تولي الشيطان ، وماذا يجنون من وراء تلك الولاية ، ثم ماذا يجني الشيطان من وراء تلك الولاية ؟

لقد أجاب الحق سبحانه وتعالى عن هذه التساؤلات في غير موضع من كتابه العزيز ، فها هم أولاء الأتباع المضللون يصرحون بما كانوا يظنونهم استفادة متبادلة بينهم وبين الشيطان في الدنيا ، ويوضحون نوع هذه العلاقة وتناغمها يقول تعالى على ألسنتهم : { **وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا ...** }⁽²⁾ وقد ورد تفسير هذا الاستمتاع عند السلف كما ذكره ابن كثير حيث يقول في تفسير هذه الآية : " يعني أن أولياء الجن من الإنس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا ، روى ابن أبي حاتم : بسنده ، عن الحسن في هذه الآية قال : استكثر ربكم أهل النار يوم القيامة ، فقال أولياؤهم من الإنس : (ربنا استمتع بعضنا ببعض) . قال الحسن : وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس . وقال محمد بن كعب في قوله : (ربنا استمتع بعضنا ببعض) قال : الصحابة في الدنيا .

1 - انظر - مجلة البيان - أعيدت للشياطين في مصر ؟ مظاهر الخلل وأسبابه وعلاجه - صفوت وصفي - ص 123 ، 124 - العدد 113 - محرم 1418 هـ ، 1997 م .

2 - سورة الأنعام ، الآية 128

وقال ابن جریر : كان الرجل (في الجاهلية ينزل الأرض) ،
فيقول : أعوذ بكبير هذا الوادي . فذلك استمتاعهم فاعتذروا يوم
القيامة .

وأما استمتاع الجن بالإنس : فإنه كان فيما ذكر : ما ينال
الجن من الإنس في تعظيمهم إياهم في استعانتهم بهم ، فيقولون
: قد سُدْنَا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ . " (1)

وقد وضح الألويسي هذه العلاقة الجدلية بين الطرفين حيث
قال : " ربنا استمتع بعضنا ببعض " أي : انتفع الإنس بالجن حيث
دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها ، والجن بالإنس حيث
اتخذوهم قادة ورؤساء واتبعوا أمرهم فأدخلوا عليهم السرور بذلك
" (2) فتلك هي المصلحة المشتركة بين الشيطان وأتباعه ، يدل
الأول منهم الثاني على الشهوات والملذات ، وسبيلها وطرقها ،
وهي أمور يستمتع بها الأتباع ، ويزيد الثاني الأول عظمة وغروراً
ونشوة بالتعظيم والطاعة والاتباع والتسويد ، وقد بين الحق
سبحانه ما كان يقع من الأتباع من زيادة كبر الشياطين ، في سورة
الجن حيث ذكر مشهداً من ذلك في قوله تعالى : { **وَأَنَّهُ كَانَ**
رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
رَهَقًا } (3) وقد ذكر الماوردي في تفسيره ثمانية تأويلات لكنه
هذه العلاقة ، تدور حول احتمالين : إما زيادة الإنس للجن رهقاً ،
أو زيادة الجن للإنس رهقاً : " **أحدها** : طغياناً قاله مجاهد ،
الثاني : إثماً قاله ابن عباس وقتادة ، **الثالث** : خوفاً قاله أبو
العالية والربيع وابن زيد ، **الرابع** : كفراً قاله سعيد ابن جبیر ،
والخامس : أذىً قاله السدي ، **والسادس** : غياً قاله مقاتل ،
والسابع : عظمة قاله الكلبي ، **والثامن** : سفهاً حكاه ابن
عيسى " (4) أما إن كان المقصود أن يزيد الإنس الجن رهقاً فيكون
التأويل لهذا الرهق : إما طغياناً ، أو غياً ، أو عظمة ، أو سفهاً ،
وكلها متقاربة تدل على تلك المنفعة المتحصلة من تلك الولاية ،
وقد بين السعدي هذين الاحتمالين حيث قال : " أي : كان الإنس
يعوذون بالجن عند المخاوف والأفزاع ويعبدونهم ، فزاد الإنس
الجن رهقاً أي : طغياناً وتكبراً لما رأوا الإنس يعبدونهم
ويستعيذون بهم ، ويحتمل أن الضمير وهو (الواو) يرجع إلى
الجن أي : زاد الجن الإنس ذعراً وتخويفاً لما رأوهم يستعيذون

1 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 6 - ص 173

2 - روح المعاني - للألويسي - ج 8 - ص 38

3 - سورة الجن ، الآية 6

4 - النكت والعيون - للماوردي - ج 6 - ص 111

بهم ليلجئوهم إلى الاستعانة بهم والتمسك بما هم عليه فكان الإنسي إذا نزل بوادٍ مخوف قال : (أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه) " (1)

وفي الختام فإن ولاية الشيطان وعبادته لا تقتصر على مجرد صرف بعض الشعائر التعبدية لوثن من الأوثان أو رمز من الرموز ، وليس شرطاً في الولاية أن تجد الرجل يصلي ، ويركع ويسجد لوثن أقامه أو رمز قصده يقول الماوردي في تفسير آية التوبة التي ذكرنا قبل : " { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ } يعني آلهة يقبولهم منهم تحريم ما يحرمونه عليهم وتحليل ما يحلونه لهم ، فلذلك صاروا لهم كالآرباب وإن لم يقولوا إنهم آرباب " (2)

المطلب الثاني : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا والآخرة :

تلك هي ولاية الشيطان ، وتلك هي طاعته ، ولاية انتشرت بين الإنس والجن انتشار النار في الهشيم ، وطاعة قادت آربابها إلى تنكب الصراط المستقيم والوصول إلى نار الجحيم ، طريق آخره خراب ، ضلال في الدنيا ، وتبار في الآخرة ، ولكن للأسف كثير هم رواد هذا الطريق والسائرون فيه ، بل هم إلى الأكثر أقرب منهم إلى الكثير ، وتلك حقيقة قرآنية يقررها رب العزة على العموم حيث يقول تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } (3) ، وقوله : { وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... } (4) ، ويقرر رب العزة هذه الحقيقة فيمن خرجوا عن طاعة الله بالفسق فيقول : { وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } (5)

أما على صعيد هذا البحث ، فهذه الحقيقة مقررة في ثنايا الكتاب العزيز ، بدأ بإنظار إبليس ، وتوعده إذ ذاك بإغواء أكثر البشر ، ثم مروراً بتنفيذ ما توعد به الإنس والجن هو وجنوده من الشياطين ، ثم انتهاء بتبرئه من كل أتباعه يوم القيامة ، وسنتحدث حول هذه المسألة على مرحلتين :

الأولى : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا .

الثانية : كثرة أتباع الشيطان في الآخرة .

1 - تيسير الكريم الرحمن - للسعدي - ص 987

2 - النكت والعيون - للماوردي - ج 2 - ص 354

3 - سورة يوسف ، الآية 103 .

4 - سورة الأنعام ، الآية 116 .

5 - سورة المائدة ، الآية 49 .

المرحلة الأولى : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا :

أبى الرجيم إبليس أن يسجد لآدم إذ أمره ربه ، واستكبر ثم كفر ، وبدلاً من أن يتوب إلى ربه ويرجع عن غيه ، أخذته العزة بالإثم ، فتوعد أبناء آدم وكل من سار على الإيمان معهم بالغواية والإضلال ، وقال لربه أنه سوف يتخذ من ذرية آدم نصيباً مفروضاً ، وسوف لن يجد الله في نهاية المطاف من عباده إلا القليل الشاكر له ، يقول تعالى مخبراً عن توعد إبليس : { لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً } ⁽¹⁾ ومفروضاً : " معيناً مقدراً معلوماً : قال مقاتل بن حيان : من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة " ⁽²⁾ ، وقال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : " معنى الآية أن الشيطان لعنه الله قال عند ذلك : لأتخذن من عبادك حظاً مقدراً معيناً ، وهم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ... " ⁽³⁾ ، وقد زاد الحق سبحانه وتعالى هذا الأمر وضوحاً في سورة الأعراف فيما نقله على لسان إبليس عليه لعنة الله ، حيث يقول تعالى : { ثُمَّ لَأَنبِئَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } ⁽⁴⁾ ، وبعد انتهاء هذا المشهد السماوي ، ونزول آدم وحواء إلى الأرض ، واتباع إبليس وجنوده لهم بالغواية والإضلال في كل مكان ، ها هي نبوءة إبليس تتحقق فيخبر عز وجل أن ظنه على البشر قد صدق فاتبعوه إلا النزر اليسير ممن آمنوا بالله تعالى : { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ⁽⁵⁾ ، قد ذهب بعض المفسرين إلى أن مرجع الضمير في (عليهم) عائد إلى قوم سبأ لا إلى الناس أجمعين يقول الطبري : " ولقد ظن إبليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجناتهم جنتين ذواتي أكل خبط ، عقوبة منا لهم ، ظناً غير يقين ، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله فصدق ظنه عليهم باغوائه إياهم ، حتى أطاعوه وعصوا ربهم ، إلا فريقاً من المؤمنين بالله ، فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس " ⁽⁶⁾ ، وذهب الأكثر إلى عمومها في بني آدم والثقلين أجمعين ، وإن كانت في سياق قصة قوم سبأ يقول السعدي : " ثم

1 - سورة النساء ، الآية 118

2 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 4 - ص 277

3 - التفسير الكبير - للرازي - ج 11 - ص 38

4 - سورة الأعراف ، الآية 17

5 - سورة سبأ ، الآية 20

6 - جامع البيان - للطبري - ج 22 - ص 108

ذكر أن قوم سبأ من الذين صدق عليهم إبليس ظنه حيث قال لربه { **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوَّبُهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ** } (1) " (2) ، ويقول ابن عطية : " ومعنى الآية أن ما قال إبليس من أنه سيفتن بني آدم ويغويهم ، وما قال من أن الله لا يجد أكثرهم شاكرين وغير ذلك ظناً منه فصدق فيهم ، وأخبر الله تعالى عنه (فاتبعوه) وهو اتباع في كفر لأنه في قصة قوم كفار " (3) ، ولقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها أنها على العموم حيث قال " قال إبليس إن آدم خلق من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون خلقاً ضعيفاً وأنا خلقت من نار ، والنار تحرق كل شيء ، لأحتنكن ذريته إلا قليلاً قال : فصدق ظنه عليهم فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين قال : هم المؤمنون كلهم " (4) ، وقد أشار الفخر الرازي إلى أن هذه الحقيقة ، وهي كثرة أتباع الشيطان ، نقلية الثبوت كما هي عقلية الثبوت أيضاً حيث يقول : " فإن قيل : النقل والعقل يدلان على أن حزب الشيطان أكثر عدداً من حزب الله . أما النقل فقولته تعالى في صفة البشر (فاتبعوه إلا قليلاً منهم) (5) وقال حاكياً عن الشيطان { **لأَخْتَنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً** } (6) وحكي عنه أيضاً أنه قال { **لأَعُوَّبُهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ** } (7) ولا شك أن المخلصين قليلون .

وأما العقل : فهو أن الفساق والكفار أكثر عدداً من المؤمنين المخلصين ولا شك أن الفساق والكفار كلهم حزب إبليس . " (8) ، ويردُّ على هذه القضية - كثرة أتباع إبليس في الدنيا والآخرة - اعتراضٌ متعلق بقوله تعالى : { **لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً** } (9) فقيل : كلمة النصيب تدل على القلة ، أو على عدم الكثرة ، وقد ردَّ الفخر الرازي على هذا الاعتراض فقال : " لِمَ قال : (لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً) مع أن لفظ النصيب لا يتناول القسّم الأكثر وإنما يتناول الأقل ؟ . والجواب : أن هذا التفاوت إنما يحصل في نوع البشر ، أما إذا

1 - سورة ص ، الآيتان 82 ، 83 .

2 - تيسير الكريم الرحمن - للسعدي - ص 741

3 - المحرر الوجيز - لابن عطية - ج 4 - ص 417

4 - الدر المنثور - للسيوطي - ج 22 - ص 695

5 - سورة الأنعام ، الآية 153

6 - سورة الإسراء ، الآية 62

7 - سورة الحجر ، الآية 39

8 - التفسير الكبير - للرازي - ج 11 - ص 38

9 - سورة النساء ، الآية 118

صُمَّتْ زمرة الملائكة مع غلبة كثرتهم إلى المؤمنين كانت الغلبة للمؤمنين المخلصين ، وأيضاً فالمؤمنون وإن كانوا قليلين في العدد إلا أن منصبهم عظيم عند الله ، والكفار والفساق وإن كانوا كثيرين في العدد فهم كالعدم ، فلهذا السبب وقع اسم النصيب على قوم إبليس " (1)

وقد أثار العلماء القدماء والمحدثون سؤالاً حول هذه الآية يتعلق بظن إبليس في إضلال البشر فهل كان إبليس يعلم حقيقة أنه سيغوي هذا العدد الكبير من الناس ؟ وكيف حقق إبليس مقالته هذه بالتوكيد (لأحتنكن) (لأغوينهم) ، (ولا تجد أكثرهم شاكرين) ... ؟

لقد ذهب بعض العلماء في قديم وحديث إلى أن ما وقع من إبليس كان مجرد ظن إذ هو غير قادر أبداً على استشراف الغيب ومعرفة ما سوف يحصل في قابل الأيام ، وإنما دليلهم في ذلك قول الحق سبحانه في الآية السابقة { **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ** } (2) فكان إخبار الله تعالى بأن ما قاله إبليس هو ظن ، هو حجتهم فيما ذهبوا إليه ، يقول ابن عطية : " وذلك ظناً منه فصدق فيهم " (3) ، ويقول أبو حيان : " وهذا الإخبار منه كان على سبيل التظني لقوله { **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ** } (4) أو على سبيل العلم قولان ... " (5) ، ويقول السعدي : " وهذا ظن من إبليس لا يقين لأنه لا يعلم الغيب ، ولم يأت خبر من الله أنه سيغويهم أجمعين إلا من استثنى " (6) ، ويقول صاحب روح البيان فيما اختصره له الصابوني : " وإنما قال ذلك ظناً لا علماً لقوله تعالى { **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ** } (7) لما رأى فيهم مبدأ الشر وهو الشهوة والغضب والحسد والبغضاء " (8)

ولقد ذهب الكثير من العلماء إلى أن هذا الظن كان منه ليس مجرداً ، ولكن على علم مسبق بشكل من الأشكال وقد فسره أبو حيان بقوله : " وسبيل العلم إما رؤيته ذلك في اللوح المحفوظ أو استفادته من قوله { **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** }

1 - التفسير الكبير - للرازي - ج 11 - ص 38

2 - سورة سبأ ، الآية 20

3 - المحرر الوجيز - لابن عطية - ج 4 - ص 417

4 - سورة سبأ ، الآية 20

5 - البحر المحيط - لابن حيان - ج 5 - ص 23

6 - تيسير الكريم الرحمن - للسعدي - ص 742

7 - سورة سبأ ، الآية 20

8 - تنوير الأذهان من تفسير روح البيان - الأصل للبروسوي ، والتنوير للصابوني - ج

(1) أو من الملائكة بإخبار الله لهم ، أو بقولهم { **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَرَأً يُفْسِدُ فِيهَا** } (2) ، أو بإغواء آدم ، وذريته أضعف منه ... " (3) .
ويقول الطاهر بن عاشور : " وقوله : { **وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** } (4) زيادة في بيان قوة إضلاله بحيث لا يفلت من الوقوع في حباله إلا القليل من الناس وقد علم ذلك بعلم الحدس وترتيب المسببات . " (5) .

ويقول الميداني : " ونتساءل : ما الذي جعل إبليس يخبر أن خطته ستنجح في المستقبل ، عبر تاريخ الإنسان في الأرض ، فيكون أكثرهم كفورين لربهم ؟
أقول : لقد كان هذا ظناً منه ، مستنداً إلى ما رآه من عوامل ضعف تكوينه وتأثير أهوائه وشهواته وغرائزه على إراداته ، وإمكان استهوائه بها .

وربما قاس الإنسان على ما سبق أن عرفه من طبيعة الجن ، ذوي الإرادات الحرة والأهواء والشهوات والغرائز ، وهذه مشابهة لما لدى الإنسان . والدليل على أن هذا قد كان ظناً من إبليس مستنداً إلى أمارات لاحظها ، قول الله عز وجل في سورة (سبأ/34 مصحف 58 نزول) (6) في معرض الحديث عن سبأ ومعاقبتهم بالسيل العرم وتمزيقهم كل ممزق : { **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيحاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** } (7) " (8)

وبعد النظر في رأي الفريقين وحجة كل منهما ، نرى أن الفريق الأول لم يكن له من الأدلة سوى التمسك بآية سبأ على ظاهر نصها ، أما الفريق الثاني فلم يتجاهل هذه الآية ولم يقل أبداً أن إبليس تيقن في لحظة من اللحظات بما يقول ، بل كل ما قاله من تواعد وتهديد إنما كان على سبيل الظن ، ولكن ليس الظن المجرد ، وإنما الحدس المبني على أصول وقواعد ، سار عليها واتبعها ، فبنى النتائج على المقدمات واستفاد من التجارب السابقة ، فكانت النتيجة لديه ظناً لا يقيناً أنه سيقدر على إغواء

1 - سورة سبأ ، الآية 13 .
2 - سورة البقرة ، الآية 30 .
3 - البحر المحيط - لأبي حيان - ج 5 - ص 23
4 - سورة الأعراف ، الآية 17
5 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - ج 8 - ص 50-51
6 - يرتب الميداني تفسيره (معارج التفكير ودقائق التدبر) على زمن نزول السور القرآنية مبتدأ بأولها نزولاً ثم ما يليها وهكذا .
7 - سورة سبأ ، الآية 20
8 - معارج التفكير ودقائق التدبر - للميداني - ج 4 - ص 124-125
-78-

بني آدم وسائر المؤمنين ، وعلى ذلك يكون كل ما ذكر العلماء من مقدمات بني عليها إبليس ظنه هذا ، صحيحة ، فهو استفاد من تجربته من قبل مع الجن حيث كان فساق وكفار الجن يغوون المؤمنين منهم - وإن كان إبليس إذ ذاك ليس واحداً من الفساق والكفار - ، وهو أيضاً رأى ما هنالك من ضعف في طبيعة آدم وخلقه ، وهكذا ومما يستدل عليه في هذا المجال القراءات الصحيحة التي قرئت بها آية سبأ ، حيث تدل بعضها على أن إبليس لما ظن هذا الظن عمل جاداً لأجل تحقيقه ، لأنه يعلم أنه بناه على أسس صحيحة قابلة للتطبيق يقول ابن عطية : " قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر (ولقد صدّق) بتخفيف المدال (إبليس) رفعا (ظنه) بالنصب على المصدر ، وقيل على الظرفية أي في ظنه ، وقيل على المفعول على معنى أنه لما ظن عمل عملاً يصدق به ذلك الظن ، فكأنما أراد أن يصدق ظنه وهذا من قولك أخطأت ظني وأصبت ظني وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (صدّق) بتشديد الدال فالظن على هذا مفعول ب (صدّق) " (1) .

المرحلة الثانية : كثرة أتباع الشيطان في الآخرة :

إذا كانت تلك هي صورة أكثر الإنس والجن في الدنيا.. أتباع للشيطان ، وانجراف في طريق الضلال والعصيان ، وتكذب لصراط الرحمن ، فإن النتيجة الطبيعية بعد انتهاء هذه الدنيا وقيام الناس ليوم الحساب ، هي ثلة من الكافرين ، وقليل من المؤمنين ، أنبياء لا ترى معهم إلا الرجل والرجلين ، وشياطين يفرون من كثرة أتباعهم .

وقد تقررت هذه الحقيقة المريرة في كثير من آيات الكتاب العزيز ، يقول الحق سبحانه : { وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ } (2)

ويقول تعالى في بيان هذه الخاتمة : { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (3) " (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) يقول : وجب العذاب مني لهم . وقوله : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ

1 - المحرر الوجيز - لابن عطية - ج 4 - ص 417

2 - سورة الأعراف ، الآية 179

3 - سورة السجدة ، الآية 13

الْحِجَّةَ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) يعني : من أهل المعاصي والكفر بالله منهم " (1)

ويقرر الحق سبحانه أتباع إبليس يوم القيامة حيث لا ينفع الندم ، بتلك الحقيقة المريرة من أن إبليس قد خدعهم فاستكثر منهم فصدق عليهم ظنه ، يقول تعالى : { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ... } (2) فعن ابن عباس : " يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس يعني أضللتهم منهم كثيراً وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة " (3) ، وقد استطرده الألويسي في بيان معشر الجن وما وقع منهم من إضلال فقال : " والمراد بالجن أو بمعشرهم على ما قيل الشياطين ، وذكر بعض الفضلاء أن الجن يقال على وجهين ، أحدهما للروحانيين المستترين عن الحواس كلها فيدخل فيهم الملائكة والشياطين ... وأيما كان فالمقصود بالنداء الأشرار الذين يغوون الناس فإنهم أهل للخطاب بقوله سبحانه : (قد استكثرتم من الإنس) أي أكثرتم من إغوائهم وإضلالهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ، والزجاج ، فالكلام على حذف مضاف أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كما يقال : استكثر الأمير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقرير " (4)

ثم يزيد الحق سبحانه في تقرير أتباع الشيطان يوم القيامة وتوبيخهم ، مذكراً إياهم بالعقل الذي أعطاهم في الدنيا وكيف أنه لم ينفعهم ، بل قادهم إلى هذا المصير الأسود يقول تعالى : { وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ } (5) أي : ولقد صد الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي وإفرادي بالالوهية ، حتى عبدوه ، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها " (6) ، ويقول صاحب التفسير المنير : " أي لقد أغوى الشيطان خلقاً كثيراً ، وزين لهم فعل السيئات ، وصددهم عن طاعة الله وتوحيده ، أفلم تعقلوا عداوة الشيطان لكم ، وتبتعدوا عن مثل ضلالات السابقين ، حتى لا تعذبوا مثلهم " (7)

ولقد ورد على هذه الحقيقة القرآنية أيضاً بعض التعارضات الموهمة نوعاً من التناقض ، وأهم تلك التعارضات الظاهرية ما

1 - جامع البيان - للطبري - م 11 - ج 21 - ص 119

2 - سورة الأنعام ، الآية 128

3 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 6 - ص 172-173

4 - روح المعاني - للأولسي - ج 8 - ص 37-38

5 - سورة يس ، الآية 62

6 - جامع البيان - للطبري - م 12 - ج 13 - ص 31

7 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 23 - ص 37

جاء عند البخاري وغيره من الحديث الذي سيأتي ذكره من طريق أبي هريرة وفيه (ولكل واحدة منكما ملؤها) أي للجنة كما للنار ملؤها من أهلها ، فهذا يوهم أن أهل الإيمان يوم القيامة هم كأهل الكفر من حيث العدد حيث تُملأ بهم الجنة كما تُملأ بأهل النار .
وقبل أن نرد على هذا التعارض يحسن بنا أن نورد الحديث كاملاً ففي إيراده بعض الجواب إن شاء الله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال " قال النبي صلى الله عليه وسلم : تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ، قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تُملئ ، حتى يضع رجله فتقول قط قط فها هنا لك تمتلئ ، ويزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً" (1) .

وقد بين الحافظ ابن حجر في سياق تفسيره لهذا الحديث الجواب على الاعتراض السابق حيث يقول : " ويفهم جوابه من التفصيل الواقع ثالث أحاديث الباب حيث قال فيه (ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار) فذكر الحديث وقال فيه (ولا يظلم الله من خلقه أحداً) فإن فيه إشارة إلى أن الجنة يقع امتلاؤها بمن ينشئهم الله من أجل ملئها ، وأما النار فلا ينشئ لها خلقها ، بل يفعل فيها شيئاً عبر عنه بما ذكر ، يقتضي لها أن ينضم بعضها إلى بعض ، فتصير ملأى ولا تحتمل مزيداً ، وفيه دلالة على أن الثواب ليس موقوفاً على العمل ، بل ينعم الله بالجنة على من لا يعمل خيراً قط كما في الأطفال" (2) .

المطلب الثالث : أولياء الشيطان وصفاتهم :

وكي يستوي هذا المبحث على سوقه ويؤتي أكله ، نختمه بذكر هؤلاء الأصناف الذين وقعت عليهم ولاية الشيطان ، وبيان صفاتهم الرئيسية التي اكتسبوها من تلك الولاية وسنبداً الحديث عن أولياء الشيطان ثم عن صفاتهم :

أولاً : أولياء الشيطان :

1 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب التفسير -

باب : وتقول هل من مزيد - ص 414 - ح 4850 .

2 - فتح الباري - لابن حجر - ج 8 - ص 462

لا نقصد هنا تعريف أولياء الشيطان أو بيان ماهية ولايتهم ، فقد بينا ذلك في المطلب الأول من هذا المبحث ، ولكن يأتي هذا القسم هنا تنمة للولاية ، حيث نذكر أولئك الأصناف من البشر وغيرهم ، والتي تقع فيهم تلك الولاية كما ذكرهم رب العزة في كتابه ، وإذا تتبعنا آيات الذكر الحكيم ، وجدنا أن أولياء الشيطان ينضون تحت صنف عام شامل لهم جميعاً ، ألا وهو صنف الكفار والمشركين ، فهم من أعلن العداء لمنهج الحق ، واتبعوا منهج الباطل فاتخذوا الشيطان ولياً من حيث يدرون أو لا يدرون ، فبمجرد كفرهم بالله وإشراكهم معه غيره في العبادة اتخذوا الشيطان ولياً من دون الله ، يقول تعالى : { **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** } ⁽¹⁾ ، يقول الزحيلي : " وأما الكافرون بالله ورسوله فلا سلطان على نفوسهم إلا لمعبوداتهم الباطلة التي تقودهم إلى الضلال ، فإن لاح لهم نور الحق والإيمان بادر الشيطان وما يليق به من وساوس إلى إطفاء هذا النور ، وإبقاء الكفار في ظلمات الشك والضلال ، والكفر والعصيان ، أو النفاق والتردد " ⁽²⁾ .

وهذا الصنف من الأولياء هو صنف شامل لكل من وإلى الشيطان؛ فالكفر عموم يدخل فيه اليهود والنصارى والمنافقون نفاقاً أكبراً ، كما هو مقرر في كثير من آيات الكتاب العزيز : { **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي تَارِجِهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ** } ⁽³⁾ ، { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ**

1 - سورة البقرة ، الآية 257

2 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 3 - 23

3 - سورة البينة ، الآية 5.

الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَتَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فَيْكُمْ أَحَدًا
أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } (1)

، ولذا فقد وقع تفسير الكفار أولياء الشيطان في هذه الآية على أنهم رؤوس الكفر من اليهود وغيرهم ، فقد نقل البغوي عن مقاتل بن حيان في هذه الآية : " يعني كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة " (2) .

وتحت هذا اللواء الكبير ، لواء الكفار والمشركين أولياء الشيطان ، تتميز أنواع من البشر دخلوا إلى ساحة الكفر وولاية الشيطان من باب من أبواب الكفر وقد ذكر القرآن الكريم من هؤلاء الأتباع للشيطان ثلاثة أصناف سنقف على ذكرهم بعد قليل ، ولا يعني ذكر هؤلاء الأصناف أن غيرهم ليس من أتباع الشياطين ، بل -كما ذكرنا- فقد أجمل القرآن أولياء الشيطان في زمرة الكفار والمشركين بالله ، مع ما تحتوي هذه الزمرة من أصناف كثيرة ، ولكنه هنا يخص هذه الأصناف الثلاثة بالذكر لأهمية إبرازها للطائفة المؤمنة ، ولكي يحذّر منها المؤمنين ، ويبين لهم أن هؤلاء إنما هم أتباع الشيطان ، مهما اتخذوا من ستائر يخفون تحتها مكرهم وكيدهم بالمسلمين ، نعم إنهم أصناف اشتد خطرهم على أمة الإسلام بوحى من الشيطان، هؤلاء هم : اليهود ، والمنافقون ، والكهنة والسحرة والمشعوذون :

1- اليهود :

لا يعد هذا الجنس من البشر أكثر أتباع الشيطان فحسب ، بل إن أكثرهم هم الشياطين بعينهم ، ولذلك ورد ذكرهم والتنفير منهم في أول سورة البقرة ، مطلع كتاب الله عز وجل حيث وصفهم الله بالشياطين ، حيث إنهم هم أسياد الكفار والمنافقين الذين يفضون إليهم بالولاء والكفر ، فهم المقصودون بقوله تعالى : { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى

¹ - سورة الحشر ، الآية 11 .

² - معالم التنزيل - للبغوي - ج 1 - ص 350 .

شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } (1) أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس قال : " (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) قال : كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو بعضهم ، قالوا : إنا على دينكم ، وإذا خلوا إلى أصحابهم - وهم شياطينهم - (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) ، وعن ابن عباس : وإذا خلوا إلى شياطينهم من يهود الذين يأمرونهم بالكذب) " (2) وقد بينهم ابن عباس حيث قال : " وهم خمسة نفر من اليهود : كعب بن الأشرف بالمدينة ، وأبو بردة في بني أسلم ، وعبد الدار في جهينة ، وعوف بن عامر في بني أسد ، وعبد الله بن السوداء بالشام ، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له " (3) فهذا الذي نقل الطبري بعض أقوال أهل التأويل في الشياطين ، ولا يعني كون اليهود أكثرهم شياطين أنهم لم يتبعوها بل إنهم الأكثر أتباعاً لها ، فمنهم من ارتقى في سلم الاتباع فانتقل من الذيل إلى الرأس فصار شيطانياً ، ومنهم من بقي تابعاً لأسياده ، ولذلك تجد القرآن الكريم يخبر أنهم اتبعوا الشياطين في صناعة السحر ، كمثل علي إغراقهم في اتباع الشيطان يقول تعالى : { وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلْطَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَازُوتَ وَمَأْرُوتَ ... } (4) يقول الطبري : " يعني بقوله : (واتبعوا ما تتلو الشياطين) الفريق من أحيار اليهود وعلمائهم الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على موسى وراء ظهورهم ، تجاهلاً منهم وكفراً بما هم به عالمون ، كأنهم لا يعلمون . فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه عليه الصلاة والسلام ، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه ، وأثروا السحر الذي تلتته الشياطين " (5) .

ويتبع اليهود في هذه الولاية للشيطان النصاري ، على أن كثيراً منهم ضالون يتبعون الشيطان ولا يصلون إلى حد المكر والتحول من التبعية إلى العتو والتمرد والإغواء ، وهذا ما تقرره

1 - سورة البقرة ، الآية 12

2 - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 169 ، 170

3 - معالم التنزيل - للبخاري - ج 1 - ص 89

4 - سورة البقرة ، الآية 102

5 - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 583

سورة الفاتحة التي وصفت اليهود بالمغضوب عليهم لشدة مكرهم وكثرة شياطينهم ، والنصارى بالضالين لغفلتهم وتيهيم .

2- المنافقون :

وفي كل زمان ومكان وعلى مر الأزمان وفي خضم الصراع بين الحق والباطل ، وبين الشيطان والإيمان تظهر فئة تتبع نفسها للشيطان ، ولكن على خوف ، أو مكر لأهل الإيمان فتسر الولاء للشيطان في القلوب ، وتظهر الإيمان على الألسنة ، هؤلاء هم المنافقون الذين اتبعوا الشيطان ، ولشدة خطر هذه الفئة على المسلمين قرنهاً الله تعالى باليهود في مطلع كتابه العزيز حين تحدث عن هذه الظاهرة المقيتة ، حيث يأخذ المنافقون أوامرهم من أسيادهم من الشياطين ، ويظهرون الإيمان كذباً على المؤمنين ، يقول تعالى : { **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** } ⁽¹⁾ "يعني هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار ... " ⁽²⁾ وقد أسهب الطبري في وصف هذا الموقف فقال : " هذه الآية نظيرة الآية الأخرى التي أخبر الله جل ثناؤه فيها عن المنافقين بخداعهم الله ورسوله والمؤمنين ، فقال : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله : (وما هم بمؤمنين) وإنهم بقليلهم ذلك يخادعون الله والذين آمنوا . وكذلك أخبر عنهم في هذه الآية أنهم يقولون للمؤمنين المصدقين بالله وكتابه ورسوله بالسنتهم : آمنا وصدقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله ، خداعاً عن دمائهم وأموالهم وذرياتهم ، وذراً لهم عنها وأنهم إذا خلوا إلى مردتهم وأهل العتو والشر والخبث منهم ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله - وهم شياطينهم ... قالوا لهم : (إنا معكم) ، أي إنا معكم على دينكم ، وظهرواؤكم على من خالفكم فيه ، وأولياؤكم دون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم " ⁽³⁾ .

وقد ظهر التلازم بين المنافقين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى في اتباعهم جميعاً سبل الشيطان ، عند قوله تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ آزَدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ** } ⁽⁴⁾ ، فقد ذهب بعض أهل السلف إلى أن هذه الآية تتحدث عن المنافقين ، وذهب فريق آخر

1 - سورة البقرة ، الآية 12

2 - معالم التنزيل - للبعوي - ج 1 - ص 89

3 - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 169

4 - سورة محمد ، الآية 25

منهم إلى أنها في حق أهل الكتاب من يهود ونصارى ، فعن ابن عباس ، والضحاك ، والسدي : " هم المنافقون قعدوا عن القتال بعدما علموه في القرآن " (1) ، وعن الضحاك ، وابن عباس في قول : " هم أهل الكتاب " (2) وعن قتادة وابن جريح مثلهم (3) . يقول الشنقيطي : " الظاهر أن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ، قوم كفروا بعد إيمانهم . وقال بعض العلماء هم اليهود الذين كانوا يؤمنون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما بُعث وتحققوا أنه هو النبي الموصوف في كتبهم كفروا به . وعلى هذا القول فارتدادهم على أدبارهم هو كفرهم به بعد أن عرفوه وتيقنوه ، وعلى هذا فالهدى الذي تبين لهم هو صحة نبوته صلى الله عليه وسلم ومعرفة بالعلامات الموجودة في كتبهم ... وقال بعض العلماء نزلت الآية المذكورة في المنافقين ، وقد بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : إن سبب ارتداد هؤلاء القوم من بعد ما تبين لهم الهدى هو إغواء الشيطان لهم كما قال تعالى مشيراً إلى علة ذلك (الشيطان سول لهم) أي زين لهم الكفر والارتداد عن الدين ، وأملى لهم أي مد لهم في الأمل ووعدهم طول العمر " (4) .

والظاهر من كلام الشنقيطي ميله إلى كون هؤلاء من اليهود وهو على عكس ما ذهب إليه الطبري حيث رجح كونهم من المنافقين فيقول في تفسير هذه الآية : " وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا ، أشبه منها بصفة أهل الكتاب ، وذلك أن الله عز وجل أخبر أن ردتهم كانت يقيلمهم { لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ } (5) ولو كانت من صفة أهل الكتاب ، لكان في وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدوا من أجل قيلهم ما قالوا " (6) .

وقد بينت الآية التالية من سورة محمد مدى خطورة هؤلاء الشياطين وأتباعهم حيث يقول الحق سبحانه : { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ } (7) " أي ذلك الإملاء لهم حتى يتمادوا في الكفر بأنهم قالوا - يعني المنافقين واليهود - (للذين كرهوا

1 - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ج 8 - 531 ، 532

2 - جامع البيان - للطبري - م 13 - ج 26 - ص 72

3 - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ج 8 - ص 531 ، 532

4 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - للشنقيطي - ج 5 - ص 145

5 - سورة محمد ، الآية 26

6 - جامع البيان - للطبري - م 13 - ج 26 - ص 72 .

7 - سورة محمد ، الآية 26 .

ما نزل الله (وهم المشركون (سنطيعكم في بعض الأمر) أي مخالفة محمد والتظاهر على عداوته ، والعود عن الجهاد معه ، وتهوين أمره في السر " (1) ، فالتظاهر على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والكيد للإسلام لا يزال مستمراً قائماً على دين الله وأتباعه إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

3- الكهنة والسحرة والمنجمون :

ومن تلك الطائفة ، ومن هذه الطائفة ، من أولئك اليهود ، ومن هؤلاء المنافقين ، وبالعموم من الكفار والمشركين ، تبرز طائفة مفسدة بايعة الشيطان ، واتحدت معه في الأهداف ، فأخذوا يضلون الناس بما علمهم أسيادهم من الشياطين هؤلاء هم الكهان والمشعوذون من سحرة ومنجمين ، هم من تنزل عليهم الشياطين يقول تعالى : { هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ * تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهُمْ كَاذِبُونَ } (2) وقد بين ابن الزبير رضي الله عنهما أن هذه الآية نص في وحي الشيطان إلى أوليائه ، فهم - أي هؤلاء الكهنة - متصلون بشياطينهم اتصالاً مباشراً بالإيحاء والوسواس : " أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن سعيد بن وهب قال : كنت عند عبد الله بن الزبير ف قيل له : إن المختار (3) يزعم أنه يوحى إليه فقال ابن الزبير : صدق ثم تلى { هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ * تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ } (4) " (5) . هؤلاء الأفاكون الآثمون هم الكهان والعرافون يقول قتادة : " الأفاك : الكذاب . وهم الكهنة ، تسترق الجن السمع ثم يأتون

1 - الجامع لآيات الأحكام - للقرطبي - ج 8 - ص 531 ، 532 .

2 - الشعراء ، الآيات 221 - 223 .

3 - هو : المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق ، من زعماء النصارى على بني أمية ، شاعت الأخبار عنه بأنه ادعى النبوة ، ونزل الوحي عليه ، وأنه كان لا يُقف له على مذهب ، مات سنة 67 هـ - الأعلام - للزركلي - ج 7 - ص 192 .

4 - سورة الشعراء ، الآيات 221 ، 222 .

5 - الدر المنثور - للسيوطي - ج 6 - ص 323 .

به إلى أوليائهم من الإنس " (1) ، ويوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية هذا التنزل فيما تروييه عائشة قالت : " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس عن الكهان فقال ليس بشيء فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة " (2) ، ويقول قتادة في هذا التنزل : " كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتسمع ، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم ، فتحدث الكهنة بما أنزلت به الشياطين من السمع وتخلط به الكهنة كذباً كثيراً فيحدثون به الناس فأما ما كان من سمع السماء فيكون حقاً وأما ما خلطوا به من الكذب فيكون كذباً " (3) .

ويظهر استفحال خطر هذه الفئة من الناس وأعاونهم في كون هؤلاء كذابون أفاكون مفترون ، يصل الحد بهم إلى الافتراء على الله والكذب عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك جاء الحديث عنهم في سورة الشعراء في سياق دفاع الله سبحانه وتعالى عن وحيه لنبيه وعن هذا القرآن العظيم ، يقول ابن كثير : " يقول تعالى مخاطباً لمن زعم من المشركين أنما جاء به الرسول ليس حقاً وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه ، أو أنه أتاه به ربي من الجن فنزه الله - سبحانه - جناب رسوله عن قولهم وافتراءهم ، ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله ، وأنه تنزيله ووحيه ، تنزل به ملك كريم أمين عظيم ، وأنه ليس من قبيل الشياطين ، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم ، وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة ، ولهذا قال : (هل أنبئكم) أي : أخبركم (على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم) أي : كذوب في قوله ، وهو الأفاك الأثيم ، أي الفاجر في أفعاله ، فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين

1 - المرجع السابق - ج 6 - ص 323.

2 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب الطب - باب : الكهانة - ص 492 - ح 5762 . .

3 - الدر المنثور - للسيوطي - ج 6 - ص 333.

كالكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة ، فإن الشياطين أيضاً كذبة فسقة " (1) .

شياطين اليوم :

ويدخل في هؤلاء المجرمين المفترين على الله ، الكذابين الأفاكين ، ما نراه اليوم من أهل التنجيم والتخمين والحدس الباطل ، أولاء الذين يمتهنون قراءة ما يسمونه بأبراج الإنسان ويتنبئون من خلالها بما سيحدث له ، أولاء كلهم هم أتباع الشيطان ، المذنبين يضللون الناس ويكذبون عليهم ، وللأسف فقد امتلأت صحف المسلمين ومجلاتهم وإذاعاتهم ووسائل إعلامهم بمثل هذا الكذب والتنجيم ، ففتحوا بذلك باحة واسعة يرتع فيها الشياطين ؛ فيفسدوا على الناس دينهم ، ويقودوهم إلى سبيل الضلال .

وأسوق هنا فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله حول الأبراج والطاقع والنجوم يقول : " الحمد لله : ما يسمى بعلم النجوم والأبراج والحظ والطاقع من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها ، وبيان أنها من الشرك لما فيها من التعلق بغير الله تعالى ، واعتقاد الضر والنفع في غيره ، وتصديق العرافين والكهنة الذين يدعون علم الغيب زوراً وبهتاناً لبيتزوا أموال الناس ويغيروا عقائدهم ، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » (2) وما رواه البزار بإسناد جيد عن عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليس منا من تطير أو تُطير له ، أو تكهن أو تُكهن له ، أو سحر أو سُحر له » (3) ومن ادعى معرفة علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن ، وإما مشارك له في المعنى ، لأن الله تعالى استأثر بعلم الغيب ، فقال عز وجل { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ } (4) ونصيحتي لكل من يتعلق بهذه الأمور أن يتوب إلى الله ، ويستغفره وأن يعتمد على الله وحده ، ويتوكل عليه في كل الأمور، مع أخذه بالأسباب الشرعية والحسية

1 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 10 - ص 383 .

2 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - سنن أبي داود - كتاب الكهانة والتطير - باب في النجوم - ص 1510 - ج 4905 ، صححه الألباني - صحيح الجامع الصغير وزيادته - ج 6074 - ص 2 - ج 1049 .

3 - أخرجه البزار في زوائده - مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد - لابن حجر - ج 1170 - ج 1 - ص 646 ، صححه الألباني - السلسلة الصحيحة - ج 2195 - ج 5 - ص 228 .

4 - سورة النمل ، الآية 65 .

المباحة ، وأن يدع هذه الأمور الجاهلية ويتعد عنها ، ويحذر سؤال أهلها أو تصديقهم طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وحفاظاً على دينه وعقيدته " (1) .

ثانياً : صفات أولياء الشيطان :

هؤلاء الأولياء الذين باعوا أنفسهم للشيطان ، فساروا في دربه ، ودعوا إلى غيه ، لا بد أن يكونوا قد اتصفوا بصفات سبغتها عليهم تلك الولاية ، وهي صفات مخصوصة ، أكسبها الشيطان لأوليائه كي يقوموا بمهمتهم في مساعدة الشيطان في الإغواء ، ونذكر هنا ما أبرزه كتاب الله تعالى من تلك الصفات :

1- الجدل بالباطل :

يحتاج الباطل في حربه الضروس ضد الحق إلى ظهراء وأعوان ، يواجهون أهل الحق تارة ، ويكيدون لهم تارة أخرى ، يزينون الباطل مرة ، وينفرون من الحق مرة أخرى ، وهم يستمدون في كل ذلك الدعم والتأييد من الشياطين ، وقد جندت الشياطين على مر الزمان من أوليائهم من وقفوا أمام أهل الحق وواجهوهم بالطعن في حقائق دين الله ، وتتبع دقائقه ومحاوله إظهار هذا الدين العظيم على غير الصورة التي ارتضاها الله للبشر ، هذا الهجوم على أهل الحق هو الجدل بالباطل ، يقول تعالى : { **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ** } (2) " ويعني بقوله (من يجادل في الله بغير علم) : من يخاصم في الله ، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلي ، وصار تراباً ، بغير علم يعلمه ، بل بجهل منه بما يقول . (ويتبع) في قلبه ذلك ، وجداله في الله بغير علم (كل شيطان مرید) . " (3) .

وقد بين الحق سبحانه أنما يقوله هؤلاء الأولياء من جدال ، وما يفعلونه ويظهرونه من عداة لأهل الحق ، إنما هو من وحي الشيطان إليهم وتسويله لهم ، يقول تعالى : { **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ** ... } (4) " أي إن شياطين

1 - نقلت بتصريف من مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز - رحمه الله - ج 2 - ص 123

2 - سورة الحج ، الآية 3

3 - جامع البيان - للطبري - م 10 - ج 17 - ص 149

4 - سورة الأنعام ، الآية 121

الإنس والجن لیوسوسون إلى أولیائهم وأعوانهم من المشركین لیجادلوا محمداً وصحبه فی أكل المیتة ... " (1).

وقد حذر المولى فی سباق الآیة السابقة من طاعة مثل هؤلاء المجادلین بالباطل { **وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** } (2) فهذا نكیر كبير على من أطاع أهل الجدل بالباطل ، فاتبعوا ما أرادوا من قلب حقائق هذا الدین ، فقد أخرجهم الحق سبحانه من الدین الحق ، إذ لم یعودوا یستحقون الانتماء إليه بصنیعهم هذا ، وقد نقر دیننا الحنیف من الجدل وكثرته حتى وإن كان الإنسان محقاً لما یفضی إليه كثرة الجدل من الخلاف والتنازع وإثارة الشكوك ، ولكون هذه الصفة هی لصیقة بأولیاء الشیطان ، یقول صلی الله علیه وسلم فیما رواه عنه أبو هریرة : " المرء فی القرآن كفر " (3) فهذا تنفییر شدید من المجادلین فی دین الله وآیاته ، ومن جهة أخرى ینشر صلی الله علیه وسلم من ترك المرء بییت فی الجنة ، فعن أبی أمامة رضی الله عنه قال : قال صلی الله علیه وسلم : " أنا زعیم بییت فی ربض الجنة لمن ترك المرء وإن كان محقاً ، وبییت فی وسط الجنة لمن ترك الكذب ولو كان مازحاً ، وبییت فی أعلى الجنة لمن حسن خلقه " (4) ، والأحادیث فی فضل ترك المرء كثیرة.

وقد ساق الحق سبحانه فی كتابه العزیز مثلین لقضیتین كثر الجدل فیهما من قبل أهل الباطل ، میناً تعالی ذكره کیفیة مكر هؤلاء الشیاطین وأولیائهم فی تتبع دقائق الأمور ولطائفها ،

1 - التفسیر المنیر - للزحیلی - ج 8 - ص 23

2 - سورة الأنعام ، الآیة 121

3 - موسوعة الحدیث الشریف - الكتب الستة - سنن أبی داود - كتاب السنة - باب : النهی عن الجدل فی القرآن - ص 1561 - ح 4603 ، ذكره الألبانی فی صحیح الجامع الصغیر - ج 2 - ح 6687 .

4 - المرجع السابق - كتاب الأدب - باب : حسن الخلق - ص 1576 - ح 4800 ، ذكره الألبانی فی صحیح الجامع الصغیر - ج 1 - ح 1464 .

والدخول على الناس من أبواب الهوى والضعف في العقول ،
ونذكر هنا هذين المثليين ليتبين مدى مكر الشيطان ، ومدى
خطورة الجدل :

المثل الأول :

وقد ذكره الله تعالى في سورة الأنعام في سياق الحديث
عما أحل الله لنا من النعم وما حرم يقول تعالى : { **وَلَا تَأْكُلُوا
مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ
لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ
لَمُشْرِكُونَ** } (1) وقد ذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية ما
ورد عن ابن عباس رضي الله عنه حيث قال : " أتى ناس إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، أأكل ما نقتل
، ولا نأكل ما يقتل الله ؟ فأنزل الله : (فكلوا مما ذكر اسم الله
عليه إن كنتم بآياته مؤمنين - إلى قوله تعالى - وإن أطعتموهم
إنكم لمشركون) (2) .

وأخرج أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عباس في قوله
(وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) قالوا : ما ذبح
الله لا تأكلون ، وما ذبحتم أنتم تأكلون ؟ فأنزل الله هذه الآية (3)
وقد ذكر الطبري قصة شبيهة بما نقل السيوطي ولكنه بيّن فيها
من هم أولاء الذين أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومن أوحى
لهم بمثل هذا الجدل " فقد أخرج الطبري بسنده عن عكرمة : لما
نزلت هذه الآية بتحريم الميتة ، قال : أوحى فارس إلى أوليائها
من قريش أن خاصموا محمداً - وكانت أولياؤهم في الجاهلية -
قالوا له : إن ما ذبحت فهو حلال ، وما ذبح الله - قال ابن عباس :
بشمشار (4) من ذهب - فهو حرام فأنزل الله هذه الآية (وإن
الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) قال : الشياطين : فارس ،

1 - سورة الأنعام ، الآية 121 .

2 - سورة الأنعام ، الآيات 118 - 121 .

3 - لباب النقول في أسباب النزول - للسيوطي - ص 124 .

وأولياؤهم : قريش ... ومن طريق آخر عن عكرمة ... وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء ... وعن عبد الله بن كثير قال : سمعت أن الشياطين يوحون إلى أهل الشرك يأمرونهم أن يقولوا : ما الذي يموت والذي تذبحون إلا سواء ! يأمرونهم أن يخاصموا بذلك محمداً صلى الله عليه وسلم ... وعن ابن عباس قال : لما حرّم الله الميتة أمر الشيطان أوليائه ، فقال لهم ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم ، فقال الله { **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** } ⁽¹⁾ فمجملة الروايات التي ساقها الطبري تبين هذه الأكذوبة والجدل المدني الذي اتبعه الشيطان وأولياؤه في التلبيس على المؤمنين ، والناظر في هذا الجدل الذي ساقه المجرمون ، وفي تلك الحجج الواهية في الاعتراض على تحريم الميتة ، ليدرك تماماً ميراث الشياطين عن أبيهم إبليس - لعنة الله عليه - فهذه الحجة الباطلة ، وهذا القياس الفاسد هو نفسه قياس إبليس عليه لعنة الله ، ولكن بلباس آخر يتناسب مع الموضوع المطروح ، فذاك فصل النار على الطين من تلقاء نفسه ، وهؤلاء يفضلون ما مات دون أن يذبحه أحد - والذي ينسبون ذبحه إلى الله - على ما ذبحه الإنسان ، فقديمهم وحديثهم واحد ، نفس العقلية ونفس التفكير ونفس الجدل ، ولكن بقوالب مختلفة وأشكال متعددة ، ويمتلى زماننا اليوم بمثل هذه الأنواع من الجدل الشيطاني الذي يقوم به أوليائه الشيطان في حربهم المعلنة على دين الله وأتباع الحق في كل مكان ، وقد توجه هذا الجدل بشكل خاص على أصل هذا الدين وصراطه المستقيم ، القرآن الكريم ، حيث وُجّهت له سهام الحقد

⁴ - لم أقف على هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية ، والظاهر أنها أعجمية ، ويبدو من سياق النص أنها تعني أداة الذبح من سكين ومنشار وغيره .

¹ - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 26 ، 27 ، 28 .

الشیطانية بإثارة الجدل الباطل حول بعض قضاياها ، وحول قضايا هذا المدين بشكل عام وهذا مجال واسع من الجدل وإثارة الشُّبهات لا يتسع المقام هنا بتناوله وقد حظي هذا الباب بحظ وافر في كتب المتأخرين ، حيث نشطوا في الرد على أعداء هذا الدين ⁽¹⁾.

وقد رد السندي - في حاشيته على سنن النسائي - على هذه المجادلة الباطلة بكلمات قليلة قوية هي تبيان للرد الرباني : يقول : " قوله : (خصمهم المشركون) أي : خصم المشركون المؤمنین فقالوا في معرض الاستدلال على بطلان دين المسلمين بأنكم تحرمون ذبيحة الله تعالى التي هي الميتة ، وتحلون ذبيحتكم ، وهذا شيء بعيد ، فأنزل الله تعالى دفعاً لهذه الشبهة قوله (ولا تأكلوا) إلخ ، وحاصل الجواب : أن الذبيحة إنما حلت لأنه قد ذكر عليها اسم الله ، والميتة لم يُذكر عليها اسم الله فحرمت لذلك " ⁽²⁾.

المثل الثاني :

وهو يتحدث عن قضية ثار حولها جدل كثير في الماضي ، وحتى في حاضرنا اليوم ، هذه القضية هي قضية البعث بعد الموت ، ولكون هذا الأمر غير محسوس للبشر فقد كان مسرحاً لجدل

¹ - انظر :

- مناهل العرفان في علوم القرآن - لعبد العظيم الزرقاني .
- الأساس في التفسير - لسعيد حوى .
- شبهات حول الإسلام - لمحمد قطب .
- بيّنات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمغتربين - للدكتور يوسف القرضاوي .
- دراسات في القصص القرآني : مقاصده وأغراضه ودفع الشبهات عنه - لعبد المنعم القصاص .
- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول - لمحمد علي الصابوني .
- مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية والرد على ما أثير من شبهات حول حجيتها وروايتها - لعلي الخفيف .

² - حاشية السندي على سنن النسائي - ج 4 - ص 194 - ح 4449

طویل من قبل أولیاء الشیطان ، ویتحدث الحق سبحانه عن هذه القضية في معرض الرد على مجادلات أولیاء الشیطان في مطلع سورة الحج حيث یقول : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِمَّن نُّطْفَعُهُ ثُمَّ مِمَّنْ عَلَقَةٌ ثُمَّ مِمَّنْ مُضْغَةٌ مُّخَلَقَةٌ وَغَيْرِ مُّخَلَقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ } (1).

وهذه الآيات نزلت في النضر بن الحارث (2). وكان ذا جدلٍ يقول : الملائكة بنات الله ، والقرآن أساطير الأولين ، والله غير قادر على إحياء مَن بلى وصار تراباً (3). وهذه الآية كما يبدو من سياقها عامة في كل من تعاطى الجدال ، فيما يجوز على الله ، وما لا يجوز من الصفات والأفعال ، ولا يرجع إلى علم ، ولا يتبع حجة ولا برهاناً صحيحة فهو يخطب خطب عشواء ، غير فارق بين الحق والباطل (4).

وهذا الجدال من قبل الشيطان وأتباعه مبني على الجهل وعدم العلم الصحيح ، بل هو علم مضلل باطل يقول الطبري : "

1 - سورة الحج ، الآيات 3 - 7 .
2 - تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم - ج 8 - ص 2373
3 - انظر التفسير المنير - للزحيلي - ج 17 - ص 153 ، 154
4 - انظر الكشاف - للزمخشري - ج 3 - ص 144 .

يعني بقوله (من يجادل في الله بغير علم) : من يخاصم في الله ، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء مَنْ قد بلى ، وصار تراباً ، بغير علم يعلمه ، بل بجهل منه بما يقول . (ويتبع) في قلبه ذلك ، وجداله في الله بغير علم (كل شيطان مرید) " (1) .

2- الاغترار بالباطل :

وهذه صفة مهمة في درب اتباع الشيطان ، يصنعها الشيطان في أوليائه ، ليغويهم به ، ويغريهم بأهل الحق ، فالشيطان يحتاج في حربه على الحق وأهله أتباعاً بعيدين كل البعد عن الخير والحق والإيمان ، ولا يتأتى ذلك فيهم إلا بزيادة اغترارهم بباطلهم الذي اتبعوا ، فلا يرون غيره صواباً ، ويلج الشيطان اللعين إلى نفس أتباعه من مدّخل يتميز البشر فيه بالضعف ، ألا وهو : حب الذات والظهور فيبدأ اللعين يوسوس لأتباعه ويوحى إليهم بأنهم على حق ، وأنهم الأفضل والأقوى وما عليهم إلا أن يبدأوا الحرب على المؤمنين بكل قوة وكبر وغرور ، بل إن الحق سبحانه سمى الشيطان غروراً : أي يخدع أعداءه **وَيُعَرِّرْ بِهِم يَقُولُ تَعَالَى : { ... إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } (2)** "قراءة العامة هنا وفي سورة الملائكة والحديد بفتح الغين وهو الشيطان في قول مجاهد وغيره وهو الذي يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الآخرة " (3) .

ولقد رسم الله هذه الصورة للشيطان وأتباعه المغرورين مع أهل الإيمان ، وذلك قبيل معركة أحد ، حيث يقول تعالى : **إِنَّمَا دَلَّكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا أَنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** (4) ، " أي يخوفكم أوليائه ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة " (5) ، وقد بين الطبري هذا المعنى فقال : "إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون : إن الناس قد جمعوا لكم ، فخوفوكم بجموع عدوكم ، ومسيرهم إليكم ، من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم ، يخوفكم بأوليائه من المشركين ، أبي سفيان وأصحابه من قريش ، لترهبوهم وتجنبوا عنهم ... وقال آخرون : معنى ذلك : إنما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين أيها المنافقون في أنفسكم فتخافونهم " (6) وقد

1 - جامع البيان - للطبري - م 10 - ج 17 - ص 149

2 - سورة لقان ، الآية 33 .

3 - جامع البيان - للطبري - م 8 - ج 14 - ص 72 .

4 - سورة آل عمران ، الآية 175

5 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 3 - ص 275

6 - جامع البيان - للطبري - م 3 - ج 4 - ص 229

فَصَلِّ الأَلُوسِي ما ذكر الطبري من خلاف في معنى الآية هنا على معنيين حيث يقول : " والمستكين ⁽¹⁾ في (يَخُوف) إما للمقدر ، وإما للشيطان يُحَدِّفُ الرجاء إلى المقدر أي : يَخُوفُ به والمراد بأوليائه إما أبو سفيان وأصحابه ، فالمفعول الأول ليخوف محذوف ، أي يخوفكم أوليائه بأن يعظّمهم في قلوبكم ، ونظير ذلك قوله تعالى : { لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا } ⁽²⁾ وبذكر هذا المفعول قرأ ابن عباس . وقرأ بعضهم يخوفكم بأوليائه ، وعلى هذا المعنى أكثر المفسرين ، وإليه ذهب الزجاج ، وأبو علي الفارسي وغيرهما ويؤيده قوله تعالى : (فلا تخافوهم) أي : فلا تخافوا أولياء الذي خوّفوكم إياهم (وخافون) في مخالفة أمري " ⁽³⁾ .

وحاصل المعنى الأول أو الثاني أن الشيطان يعظم صورة أوليائه في نظر المؤمنين ، ويستعملهم لتخويف المؤمنين .

وقد ذكرنا فيما سبق طرفاً من هذه العلاقة بين الشيطان وأوليائه في معرض الحديث عن العلاقة الجدلية بين الشيطان وأتباعه ، فالشيطان يزيد أتباعه منه خوفاً ، وهم بدورهم يتسلطون على المؤمنين وعلى غيرهم ليزيدوهم رهقاً كما كان يزيد الشيطان أتباعه رهقاً بطاعتهم إياه : { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا } ⁽⁴⁾

3- الخوف من الشيطان :

ومقابل الاغترار بالباطل ، ونتيجة لتسخير الشيطان أتباعه للحرب على الحق ، يصبح هؤلاء الأولياء ضعفاء أمام سيدهم لا حول لهم ولا قوة ، فهو من أغرى فيهم حب الذات ، وهو من أذكى فيهم الكبر والغرور ، فاستمدوا قوتهم الزائفة ، وكبرهم الضعيف من أسيادهم فكانت النتيجة أن تسلط عليهم وتمكن منهم فلا يعصون له أمراً ، ولا يشقون له عصاً .

يقول تعالى في وصف حالهم هذه { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } ⁽⁵⁾

" أي إن الشيطان ، أي جنسه ، ليس له قوة ولا تسلط على المصدقين بلقاء الله ، ويفوضون أمورهم إليه . (إنما سلطانه)

1 - المستكين هنا هو الضمير المضمرة في الفعل (يَخُوف)

2 - سورة الكهف ، الآية 2

3 - روح المعاني - للألوسي - ج 3 - ص 202 ، 203

4 - سورة الجن ، الآية 6

5 - سورة النحل ، الآيات 98-100 .

أي إنما تسلطه بالغوابة والإضلال على الذين أطاعوه واتخذوه ولياً ناصرأ لهم من دون الله ، والذين أشركوا في عبادة الله " (1)

وقد اعترض البعض على حتمية تسلط الشيطان على أتباعه ، فقال إن الله لا يمكن أن يسלט الشيطان على جنس ما من البشر فيقدر له النار ، والحق أن تسلط الشيطان على أتباعه لم يكن هكذا جزافاً أو خبط عشواء ، بل إن الشيطان في الحقيقة ليس له سلطان تام على أحد ، فما كان منه إلا أن دعا إلى سبيله فأقبل عليه من أقبل وفر منه من فر ، وقد أعلن إبليس هذه الحقيقة يوم القيامة حيث يقول : { **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلُوا أَنْفُسَكُمْ ...** } (2) ، ولكن تسلط الشيطان على أوليائه يكون بما كسبت أيديهم ولذلك ختم الله الآية بقوله (والذين هم به مشركون) ويقول القرطبي في ذلك : " (إنه ليس له سلطان) أي بالإغواء والكفر ، أي ليس لك قدرة على أن تحملهم على ذنب لا يغفر ، قال سفيان ، وقال مجاهد : لا حجة له على ما يدعوهم إليه من المعاصي ، وقيل : إنه ليس له عليهم سلطان بحال ، لأن الله تعالى صرف سلطانهم عليهم حين قال عدو الله إبليس لعنه الله { **وَأَعْوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ** } (3) قال الله تعالى : { **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** } (4) إنما سلطانه على الذين يتولونه أي : يطيعونه " (5) .

1 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 14 - ص 233

2 - سورة إبراهيم ، الآية 22 .

3 - سورة الحجر ، الآيتان 39 ، 40 .

4 - سورة الحجر ، الآية 42 .

5 - الجامع لأبواب الأحكام - للقرطبي - ج 14 - ص 522 ، 523

الفصل الثالث خطوات الشيطان

وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول : الخطوات بين التعريف
وبلاغة التعبير**

**المبحث الثاني : وسائل الشيطان ومداخله
إلى النفس**

وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : وسائل الشيطان في خطاب الإنسان

المطلب الثاني : مداخل الشيطان إلى النفس

**المبحث الثالث : الخطوات المنجّهية
للشيطان**

وينقسم إلى خمسة مطالب :

المطلب الأول : تزيين العمل وتسويله

المطلب الثاني : الإنساء

المطلب الثالث : التمنية والإملاء

المطلب الرابع : التخويف من الفقر والموت

المطلب الخامس : النزغ والمسّ

بين يدي الفصل

هذا الفصل هو صلب الرسالة ، وبيت القصيد، حيث كنا فيما سبق نتناول مظاهر تتعلق بالشیطان وولايةً وعباداً وأصنافاً وصفات .

أما الآن فندخل في حقيقة ما قد ضل به البشر ، وفي خبايا مكائد الشيطان وما من شأنه أن يُوقع به العباد في حباله ، كل هذا وغيره كثير يتلخص في التعبير القرآني الجميل " خطوات الشيطان " فما هي تلك الخطوات يا تُرى ، وهل انحصرت هذه الخطوات في أمور معينة حددها كتاب الله ، بل هل اتفق علماء الأمة على مفهوم هذا التعبير ومؤداه ؟ كل هذه التساؤلات وغيرها تطرح نفسها بقوة أمام الباحث في هذا الفصل الشائك وسنحاول - مستعينين بالله تعالى - في ثنايا هذا الفصل أن نستقي الحقائق القرآنية ونجليها في سياق واضح بعيد عما وقع فيه كثير من السلف والخلف من تداخل وغموض في هذا التعبير .

المبحث الأول الخطوات بين التعريف وبلاغة التعبير

قبل أن نخوض في خصم الإجابة على هذا السؤال نفتح هذا المبحث برأي أهل اللغة ، ثم نثني برأي أهل التفسير في تعريف كلمة خطوات :

أهل اللغة :

(**خطو(أ) :** " الخاء والطاء والحرف المعتل والمهموز يدل على تعدي الشيء ، والذهاب عنه يقال : خطوت أخطو خطوة ، الخطوة : ما بين الرجلين ، والخطوة : المرة الواحدة . والخطأ من هذا ، لأنه مجاوزة حد الصواب ، يقال أخطأ إذا تعدى الصواب ، وخطئ يخطأ : إذا أذنب ... " (1) .

وقد فسر كثير من أهل اللغة هذا التعبير القرآني " خطوات الشيطان " على حسب ما فهموا من معنى لغوي فقال ابن السكيت (2) " نقلاً عن أبي العباس في قوله تعالى : **لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ** (3) أي في الشر ، وقال الزجاج : خطوات الشيطان : طرقة وأثاره ، وقال الفراء : معناه لا تتبعوا أثره فإن اتباعه معصية ، وقال الليث : معناه لا تقتدوا به " (4) .

هذا طرف من أقوال أهل اللغة في الخطوات كما أرادها التعبير القرآني ، ونلاحظ من خلال هذه الأقوال أنها تركزت على مفهومين هما : " الأثر والطريقة " ونحن إذ نذكر هذين المفهومين هنا لا نقصد أن نرّجح أحدهما على الآخر ، أو أن نوفق بينهما في مثل هذه المرحلة المتقدمة من المبحث ، بل يجدر بنا أن نعرض لأقوال المفسرين في قديم و حديث وقبل أن نخلص إلى الرؤية القرآنية لهذا التعبير وسيتضح لك في السطور القادمة كيف اختلف المفسرون في تحديد مفهوم الخطوات بين هذين المعنيين الذين خلصنا بهما عند أهل اللغة .

أهل التفسير :

• ينقل الطبري بسنده عن بعض الصحابة والتابعين من أرباب التفسير ما أثر عنهم في تعريف " خطوات الشيطان " : فعن

1 - معجم المقاييس في اللغة - لابن فارس - ص 322 ، 323
2 - هو : يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت ، إمام في اللغة والأدب ، أصله من خوزستان بين البصرة وفارس ، توفي سنة 244 هـ - الأعلام - للزركلي - ج 8 - ص 195 .

3 - سورة البقرة ، الآية 168

4 - انظر لسان العرب - لابن منظور - ج 14 - ص 232

ابن عباس : خطواته : أي عمله ، مجاهد : خطيئته ، قتادة ، خطاياها ، الضحاك : خطايا الشيطان التي يأمر بها ، السدي : طاعته ، ابن مجلز : النذور في المعاصي ⁽¹⁾ ثم يعلق على هذه الأقوال ذاكراً ما يرجحه في معنى الخطوات فيقول : " وهذه الأقوال التي ذكرناها فيمن ذكرناها عنه في تأويل قوله (خطوات الشيطان) قريب معنى بعضها من بعض ، لأن لكل قائل منهم قول في ذلك ، فإنه أشار إلى نهي اتباع الشيطان في آثاره وأعماله . غير أن حقيقة تأويل الكلمة هو ما بيّنت من أنها بُعد ما بين قدميه ، ثم تستعمل في جميع آثاره وطرقه ⁽²⁾ "

- ويبيّن صاحب الكشف معنى هذا التعبير فيقول : " يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه إذا اقتدى به واستن بسنته " ⁽³⁾ .
- ويقول أبو السعود : " أي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى " ⁽⁴⁾ .
- ويسهب الألويسي في تبيان معنى الخطوات فيقول : " أي آثاره كما حُكي عن الخليل ، أو أعماله كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ، أو خطاياها كما نقل عن مجاهد - وحاصل المعنى لا تقتدوا به وتستنوا بسنته فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام ، وعن الصادق : من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق ، والنذور في المعاصي ، وكل يمين بغير الله تعالى ، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة (خطوات) بتسكين الطاء ، وهما لغتان في جمع خطوة ، وهي ما بين قدمي الماشي ، وقرأ علي كرم الله وجهه بضمّتين وهمزة (حُطّات) وفي توجيهها وجهان : الأول : ما يقال : إن الهمزة أصلية من الخطأ بمعنى الخطيئة ، والثاني : إن الواو قلبت همزة لأن الواو المضمومة تقلب لها ... ⁽⁵⁾ "
- ويقول الطاهر بن عاشور في هذا التعبير : " واتباع خطواته استعارة تمثيلية أصلها أن السائر إذا رأى آثار خطوات السائرين تبع ذلك المسلك ، علماً منه بأنه ما سار فيه السائر قبله إلا لأنه موصل للمطلوب ، فشبه المقتدي الذي لا دليل له سوى المقتدى به وهو يظن مسلكه موصلاً ، بالذي يتبع

1 - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 2 - ص 102

2 - المرجع السابق - م 1 - ج 2 - ص 103

3 - الكشف - للزمخشري - ج 1 - ص 195

4 - إرشاد العقل السليم - لأبي السعود - ج 1 - ص 187

5 - روح المعاني - للألويسي - ج 2 - ص 58 ، 59

خطوات السائرين ، وشاعت هذه التمثيلية حتى صاروا يقولون : هو يتبع خطأ فلان بمعنى يقتدي به ويتمثل له " (1) .

- يقول محمد عبده فيما ينقله عنه تلميذه محمد رشيد رضا :
" والمعنى لا تتبعوا سيرته في الإغواء ووسوسته في الأمر بالسوء والفحشاء وهو ما يبينه في الآية التالية معللاً النهي بكونه عدواً للناس بين العداوة ، والعلم بعداوته مما لا يتوقف على معرفة ذاته ، وإنما يعرف الشيطان بهذا الأثر الذي يُنسب إليه وهو وحي الشر وخواطر الباطل والسوء في النفس ، فهو منشأ هذا الوحي والخواطر الرديئة ، قال تعالى : ﴿ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (2) ... " (3) .

- يقول المراغي في تفسيره : " (لا تتبعوا خطوات الشيطان) : أي لا تتبعوا سيرته في الإغواء ووسوسته في الأمر بالسوء والفحشاء ، فهو عدو لكم بين العداوة ؛ إذ هو منشئ الخواطر الرديئة المحرصة على ارتكاب الجرائم والآثام ... فهذا نهى عن اتباع وحي الباطل والشر لأنه من إغواء الشيطان ... " (4)

- يقول سعيد حوى في تفسيره : " (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) : أي طرقه التي يدعوكم إليها ، يقال اتبع خطواته فاقتدى به واستن بسنته ، والخطوات : تزيين الحرام واتباع الشهوات ... " (5) .

- ونختم بنظرات الشيخ الشعراوي في تبيان معنى الخطوات حيث يقول : " (لا تتبعوا خطوات الشيطان) : أي لا تسيروا وراء الشيطان ، فالخطوة هي المسافة بين القدمين عند المشي أو بين النقلة والنقلة ، ولا تجعلوا الشيطان قائدكم لأن الشيطان عداوته لكم مسبقة ويجب أن تحتاطوا بسوء

1 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - م 2 - ج 2 - ص 103

2 - سورة الأنعام ، الآية 112

3 - تفسير المنار - لمحمد رشيد رضا - ج 1 - ص 71

4 - تفسير المراغي - لأحمد مصطفى المراغي - ج 1 - ص 43

5 - الأساس في التفسير - لسعيد حوى - ج 1 - ص 371

الظن فيه ، فهو الذي عصى ربه ولا يصح أن يطاع في أي أمر
... " (6) .

نظرة في هذه الأقوال :

الناظر في هذه الأقوال قديمها وحديثها يدرك أنها في مجملها تعود إلى معنيين رئيسيين ، هما ذاتهما اللذان دارت عليهما أقوال أهل اللغة في معنى الخطوات ، فعمله وخطيئته وخطاياهم وآثاره والاقتراء به والسير وراءه كلها تصب في معنيين هما : الآثام أو الموصل إلى تلك الآثام ، فمن ذهب إلى أن الخطوات هي الآثار قصد أنها ما يعملها الشيطان ، وكذا من قال إنه الاقتداء والاتباع والسير في دربه . أما من قال أن الخطوات هي الخطايا فقد ضمّن المعنى الأول زيادةً وهي دواعي الآثام وأسبابها . ولقد ذهب كثير من علماء السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى أن خطوات الشيطان هي آثاره ، فإله يحذر بني البشر من اتباع تلك الآثار : (لا تتبعوا خطوات الشيطان) : أي لا تعملوا بأعماله وتقتدوا بأفعاله فتصيبوا الإثم كما أصاب هو الخطايا ، وعلى هذا التفسير تكون الخطوات هي الغايات التي أراد الشيطان لأعدائه أن يقعوا فيها .

أما علماء الخلف ممن كتبوا في هذا الموضوع فقد أضافوا إلى ذلك المعنى ما يكون به الاتباع والاقتراء وهو وسائل الشيطان في الإغواء من وسوسة وإيحاء وتخويف وتزيين وإملاء . ومن خلال هذين المعنيين المتداخلين تنبثق عدة أسئلة مهمة تتعلق بالفاظ الآية ومؤداها :

1- إذا كانت خطوات الشيطان بمعنى أعماله ، وإذا كان الإنسان اليوم وفي الماضي ما ترك خبيثاً إلا وقد وقع فيه ، فهل عمل الشيطان كل هذه الأعمال بالضرورة كي يحذرنا الله من اتباع خطواته ؟

- 2- إذا كان ما ذهب إليه أكثر السلف دقيقاً جامعاً لمعنى الخطوات ، فلماذا استعمل الحق سبحانه هذه الكلمة بالذات مع أن ما ذهبوا إليه يصدق على كلمة آثار أو أعمال ؟
- 3- ثم إن كانت الخطوات تتعدى الأعمال لتشمل ما يوصل إليه مما يزينه الشيطان ويوسوس به ، فكيف يكون الاتباع لمثل هذه الأشياء التي يصدق عليها الوقوع أو السقوط من باب أولى ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات أقول :

أول زلل وقع في البشر كان من قبل أبينا آدم عليه السلام ، وكان هذا الزلل بمثابة اتباع لخطوة من خطوات الشيطان - عن جهل تام من آدم بتلك الخطوات إذ لم يكن له سبق مثال أو حال ينبؤه بتلك الخطوات على ما كان من إبليس من إقسام لهما بالنصح - فكان هذا الزلل وهذا الاتباع لتلك الخطوة وهو الأكل من الشجرة ليس تقليداً لعمل عمله إبليس ، بل انخداع بتسويل وتمنية وكذب وعلى ذلك ليس شرطاً أن يكون إبليس وجنده وقعوا في كل ما أرادوا البشر أن يقعوا فيه . وإذا كان الأمر كذلك ، وإذا لم تكن الخطوات بمعنى الآثار فقط فكيف يتأتى اتباع ما ليس بعمل ؟ هذا الاتباع يكون إما بالتقليد لما يعمل الشيطان أو يكون بالانقياد لما يردده ، فالمنقاد لوساوس الشيطان وغوايته ، والمنجرف في دروبه وأهوائه هو متبع له ، فقد تسير أنت وراء الشيطان بمحض إرادتك فتعمل ما عمل ، أو قد تقع من حيث لا تدري في شراكه فتكون من أتباعه إن لم تستيقظ من غفلتك ، وتتوب إلى الله كما تاب آدم .

التعبير القرآني " خطوات الشيطان " :

لقد نظر السلف عليهم رحمة الله ورضوانه إلى ما يحدثه الشيطان في بني البشر من انغماس في الشهوات ، وعمل للمنكرات ، ووقوع في الفحشاء فقالوا هذه هي الخطوات التي يقع فيها البشر ، فنظرتهم تلك هي نظرة عملية واقعية ، ولما بدأ إمعان النظر يدخل على العلوم الإسلامية ، فيبحث الباحثون عن المكامن ويفتشون عن الأسباب والدوافع اتسعت دائرة تعريف تلك الخطوات لتشمل ما من شأنه أن يوقع في مثل هذا الضلال .

ولقد جاء هذا التعبير القرآني الجميل ليرسم لنا صورة متكاملة لقصة الشيطان مع الإنسان ليس فقط على صعيد الخطايا وحدها أو السبل وحدها ، بل هو تعبير دقيق رائع يرسم لقارئه صورة واضحة جلية لما يريد الشيطان من الإنسان منذ تكليفه إلى حين خروج روحه من الجسد ، فالمتأمل في هذا التعبير يجد فيه صورة التدرج البطيء الذي يسلب الإنسان دينه من حيث لا يدري ، تدرج شديد البطء لا يكاد المرء يميز بين مراحلها ، تماماً كما هو حال الخطوة التي تتبعها الخطوة في طريق طويل مليء بالخطوات ، وإذا عرفنا أن خطوات الشيطان هي سلسلة مترابطة العرى ، متداخلة الحلقات ، وجب أن ندرك أن طريق الشيطان لا تبدأ بتقليده في عمل ما ، أو اتباعه في أثر ما ، بل هي سلسلة تبدأ بالوسوسة فالتسويل والتزيين بالتحسين تارة والتخويف أخرى ، بالتمنية مرة والتسويق أخرى ثم تتوالى الخطوات حتى يحصل الزلل فيقع الإنسان في المعصية ، يقول الإمام الحارثي في هذا الباب : " إن العبد إنما يؤتى من قبل التهاون باليسير . وهو الذي يوقع في الإثم الكبير ، والتهاون باليسير هو الأساس الذي يبنى عليه الكثير فيكون أوله : كان تحفظاً . ثم صار انبساطاً . ثم صار من الانبساط إلى ذكر اليسير . ثم صار من اليسير إلى ما هو أكثر منه . فلا تشعر حتى ترى نفسك حيث كنت تكره أن ترى فيه غيرك ففي ترك اليسير ، ترك اليسير والكثير " (1)

وأرى في هذا المقام ، وقبل أن نخلص إلى التعريف الاصطلاحي للخطوات أن أسوق قصة تناقلتها كثير من كتب العلماء في الماضي والحاضر ، وإن كانت طويلة ، ولكنها تضرب أفضل مثال على خطوات الشيطان التي عنتها الآية الكريمة ، تلك هي قصة عابد بني إسرائيل والتي يوردها ابن الجوزي في كتابه

تلبیس إبلیس حیث یقول : " عن وهب بن منبه ⁽²⁾ : أن عابداً كان فی بنی اسرائیل ، وكان منْ أعبد أهل زمانه ، وكان فی زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت ، وكانت بكرًا ، لیس لهم أخت غیرها ، فخرج البعث علی ثلاثتهم فلم یدروا عند من یخلفون أختهم ولا منْ یأمنون علیها ، ولا عند منْ یضعونها قال : فأجمع رأیهم علی أن یخلفوها عند عابد بنی اسرائیل - وكان ثقة فی أنفسهم - فأتوه فسألوه أن یخلفوها عنده ؛ فتكون فی كنفه ، وجواره إلى أن یرجعوا من غزاتهم ، فأبى ذلك ، وتعود بالله - عز وجل - منهم ، ومن أختهم ، قال : فلم یزالوا به ، حتى أطاعهم ، فقال : أنزلوها فی بیت ، حذاء صومعتی ، قال : فأنزلوها فی ذلك البیت ، ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت فی جوار ذلك العابد زمانًا ، ینزل إليها بالطعام من صومعته فیضعه عند باب الصومعة ، ثم یغلق بابه ویصعد إلى صومعته ، ثم یأمرها فتخرج من بیتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام .

قال : فتلطف له الشیطان فلم یزل یرغبه فی الخیر ، وبعظْم علیهِ خروج الجارية من بیتها نهارًا ویخوِّفه أن یراها أحد ، فیعلّقها ، فلو مشیت بطعامها حتى تضعه علی باب بیتها كان أعظم لأجرک قال : فلا یزال به حتى مشى إليها بطعامها ووضعها علی باب بیتها ولم یكلمها ، قال : فلبث علی هذه الحالة زمانًا . ثم جاء إبلیس فرغبه فی الخیر والأجر ، وحضه علیهِ ، وقال : لو كنت تمشی إليها بطعامها حتى تضعه فی بیتها ، كان أعظم لأجرک ، قال : فلم یزل به حتى مشى إليها بالطعام ، ثم وضعه فی بیتها ، فلبث علی ذلك زمانًا .

ثم جاء إبلیس فرغبه فی الخیر وحضه علیهِ ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتانس بحديثك ، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال : فلم یزل به حتى حدثها زمانًا یطلع إليها من فوق صومعته .

قال : ثم أتاه إبلیس بعد ذلك فقال : لو كنت تنزل إليها ، فتقعد علی باب صومعتك وتحدثها ، وتقعد هي علی باب بیتها فتحدثك ، كان أنس لها ، فلم یزل به حتى أنزله وأجلسه علی باب صومعته يحدثها وتحدثه ، وتخرج الجارية من بیتها حتى تقعد علی باب بیتها ، قال : فلبثا زمانًا يتحدثان . ثم جاءه إبلیس فرغبه فی الخیر والثواب ، فیما یصنع بها ، وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قریبًا من باب

² - هو : وهب بن منبه بن كامل الیماني أبو عبد الله الأبنائي ، ثقة اشتهر بالتفسیر وبالرواية عن أهل الكتاب ، تقرب التهذیب - لابن حجر - ت 7485 - ص 585 .

بيتها فحدثتها كان أنس لها ، فلم يزل به حتى فعل ، قال : فلبث زماناً ، ثم جاءه فرغبه في الخير ، في ما له عند الله - سبحانه وتعالى - من حسن الثواب فيما يصنع بها ، وقال له : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها - ولم تخرج من بيتها ، فلبثا على ذلك حيناً .

ثم جاءه إبليس : لو دخلت البيت معها فحدثتها ، ولم تتركها تبرز وجهها لأحد ، كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت ؛ فجعل يحدثها نهارها كله ؛ فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته . قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له ، حتى ضرب العابد على فخذاها وقبلها ، فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ، ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها ، فولدت له غلاماً .

فجاء إبليس فقال : أرأيت إن جاء إخوة الجارية وقد ولدت منك ، كيف تصنع ؟ لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد إلى ابنها فاذبحه ، وادفنه ، فإنها ستكتم ذلك عليك ، مخافة إخوانها أن يطلعوا على ما صنعت بها ؛ ففعل ، فقال له : أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها ، وقتلت ابنها ، قال : خذها واذبحها ، وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها ، وأطبق عليهما صخرة عظيمة ، وسوى عليهما ، وصعد إلى صومعته يتعبد فيها ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، حتى أقبل أخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوه عنها ؟ فنعاها لهم ، وترحم عليها وبكاها ، وقال : كانت خير امرأة ، وهذا قبرها انظروا إليه ، فأتى أخوتها القبر فبكوا أختهم ، وترحموا عليها ، فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم ، فلما جن عليهم الليل ، وأخذوا مضاجعهم ، جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر ، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم ، فأخبره بقول العابد وترحمه عليها ، وكيف أراهم موضع قبرها ، فكذبه الشيطان وقال : لم يصدقكم أمر أختكم ، إنه قد أحبل أختكم ، وولدت منه غلاماً فذبحه ، وذبحها معه فزعاً منكم وألقاها في حفيرة أحترفها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله ، فانطلقوا فدخلوا البيت الذي كانت فيه ، عن يمين مدخله فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً ، واتي الأوسط في منامه ، فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم : لقد رأيت الليلة عجباً ؛ فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى فقال كبيرهم : هذا حلم ليس بشئ فامضوا بنا ، ودعوا هذا عنكم ، قال أصغرهم : والله لا أمضي حتى أتى هذا المكان فأنظر فيه ، قال : فانطلقوا جميعاً ،

حتى آتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحوا الباب ، وبحثوا
الموضع الذي وصف لهم في منامهم ؛ فوجدوا أختهم وابنها
مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم ، فسألوا عنها العابد ؟ فصدق
قول إبليس فيما صنع .

فاستعدوا عليه ملكهم ، فأنزل من صومعته ، وقدم ليصلب ،
فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له : قد علمت أنني
أنا صاحبك الذي فتنك بالمرأة حتى أحبلتها ، وذبحتها وابنها ؛ فإن
أنت أطعنتي اليوم ، وكفرت بالله الذي خلقك وصورك ، خلصتك
مما أنت فيه ، قال : فكفر العبد ، فلما كفر بالله تعالى خلى
الشیطان بينه وبين أصحابه فصلبوه ، قال : ففيه نزلت هذه الآية
﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ
إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ
عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الطَّالِمِينَ ﴾ (1)(2) .

معنى خطوات الشيطان :

لم يأخذ هذا التعبير القرآني تعريفاً اصطلاحياً أو شرعياً
، إذ هو تعبير قرآني يخضع بشكل كامل للمعنى اللغوي البلاغي
الذي يرسمه لنا ، ولقد رأينا كيف انبسط هذا التعبير ليملاً
صفحات وصفحات بالوصف له وتبيينه ، ولذا فيعسر أن تلم
كلمات قلائل بكل ما يخبر به هذا التعبير ، وأفضل سبيل في
الخروج ببيان معنى لهاتين الكلمتين هو الدمج بين المفهوم
البلاغي لهذا الأسلوب وبين المعاني الشرعية المترتبة على
اتباع هذه الخطوات .

وإذا ألقينا نظرة على ما ورد في كتب المفسرين في قديم
وحديث نجد أن أكثرهم ذكر المعنى اللغوي لكلمة خطوات ثم
ربطه بسياق الآية ، ونجد البعض ركز على المعنى البلاغي وأبرز
جمال هذا التعبير ، ولكننا نريد هنا أن نخرج بمعنى علمي دقيق
لهذا التعبير القرآني ، (فهو ليس مجرد كلمة أو أسلوب ، بل هو
نظم جميل وتعبير غاية في الدقة يربط تلك الصورة التي يتعامل
بها الشيطان مع أعدائه بالآثار الشرعية المترتبة على ذلك الاتباع
، وهذا ما يظهر من خلال السياق القرآني ، فالحق سبحانه

¹ - سورة الحشر ، الآيتان 16 ، 17 .

² - تليس إبليس - لابن الجوزي - ص 27 ، وهذه القصة مما روي موقوفاً على ابن
منه ، من الإسرائيليات التي نتبع فيها نهج النبي صلى الله عليه وسلم من حيث عدم
التصديق أو التكذيب ، ولكننا هنا نستأنس بها في أمر يوافق المشاهد من أمر الناس
وإغواء الشيطان لهم . .

وتعالى يؤكد في الآية التي تليها أن تلك الخطوات إنما هي أوامر شرّ وفحش وسيء وتقول على الله **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ⁽¹⁾ ، وهذه كلها محاذير شرعية تنتج عن تلك الخطوات واتباعها ، ولذا أرى أن يكون المعنى الشرعي لهذا التعبير على النحو التالي :

معنى الخطوات شرعاً :

هي المراحل الشيطانية الموقعة في المعصية بدأ ببواعث تلك المعصية ودواعيها في النفس ثم مروراً بارتكابها واكتساب الإثم ثم انتهاءً بكون تلك المعصية مفتاحاً لما يتلوها من معاصٍ تنتهي إلى غاية الشيطان الكبرى وهي إيقاع الناس في الكفر والموت على ذلك .

بين الخطوات والغايات :

رأينا من خلال المفهوم السابق لخطوات الشيطان أنها تشتمل على كل ما من شأنه أن يوقع الإنسان في الشر بدءاً بدواعي ذلك الشر في نفس الإنسان ومروراً بما يحيل هذه الدواعي والمستحجات إلى شر واقع في الخارج بعد أن كان كامناً في الذهن ، ثم تتابع الشرور واحداً بعد الآخر كلُّ يُسَلِّمُ إلى أخيه ، ثم انتهاءً بأكبر الشر وغاية الغايات التي يسعى الشيطان إلى تحقيقها ألا وهي موت الإنسان على غير دين الله وخلوده في النار ، كل هذه السلسلة بتفاصيلها وتشعباتها هي الخطوات التي حذرنا الله سبحانه وتعالى من اتباعها ، ولكنني أثرت في هذا البحث أن أقسم تلك الخطوات إلى فصلين أسميت أولهما بخطوات الشيطان ، والآخر بغاياته فما الذي دفعني إلى مثل هذا الفصل ؟ يطوي هذا التعبير القرآني " خطوات الشيطان " تحت لوائه عدة مراحل تبدأ بوسائل الشيطان في إيقاع الناس في الشر ، ثم إذا وقع الإنسان في الشر حصل الزلل ، ثم اكتسب الإثم ، ثم يتدرج الإنسان في الآثام حتى ينتهي إلى الهلاك ، فهذه ثلاثة معالم رئيسة على درب الخطوات : غواية فزّل فإثم ، وانطلاقاً من هذه المعالم الثلاث قسمت الخطوات إلى فصلين ، فما كان قبل الزلل من الخطوات كان خطوات خالصة عن الغايات إذ لم يُحَصَّل فيها الإثم بعد ، وهذا هو الفصل الخاص بالخطوات التي هي وسائل الغواية ، أما ما كان من خطوات بعد الزلل فقد صارت

1 - سورة البقرة ، الآية 169

في حد ذاتها غايات للشيطان يريد لها لأعدائه حيث ترتب عليها إثم ، وقد يقف إنسان عند غاية واحدة من هذه الغايات فلا تكون خطوة إلى غاية أخرى تتبعها فتخرج عن كونها خطوة إذ هي عند هذا الإنسان بعينه نهاية الطريق ، وقد تكون هذه الغاية عند آخر خطوة إلى غاية أخرى ثم ثالثة ورابعة وهكذا ، أو قد تتوقف عند حد أسبق وهكذا ، فهذه الخطوات التي تلبست بالإثم لا ضابط لكونها خطوات تُسليم إلى ما بعدها ، أو لكونها غايات تقف عند حد معين ، ولهذا السبب فصلت تلك الغايات المجردة أو المرحلية في فصل مستقل لأبّين الغايات التي يسعى الشيطان إلى إيقاع أعدائه فيها بدءاً بأيسرها وانتهاءً بأخطرها .

وقد لاحظت عدم وضوح هذا المفهوم لدى من اطلعت على كتابتهم في ذكر خطوات الشيطان فقد أدخلوا فيها ما ليس منها ، وأخرجوا منها ما هو فيها فهذا الدكتور عمر الأشقر يورد مبحثاً عن خطوات الشيطان يجعل فيه ضعف الإنسان وحب الدنيا من خطوات الشيطان⁽¹⁾ ، مع أن هذين الأمرين هما من مداخل الشيطان إلى النفس - كما سنرى لاحقاً إن شاء الله - ، ثم هو في نفس المبحث يصنف بعض الخطوات المتضمنة للغايات على أنها وسائل للغواية فقط فيذكر من ذلك الخمر ، والغناء وغيرها .

التدرج في الغواية :

أظهرت لنا القصة السابقة - قصة عابد بني إسرائيل - ذلك المنهج الذي يتعامل به الشيطان مع البشر ، إنه منهج التدرج البطيء ، لا بل شديد البطء الذي يأخذ الشيطان في الإنسان من حيث لا يدري يقول تعالى واصفاً تواجد الشيطان مع الإنسان في كل طريق لا يسأم من إغوائه وذلك على لسان إبليس : " **لَأَتَّبِعَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** " ⁽²⁾ وعن الحسن بن صالح يقول : " إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير ، يريد به باباً من الشر " ⁽³⁾ .

ومن المشاهد في حياة الإنسان أن الانحراف عن السنن الحميدة درجات : فمنه الزلة العارضة ، والنزوة الطارئة ، والخطأ غير المتكرر ، والذنب غير المقرون بالاستهتار أو الإصرار ، ثم

1 - انظر : عالم الجن والشياطين - لعمر الأشقر - ص 84 ، 108

2 - سورة الأعراف ، الآية 17 .

3 - أخرجه أبو نعيم في الحلية ، وقال محقق الكتاب إسناده حسن .

كبريات الخطايا والآثام مما يشكل مخالفة خطيرة لأوامر الله ونواهيه ، وضرراً جسيماً بنظام المجتمع وسلامته (1) .
وإياك أن تتخيل أن تلك الخطوات بهذه البساطة التي وصفت لك ، بل هي متشعبة متشابكة لا تقتصر على مستوى الوقوع في الحرام فقط بل تتعداه إلى تلويث الفكر الإنساني ، وإفساد الفطرة السليمة ففي ظل حزب الشيطان ينجح أعضاؤه وأتباعه في الوصول إلى قمم المجالات المختلفة إن كانت أدبية أو علمية ، وفي مجال الأدب بالذات وتخصصاته المتنوعة تبرز أسماؤهم وتفرض نفسها على المجتمع ، وينشأ الطفل ويكبر حتى يصبح شاباً نافعاً مدركاً وهو لا يقرأ إلا لهم ، حتى ليكاد يجهل أي كاتب لا يسير في اتجاههم ، ويظن الشاب أن ما بين يديه هو قمة الفكر وكأنه (ليس في الإمكان أبدع مما كان) ، وبذلك يهبط المستوى وينحدر ، وينفك الرباط بينه وبين خالقه تدريجياً ، فالسموم تنساب إلى عقله مع كل كتاب يقرأه من مؤلفات تلك المجموعة الشيطانية (2) .

ولا يقتصر هذا المكر الشيطاني في التدرج والغواية على مستوى الفرد وحسب ، بل يتعداه ليصيب مجتمعات بأكملها ، فهو وحزبه يخططون بدقة وينفذون مخططاتهم بقوة تستند على سيطرتهم على منابع التوجيه ، وهم يعلمون تماماً ماهية المعركة التي يقصدون لها ، ومدى شراسة المقاومة التي ستبرز وتتصدى لهم في حالة ما إذا كشفوا عن أوراقهم مرة واحدة وهم كذلك يتبعون خطة بعيدة المدى ، لا يشعر أحد بخطورتها لأنها لا تضرب مرة واحدة ، وإنما بالتدرج وعلى مراحل إلى أن تتم لها السيطرة الكاملة بعد أن يتشبع جيلنا بأفكارهم فيعيش الحياة التي أعدوها له ... والتي تدور حول محور واحد ، هو الابتعاد عن الله ، تماماً مثل ما قرروا تعرية المرأة ، فبدأوا أولاً بكشف شعرها ثم تقصير ملابسها شيئاً فشيئاً حتى تدرجوا إلى أن أصبح المكشوف من جسد المرأة أكثر من المستور (3) .

ولقد أتاحت هذه السلسلة الطويلة من الخطوات الموصلة إلى الهلاك بالإضافة إلى نقاط الضعف الكثيرة التي توجد في الجنس البشري ، سمحت للشيطان بأن يحقق ما توعد به من إغواء أعدائه والكيد لهم ما أعطي إلى ذلك سبيلاً ، يقول الحارث

1 - الدين وحماية الشباب من الانحراف السلوكي والفكري - لمحمد خلف الله أحمد - التوجيه الإسلامي للشباب - ص 186 .

2 - انظر : حزب الله في مواجهة حزب الشيطان - لوائل عثمان - ص 42 ، 43 .

3 - انظر : حزب الله في مواجهة حزب الشيطان - ص 44 ، 45 .

المحاسبي : " ومعرفة عدو الله إبليس ، هو أن تعلم أن الجليل قد أمرك بمحاربتة ومجاهدته ، في السر والعلانية ، في الطاعة والمعصية وتعلم أنه قد عاند الله تعالى في عبده آدم - عليه السلام - وضاده في ذريته ، تنام ولا ينام عنك ، تغفل ولا يغفل ، وتسهو ولا يسهو ، دائماً مجتهداً في عطبك وهلكتك ، في نومك ويقظتك ... " (1) ، وليس أدل على هذه الحرب الدعوب التي لا تتوقف إلا بتوقف الحياة من قوله تعالى على لسان إبليس : **قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** (2) .

نظرات ولطائف في تعريف الخطوات :

لعلك ، وبعد كل هذا العرض والتفصيل ، يدور في خلدك سؤال مهم هو :

وما الفائدة العملية والاجتماعية التي سيجنيها المجتمع من وراء إيضاح التعريف بهذا الشكل أو بقاءه كما ورد قديماً وحديثاً في كتب المفسرين ؟

أقول - وبالله التوفيق - إن هدفنا الأول في هذا البحث هو إظهار وجهة نظر القرآن الكريم في موضوع البحث ، وإبراز مكانته ، ولقد حمل هذا الكتاب الكريم القضايا المتعلقة بالشیطان على مستوى واحد من الأهمية ، فلم يعتني بما يوقع الناس فيه من آثام على حساب دواعي تلك الآثام ، بل إنه أبرز الخطورة الشديدة لتزيين حب الدنيا والخلود فيها في قصة آدم ، وهي من الخطوات الممهدة للوقوع في الإثم .

لقد أتى المجتمع الإسلامي على مر العصور من قبل تشويه المصطلحات الإسلامية ، فالمجتمع بأفراده إنما هو متلقٍ عن العلماء وأهل الفكر ، يأخذ عنهم ما ألقوه إليه فيؤفدوه في حياتهم ، وقد رأينا كيف عانت الأمة على مدى أكثر من قرن من الزمان من غياب المفهوم الحقيقي لمصطلح الجهاد في الإسلام ، وكيف ضربه هذا الغياب أثره السيئ على طول الأمة وعرضها ، وبنفس

1 - مواظ للإمام الحارث المحاسبي - ص 72

2 - سورة الأعراف ، الآيات 16 ، 17 .

المقياس تحدث عن مفهوم خطوات الشيطان في المجتمع المسلم ، فقد انتشر وعلى مدى زمن طويل ، المفهوم القاصر لتلك الخطوات بأنها ما يجلب الإثم من معصية وغيرها فأدى هذا التركيز على هذا المجال فقط إلى تناسي دواعي الإثم وممهداتها في ذهن الناس ، فأصبحوا لا يكثرثون بكثير من القضايا كالبعد عن ذكر الله الذي يجلب وساوس الشيطان ، وكالتهاون في الاختلاط مع النساء الذي يفتح باب الشيطان ، وكالإسراف في الحلال والاستزادة من الدنيا بما لا يلزم مما يفتح أبواب حب الدنيا والانجراف إلى المعاصي بسبب حبها ، وكالتهاون في الضرب على يد الظالم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يسمح بانتشار الرذيلة وتلوين الجو الإسلامي بما يجذب شباب الأمة إلى الهاوية وهكذا من مثل هذه التهاونات والتساهلات التي كان أساسها - فيما أرى - قصور التعريف لخطوات الشيطان ، وغياب وجهة النظر القرآنية الشاملة في هذا الباب .

ولذا فإن حمل هذا المصطلح القرآني على ما أراده الله منه ، وهو أن يشمل كل ما من شأنه أن يوقع في الإثم من بواعث ودواعي ومداخل بالإضافة إلى الآثام صغيرها وكبيرها ، وإظهار أن كل ذلك في الخطورة بمكان واحد - ولا أقول هنا أنه في الوزر بمكان واحد ، فالخطايا تتفاوت بقدر آثامها بل إن الإنسان إذ صرف الوسوس أجر على ذلك - بل أقول أنها في خطورتها على الفرد والمجتمع سواء فيجب أن يوضح للناس مثل هذا الأمر ، فيصبح الإنسان شديد الحساسية لخطوات الشيطان من مبدأها ، وبذلك نحقق باباً مهماً في حربنا مع أهل الباطل وهو باب سد الذرائع ودرأ الشبهات .

المبحث الثاني وسائل الشيطان ومداخله إلى النفس

وبعد هذا البيان لماهية خطوات الشيطان وخطورتها على البشر ، نعرض الآن لتلك الوسائل التي يستعملها الشيطان في إلقاء تلك الخطوات في النفس وجر الإنسان إليها ، وهو في ذلك ينتقل بين الخطاب الخفي للنفس والتي لا تشعر به إلا من طرف خفي ، وبين القول المباشر الصادر من شياطين الإنس ، أو من بعض شياطين الجنّ ممّن يتشكّلون على هيئة الإنسان فيكلمونه وهذا قليل جداً - كما سنرى - بالنسبة للطريق الأول ، ثم سنعرض للمداخل والمكامن البشرية التي يتسلل الشيطان من خلالها إلى نفس الإنسان فيصيب منه ما يريد .

المطلب الأول : وسائل الشيطان في خطاب الإنسان : أولاً : الوسوسة :

وردت لفظة الوسوسة مقترنة بالشيطان في القرآن ثلاث مرات ، ثنتان منها في قصة إبليس مع آدم ، وثالثة في وسوسة الشيطان العامة للبشر ، وقبل أن نخوض في تعريف الوسوسة عند أهل العلوم نذكر المعنى اللغوي لها :

الوسوسة عند أهل اللغة :

الوسوسة والوسواس : الصوت الخفي من ريح .
والوسواس : صوت الحليّ ، وقد وسوس وسوسة ووسواساً : بالكسر . والوسوسة والوسواس : حديث النفس . يقال : وسوست إليه نفسه ، والوسواس بالفتح الاسم مثل الزلزال والزلزال ، وسوس الرجل : كلمه كلاماً خفياً . وسوس : إذا تكلم بكلام لم يبينه⁽¹⁾ .

هل الوسوسة من الخطوات ؟

أكثر من تحدث عن خطوات الشيطان من العلماء أدرج الوسوسة فيها ، بل وترد هذه الكلمة تقريباً في كل ما يتعلق بالشيطان مهما كان الأمر قريباً من الوسوسة بمعناها الحقيقي أو بعيداً عنه ، ونحن في بحثنا هذا - كما تعهدنا - نسوق الحقيقة القرآنية التي تنطق بها الآيات - بقدر طاقتنا البشرية - بغض النظر عما قيل وعما يقال إذا كان بعيداً عن تلك الحقيقة القرآنية

¹ - لسان العرب - لابن منظور - ج 6 - ص 254 ، 255 .

، وتعال بنا نتدبر آيات الله عز وجل لنرى موقع الوسوسة من الخطوات :

يقول تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى ﴾ ⁽¹⁾ فالسياق هنا يذكر الوسوسة أولاً ، ولكنه يواصل بيان ما جمّله تلك الوسوسة وهو قوله لآدم : (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى) فليست الوسوسة أبداً هي هذا القول الذي به بدأت خطوات الشيطان مع آدم ، بل هي الوسيلة التي من خلالها وصل هذا القول إلى آدم ، وقد حُذِفَ هذا القول في موضع الأعراف حيث يقول تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا ... ﴾ ⁽²⁾ ف (ل) التعليل هنا (ليبدى) جاءت لتبين علة الوسوسة ومراد الشيطان ، ولكنه حذف القول الموضح للوسوسة هنا وأظهره في سورة طه ، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً ، أما الموضع الثالث الذي ذكرت فيه الوسوسة وهو ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ ⁽³⁾ فيجلى فيه حرف الظرفية (في) كيفية الوسوسة وأنها وسيلة لإلقاء الخطوات ، فهو يوسوس فيرسل ما يريد من كلام وخواطر إلى الصدر عبر هذه الوسوسة ، والحق أن استخدام كلمة الوسوسة له خصيصة ذات دلالة مميزة فليس خطاب الشيطان في النفس مباشراً يلقي خلاله كلماته من تزيين وتسويل وتمنية إلى عقل المتلقي ، بل هي همسات خفية يسميها علماء النفس خواطر تجد طريقها إلى النفس دونما شعور من المتلقي فتتسلل إلى بواغث خفية داخله وتخاطبه من أعماقه ولذا يسميها علماء النفس أحياناً بحديث النفس .

تعريف الوسوسة: وكيفيتها

الوسوسة صفة ملازمة للشيطان ، لا تفارقه في كل حالاته لذا فقد سمي بها (الوسواس الخناس) كما وصفه الحق سبحانه في سورة الناس يقول ابن عباس في هذه الآية : " الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سهى وغفل وسوس ، وإذا

¹ - سورة طه ، الآية 120

² - سورة الأعراف ، الآية 20

³ - سورة الناس ، الآيتان 5 ، 6 .

ذكر الله خنس⁽¹⁾ " وقد منع بعض المتكلمين والفلاسفة الدخول الحقيقي للشيطان في جوف الإنسان كي يلقي إليه بالوسوسة ، ولا يُلتفت إلى ذلك إذ إنه من الثابت في الصحيح أن الشيطان يجري من آدم مجرى الدم ، فقد أخرج البخاري عن صفية بنت حيي قالت " كان رسول الله معتكفا فأتته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلبني وكان مسكنها في دار أسامة ابن زيد فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي أسرعا فقال النبي على رسلكما إنها صفية بنت حيي فقلا سبحان الله يا رسول الله قال إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا أو قال شيئا"⁽²⁾

يقول الألوسي : " ولا مانع عقلاً من دخوله (أي الشيطان) في جوف الإنسان ، وقد ورد السمع به كما سمعت فوجب قبوله والإيمان به ، ومن الناس من حمله على التمثيل وقال في الآية : إنها لا تقضي الدخول كما ينادي عليه البيان الآتي . وقال ابن سينا : الوسواس القوة التي توقع الوسوسة وهي القوى المتخيلة بحسب صيرورتها مستعملة للنفس الحيوانية ... ونحوه ما قيل إنه القوة الوهمية فهي تساعد العقل في المقدمات ، فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ، ولا يخفى أن تفسير كلام الله تعالى بأمثال ذلك من شر الوسواس الخناس "⁽³⁾ ، ويصف القاضي بدر الدين الشبلي كيفية وقوع تلك الوسواس في ضوء تفسيره لسورة الناس فيقول : " وقوله **يُوسُوسُ** **فِي صُدُورِ النَّاسِ** "⁽⁴⁾ صفة ثالثة للشيطان فذكر وسوسته أولاً ثم ذكر محلها ثانياً في صدور الناس ، وتأمل السرّ في قوله :

¹ - الدر المنثور - للسيوطي - ج 8 - ص 694 .

² - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب : صفة إبليس وجنوده - ص 265 - ح 3281 .

³ - روح المعاني للألوسي - ج 6 - ص 512 .

⁴ - سورة الناس ، الآية 5 .

(يُوسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) ولم يقل : في قلوبهم فالصدور هي ساحة القلب وبيته ، فمنه تدخل الواردات عليه فتُجمع في الصدر ثم تلج في القلب فهو بمنزلة الدهليز ، من القلب تخرج الأوامر والإرادات إلى الصدر ثم تتفرق على الجنود ، فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته فيلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب ولهذا قال تعالى : **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ...** (1) ولم يقل فيه والله أعلم " (2).

آراء علماء النفس الإسلامي في معنى الوسوسة :

ويسهب علماء النفس الإسلامي في وصف خواطر الشيطان ، وأرى هنا أن أسوق طرفاً من هذا الوصف لما له من دور في تجلية كنه هذه الخطرات ، فمما يورده الأستاذ حسن الشرقاوي : " الخاطر هو خطاب يرد على النفس ، شيطاناً كان أو ملاكاً... وسبب التميز بين الخاطر راجع إلى حال النفس ... إذ أن سبب غلبة الخواطر المذمومة ، انشغال النفس بحفظها وشهواتها وأهوائها فتزد عليها الوسواس الشيطانية التي تحجبها عن الحقائق وتحسن لها الأعمال والأفعال المستقبحة وتشغلها بالذات التي تطلبها ... " (3).

ويقول الأستاذ محمد خليفة : " وإنه ليجري مجرى الدم في العرق حتى يبلغ القلب فيخنس حتى يرى غفلة من الإنسان عن ربه - وما أكثر غفلات الإنسان - فيركب خواطره ، ويسبح بها بين الذكريات والأحلام لترتع في لذائذ الشهوات ، وتلهث المشاعر وراء الخواطر فإذا وصل الشيطان إلى ما يريد ضحك من أعماقه لأنه أضل ذلك الإنسان عن صراط الله المستقيم " (4).

هل تقتصر الوسوسة على شياطين الجن ؟

كل ما سبق من وصف للوسوسة يتعلق بشياطين الجن ، فهم من لديهم القدرة على الجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق ، وهم من يجثم على قلب الإنسان كما ذكر ابن عباس ، ولكن هل يوسوس شيطان الإنس ؟ من البديهي أن شياطين

1 - سورة طه ، الآية 120

2 - غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة - لبدر الدين الشبلي - ص 217 .

3 - نحو علم نفس إسلامي - لحسن الشرقاوي - ص 95.

4 - مجلة الأزهر - الاستعاذة في القرآن الكريم - لمحمد خليفة - ص 161 - 6 / 1973 .

الإنس لا يستطيعون شيئاً مما سبق ، ولا ينطبق عليهم المعنى المباشر للوسوسة ، التي هي حديث النفس والهمس فيها ، بل حديثهم لغيرهم مباشرة واضح وبعد كل ذلك نقف ، أمام قوله تعالى ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾⁽¹⁾ فالآيات صريحة في أن الوسواس الخناس هو من الناس كما هو من الجنة ، فوسوسة الإنس لبعضهم ثابتة إذاً ، ولكن كيف تكون ؟ وقد كفانا الأستاذ عبد الحمن حبنكه الميداني مؤنة الإجابة عن هذا السؤال حيث يقول : " وقد وُصف الشيطان بأنه خناس ، لأنه يخنس كلما ذكر العبد ربه ... كذلك يفعل شياطين الإنس ، بل شياطين الإنس أشد خطراً وأعظم ضرراً من شياطين الجن ، فشيطان الإنس يوسوس بالأقوال التي تمر عن طريق الفكر ، حتى تصل إلى مراكز الانفعالات والعواطف والشهوات والأهواء في الصدر ، وحين يستجيب الإنسان بإرادته إلى هذه الوسواس فإنه تُنتج سلوكاً منحرفاً يجلب الشر والضرر للإنسان "⁽²⁾.

الوسوسة والإرادة :

لم يكتف شياطين الجن وشياطين الإنس بالوسوسة في صدور أعدائهم وما تحدثه من ضرر كبير في قلب من ابتعد عن تحصينه بالإيمان ، بل إن شياطين الإنس خاصة أكسبوا تلك الوسوسة لباس الرهبة والتخويف فهذا فرويد⁽³⁾ كبير شياطين الإنس في علم النفس الحديث يرى أن " الوسواس تطلق على

1- سورة الناس ، الآيات 4 ، 6 .

2 - معارج التفكير - للميداني - ج 2 - ص .

3 - ولد سيجموند فرويد في 6 مايو 1856م في مدينة فريبورج بمقاطعة مورافيا بتشيكوسلوفاكيا الحالية من والدين يهوديين .

- استقرت أسرة أبيه في "كولونيا" بألمانيا زمناً طويلاً ، نشأ يهودياً ، وأصدقاءه من غير اليهود نادرون إذ كان لا يأنس لغير اليهود ولا يطمئن إلا إليهم . دخل الجامعة عام 1873م وكان يصر على أنه يرفض رفضاً قاطعاً أن يشعر بالدونية والخل من يهوديته . لكن هذا الشعور الموهوم بالاضطهاد ظل يلاحقه على الرغم من احتلاله أرقى المناصب ، انضم عام 1895م إلى جمعية (بناي برث) أي أبناء العهد وهذه التي لم تكن تقبل في عضويتها غير اليهود ، وكان حينها في التاسعة والثلاثين من عمره ، وقد واطب على حضور اجتماعاتها على مدى سنوات ، كما ألقى فيها محاضراته عن تفسير الأحلام ، أسس في فيينا مركز دائرة علمية ، واتصل به أناس من سويسرا وأوروبا عامة ، مما أدى إلى انعقاد المؤتمر الأول للمحللين النفسيين سنة 1908م إلا أن هذه الدائرة لم تدم طويلاً إذ انقسمت على نفسها إلى دوائر مختلفة ، وقد بنى أسس مدرسته النفسية على أمور ثلاث : الجنس والطفولة والكتب ، غادر إلى لندن ليقتضي أيامه الأخيرة فيها مصاباً بسرطان في خده وقد أدركته الوفاة في 23 سبتمبر 1939- موقع موسوعة العقائد والأديان على شبكة الإنترنت - www.aklaam.net/ency/encfroid.htm .

فكرة أو مجموعة أفكار تفرض نفسها على لا شعور المريض مخالفة إرادته ورغبات نفسه ، حتى إن المريض النفسي يستطيع أن يتعرف على شذوذ هذه الفكرة بل ربما يشكو منها ... وقد كان المرضى الذين حللتهم يتمتعون بصحة نفسية جيدة حتى عرّضت لحياتهم النفسية حالة لا تطاق ، أي حتى واجه الأنا لديهم خبرة أو تصور أو عاطفة أثارت انفعالا من العنف جعل الشخص يقرر نسيانه لأنه فقد الثقة في قدرته على إزالة التناقض بين التصور المؤلم والأنا أي أنه عجز عن دفع التصور عن طريق عمل الفكر فعمد إلى أن يتعامل معه وكأنه لم يحدث على الإطلاق⁽¹⁾ وفي تعليقه على هذه القصة يقول صاحب الكتاب : " فالوسواس بهذا المعنى عند علماء النفس حالة نفسية قهرية تبدو في صورة فكرة متصلبة أو شعور متسلط أو اندفاع إجباري للقيام بعمل معين "⁽²⁾

وقد حارب علماء النفس والمفكرون المسلمون هذه الفكرة الشيطانية التي ترمي إلي جعل الإنسان منقاداً للشيطان ، ويبنوا أن الوسواس لم يكن أبداً ليقهر الإنسان أو ليسلب إرادته ، يقول الميداني : " والإنس والجن لهم آثار ذات شر ، وهم يتحركون ويتصرفون في الكون بإرادات حرّة مختارة منحهم الله - عز وجل - إياها ، ومكنهم من تنفيذ بعض مراداتهم ممّا يدخل ضمن استطاعة قدراتهم ، فيما سخر لهم في كونه ، فالإنس قد يمكرون ويكيدون ويوسوسون بأسباب خفية أو ظاهرة ، لإنزال الشرّ أو الصّرّ أو الأذى ، فيمن يكيدونه ، وهذا من لوازم التخيير والتمكين والتسخير ، للإبتلاء في ظروف الحياة الدنيا . والجن قد يفعلون مثل ذلك ، بأسباب خفية مكنهم الله منها ، وسخر لهم ، غير أسباب الإنس ، وهذا من لوازم التخيير والتمكين والتسخير . والشياطين وهم كفرة الجن ومردتهم قد يوسوسون ، ويغرون ، ويسوّلون إطماعاً بالباطل ، لدفع الناس بوساوسهم ، وإغراءاتهم وتسويلاتهم إلى الكفر والفسوق والعصيان وهذا من لوازم التخيير والتمكين والتسخير "⁽³⁾

ويفضّل الدكتور حسن الشرقاوي في علاقة الوسواس بالإرادة من وجهة النظر الإسلامية فيقول : " ينظر أئمة الإسلام إلى الوسوسة إلى أنها نتاج حديث النفس وأمانيتها وأحلامها في الشهوات واللذات ، توعد نارها الغفلة ونسيان الحق ، ويزيد

1 - 2 - نحو علم نفس إسلامي - لحسن الشرقاوي - ص 127 .

2 - المرجع السابق - ص 128 .

3 - معارج التفكير - للميداني - ج 2 - ص 46 ، 47 .

سعيها الشيطان ، وذلك بتحسين الأفعال والأعمال ، وما يفتأ يزيد لهيبتها حتى ينحرف الموسوس إلى الغواية والضلال ويرتكب أفحش الأعمال ويسقط في النهاية صريع الفتنة ، وإذا اعتاد الإنسان على الغفلة أصبحت الوسوسة طبعه الغالب واستمرراً ذلك الطريق ... (1)

وقد أفصح اللعين عن هذه الحقيقة التي تخطب فيها كثير من أتباعه في الدنيا وذلك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة حيث ينقل عنه رب العزة قوله للناس : ﴿ ... وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ ... ﴾ (2) ، فهذا براء صريح من وجود أي سلطان أو قوة قهرية أو خفية للشيطان على الإنسان مهما كثرت عليه الوسواس ، بل إن الإنسان هو من يُسلم نفسه لإبليس ووساوسه بالابتعاد عن حياض الله سبحانه وتعالى والعود به.

علاج الوسواس :

ويعالج علم النفس الإسلامي مرض الوسواس بغير الطرق المستخدمة في علم النفس الحديث ، فالأصل في الوسواس عند الأئمة أنه شيطان رجيم يدخل إلى صدر العبد الذي يوسوس له . فإذا ذكر الله خنس الشيطان وخرج من صدره ... والشيطان يزئ للعبد طريق الضلالات ويحسن له سبيل العصيان ويخذه بوسوسته ، إلا أنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسًا بِهِ نَفْسُهُ ... ﴾ (3)

ثانياً : الإيحاء :

الإيحاء لغة :

(وحي) : الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك ، فالوحي : الإشارة ، والوحي : الكتاب والرسالة ، وكل ما ألقته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان (5)

وقد ورد الوحي مرتبطاً بالشيطان وأوليائه في كتاب الله في موضعين ، يقول سبحانه وتعالى في أولاهما : ﴿ وَكَذَلِكَ

1 - انظر : نحو علم نفس إسلامي - لحسن الشرقاوي - ص 131 .

2 - سورة إبراهيم ، الآية 22

3 - سورة ق ، الآية 16 .

4 - 2- انظر : نحو علم نفس إسلامي - لحسن الشرقاوي - ص 131 .

5 - معجم المقاييس في اللغة - لابن فارس - ص 1085 .

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ... (1) □

أما الموضع الثاني فقولته تعالى : □ ... وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ... (2) □ أي : يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف ، وهو المزوَّق الذي يغترَّ سامعه من الجهلة بأمره . " (3) ، وقد أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في الآية : " قال إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم ، قال : فيلقى شيطان الإنس وشيطان الجن ، فيقول هذا لهذا : أضلله بكذا وأضلله بكذا ، قال : فهو قوله □ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا □ " (4) ، " عن عكرمة عن أبي زميل قال : كنت قاعداً عند ابن عباس ، وحجَّ المختار بن أبي عبيد ، فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس ، زعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة . فقال ابن عباس : صدق ، فنفرت وقلت : يقول ابن عباس صدق . فقال ابن عباس : هما وحيان ، وحي الله ، ووحى الشيطان ، فوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ووحى الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ □

وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ □ " (5) .

وقد تفاوتت أقوال علماء اللغة والتفسير في تعريف كنه الوحي بين الإيماء والإشارة إلى القول المباشر ، وهذا ما يظهر من تعريف الكلمة عند ابن فارس حيث يقول : " في خفاء أو غيره " ، وقد ذهب الراغب إلى أن وحي الشيطان خاصة يقصد به الوسوسة حيث يقول : " وقوله وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم فذلك بالوسواس المشار إليه بقوله من شر الوسواس الخناس " (6) ، أما أبو السعود فقد ارتقى مرتبة في ذلك فجمع في معناه بين الوسوسة والقول السريع يقول : " والوحي عبارة عن الإيماء والقول السريع أي يلقي ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض كل من الفريقين إلى بعض آخر " (7) ، وقد جلى المناوي في التعاريف هذا الوحي فبين أنه لا يكون بالكلام بل بما يشابهه من إشارة أو كتابة فيقول : " الإيحاء إيقاع المعنى في النفس بخفاء وسرعة ولتضمن السرعة قيل أمر وحي

1 - سورة الأنعام ، الآية 112 .

2 - سورة الأنعام ، الآية 121 .

3 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 6 - ص 143 .

4 - تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم - ج 4 - ص 1372 .

5 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 6 - ص 155 .

6 -4- المفردات في غريب القرآن - الأصفهاني ج 1/ص 5154 .

7 - إرشاد العقل السليم - لأبي السعود - ج 3 - ص 175 .

وذلك بكون الكلام على طريق الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكتابة وعلى هذه الأوجه يوحى بعضهم إلى بعض " (1) .

نظرات ولطائف في وحي الشيطان :

لقد مرّ علماؤنا الأفاضل مروراً سريعاً على هذا الباب ، ولم يتعدّوا فيه المعنى اللغوي مع نوع من الإبهام في ذلك نشأ من تفاوت المعاني اللغوية التي حملتها هذه الكلمة ، والحق أن هذا الباب ، وهذا السبيل هو باب كبير ، وسبيل واسع من وسائل الشيطان في إلقاء الغواية إلى أعدائه ، وهذا الباب يدور حول محورين ، تكلم الأكثرون عن الأول ، ولم يتكلموا عن الثاني - فيما أعلم - :

الأول : هو وحي الشيطان إلى الكهنة والسحرة والمنتبئين ، وهذا ما نلمسه في قصة تنبؤ المختار ، وما قاله ابن عباس عن ذلك بأنه وحي الشيطان إليه ، ومنه الوحي إلى الكهان بما يسترقه الشياطين من السمع ، وذلك بإلقاء ذلك الكلام في النفس بتمتمات وإشارات خفية .

الثاني : ويدور هذا المعنى الثاني للإيحاء حول محور المعنى اللغوي لهذه الكلمة ألا وهو إلقاء معنى ما دونما خطاب مباشر ، ومن تلك الطرق في الإلقاء كما رأينا الرسالة والكتابة ، ومن هنا نفهم أن الوحي يكون بالتقاط معاني وكلام وفكر من كتب ومؤلفات سبق كتابتها ، وإذا علمنا أن شياطين الإنس خاصة اعتمدوا كثيراً على هذه الوسيلة الخفية في بث السموم لأدركنا خطر هذا الباب في إيقاع الناس في الغواية .

فكم من مبادئ هدامة ، وأفكار ضالة ، وسلوكيات منحرفة ، وسموم قاتلة بُنّت عبر أدعياء الشياطين من المفكرين والأدباء ، فكتبوا من تلك السموم ونشروها في العالم ليلقاها الناس فيأخذوا من وحيها ، ويتشربوا من خبيثها ، وكأنّ الشياطين يلقون ويوحون إلى هؤلاء الناس دون أن يشعروا بأنه وحي شيطان ، ولا يقتصر الأمر في هذا على وحي من زمان بعينه ، بل نجد كثيراً ممن يدّعون تنوير الفكر الإنساني يقتبسون من وحي الماضي والتراث ، فيجدون كتباً مُلئت سموماً فيحتسوها ، فيصيروا أولياء

1 - التعاريف - للمناوي - ج 1 - ص 105 .

للشیطان ، ثم يرتقون مرتبة ليصبحوا هم الشياطين الذين يضلون غيرهم ، ولقد أخبر الكتاب العزيز عن قصة في غابر الزمان على عهد سليمان ، ارتكزت فيها غواية الشيطان على هذا الضرب من الإيحاء ، وكانت نتيجتها فساد عظیم حلّ بالبشر بعد ذلك ، تلك هي قصة الشياطين وسليمان والسحر فقد أخرج الحاكم في مستدرکه عن عمران بن الحارث أنه قال " بينا نحن عند ابن عباس إذ جاءه رجل فقال من أين جئت قال من العراق قال من أيهم قال من الكوفة قال فما الخبر قال تركتهم وهم يتحدثون أن عليا خارج عليهم فقال ما تقول لا أبا لك لو شعرنا ذلك ما أنكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ثم قال أنا سأحدثك عن ذلك إن الشياطين كانوا يسترقون السمع وكان أحدهم يجيء بكلمة حق قد سمعها الناس فيكذب معها سبعين كذبة فيشربها قلوب الناس فأطلع الله على ذلك سليمان بن داود فأخذها فدفنها تحت الكرسي فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال ألا أدلكم على كنز سليمان الذي لا كنز لأحد مثل كنزه الممتنع قالوا نعم فأخرجوه فإذا هو سحر فتناسختها الأمم فبقاياها مما يتحدث به أهل العراق فأنزل الله عذر سليمان فقال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر " (1) ، فهذه هي الآية **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ...** (2)

" واتبعوا أي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرأها على ملك سليمان أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك إن الشياطين كانوا يسترقون

1 - المستدرک على الصحيحين - للحاكم - ج 2 - ص 291 - ح 3050 ، قال الذهبي في تلخیص المستدرک : صحيح .

2 - سورة البقرة ، الآية 102 .

السمع ثم يضمنون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس " (1) ، فهذه أكاذيب واختلاقات افترتها الشياطين وكتبها أولياؤهم من الكهنة فحبسها سليمان فلما مات استقى اليهود وحي الشر من خلالها ونشروها بين الناس فقرءوها وكانت النتيجة خروج السحر - ذلك البلاء العظيم - إلى الوجود ، وذلك كله منشأه من تلك الإيحاءات المكتوبة ونسأل الله العفو والعافية من تلك السموم ومن ذلك الإيحاء .

ثالثاً : الخطاب الصريح :

هذه هي الطريقة الثالثة التي يوصل الشيطان من خلالها صوته بالباطل والإغواء إلى أعدائه ، القول الصريح المباشر بالألفاظ الواضحة ، وهذه الوسيلة تكاد تكون منعدمة بين شياطين الجن الذين يغوون الإنس وبالعكس إلا بعض الحالات النادرة والتي يتشكل فيها شيطان الجن على هيئة الإنس ، ومن ذلك ما ورد في كتاب الله فيسباق الحديث عن غزوة بدر يقول تعالى : **وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِئْتَانِ تَكْمَنَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (2) فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء إبليس في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال من بني مدلج في صورة سراقه بن مالك ابن جعشم ، فقال الشيطان لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، وأقبل جبريل عليه السلام على إبليس وكانت يده في يد رجل من المشركين ، فلما رأى جبريل انتزع يده وولى مدبراً هو وشيعته ، فقال الرجل يا سراقه إنك جار لنا ، فقال إني أرى ما لا ترون ، وذلك حين رأى الملائكة ، إني أخاف الله والله شديد العقاب ، قال ولما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين ، فقال المشركون وما هؤلاء ؟ غر هؤلاء دينهم ، ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم (3) ، فهذا

1 - الكشاف - للزمخشري - ج 1 - ص 198 .

2 - سورة الأنفال ، الآية 48

3 - الدر المنثور - للسيوطي - ج 4 - ص 77 ، 78 .

البيان من السنة النبوية يوضح أنّ إبليس تشكل على صورة إنسي كان معروفاً لدى المشركين كي تكون غوايته لهم وتغريه بهم أوقع وأكد .

أما الأعم الأغلب في مثل هذه الوسيلة فهو إغواء الجنّ للجنّ ، وإغواء الإنس للإنس ، ففي مثل هذه الحالة يكون الخطاب المباشر أيسر وأسرع في حصول المراد - وإن كان لا يوازي الوسوسة في قوته وتأثيره على النفس - ، وقد ذكرنا في حديثنا عن الوسوسة أنّ هذه الوسوسة يمكن أن تقع من شياطين الإنس ، وهذه الوسيلة الثالثة هي المستخدمة في هذا الباب في إثارة الوسواس في عقول الآخرين .

وكما ذكرنا في شأن الوسوسة وخطورتها ، وكما هو شأن الإيحاء وخطورته ، فإنّ هذه الوسيلة الثالثة لا تقل خطورة عن سابقتها فكم من ندوات تعقد ، وكم من محاضرات تعطى ، وكم من خطابات تلقى ، وكم من غسيل للعقول يدبر ، كل ذلك في سبيل نشر الباطل والغواية بين الناس ، وكل ذلك عبر القول المباشر الذي تنقل من خلاله خطوات الشيطان الموصلة إلى غضب الرحمن والبعد عن الجنان .

وقد ذكر الذكر الحكيم كثيراً من تلك الأمثلة التي كانت الغواية فيها عن طريق ترديد الأقوال وتكرارها ، فهذا الظالم يعضُّ على يديه ندماً على ما كان منه من سماع واتباع لدويّ كلام خليله في الدنيا ، وهو الذي يصفه الحق بالشیطان ، يقول تعالى : **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً** (1) ، فهذه الآيات نزلت في أبي معيط و خليله

فقد أخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما " ان أبا معيط كان يجلس مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة لا يؤذيه وكان رجلاً حليماً وكان بقية قريش إذا جلسوا معه أذوه وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش صبا أبو معيط وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته ما فعل محمد مما كان عليه فقالت أشد مما كان أمراً أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية فقال مالك لا ترد علي تحيتي فقال كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت قال أوقد فعلتها قريش قال نعم قال فما يبيريء صدورهم ان أنا فعلت قال نأتيه في مجلسه وتبصق في وجهه وتشمته

1 - سورة الفرقان ، الآيات 27-29 .

باخبت ما تعلمه من الشتم ففعل فلم يزد النبي صلى الله عليه وسلم ان مسح وجهه من البصاق ثم التفت اليه فقال إن وجدتكَ خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبيرا فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج فقال له أصحابه أخرج معنا قال قد وعدني هذا الرجل ان وُجدني خارجا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبيرا فقالوا لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليهن فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وحل به جملة في جدد من الأرض فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا في في سبعين من قريش وقدم اليه أبو معيط فقال تقتلني من بين هؤلاء قال نعم بما بصقت في وجهي فانزل الله في أبي معيط الآية " ¹ وهذا إبليس يُعْظِمُ القول على الله في معرض تنفير الجن من عبادته ، وهذا ما يسطره الحق سبحانه وتعالى على لسان الجن حيث يقول : **وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** ⁽²⁾ ، فهذان مثلان أولهما في حق الإنس ، والثاني في حق الجن ، وقد استعمل شياطينهم في كل مثل القول المباشر في إغواء نظرائهم ، وكتاب الله فيه من ذلك الكثير .

المطلب الثاني : مداخل الشيطان إلى النفس :

تحدثنا في المطلب السابق عن الكيفية التي يدخل الشيطان بها إلى نفس أعدائه ، ورأينا كيف كانت الوسوسة سيّد تلك الوسائل ، والتي يلقي من خلالها بخطواته لينزلق فيها العبد ، ولكن هل يلقي الشيطان بخطواته عبر هذه الوسائل بنفس الكيفية في نفس كل إنسان ؟

يختلف الناس في طبائعهم ومشاربهم وطرق تفكيرهم وما يجذبهم اختلافاً كبيراً يتراوح بين النقيضين فهذا يُفْتَنُّ بالعقل ، وهذا يُجَدَّبُ بالعاطفة ، وثالثٌ يُؤْتى من حبّ المال ، ورابعٌ من حبّ الظهور ، وخامسٌ من حبّ الخلود وهكذا ، ولذا فقد تعددت واختلقت المداخل التي من خلالها يتسنى للشيطان أن يلج إلى نفس الإنسان فيغوّه ، وتلك المداخل هي التي نسمّيها نقاط الضعف لدى الإنسان وهي في مجملها نوازع سوء وشر اقتضتها

¹ الدر المنثور - للسيوطي - ج 6 - ص 250 .

² - سورة الجن ، الآية 4 .

طبيعة الإنسان الأرضية ، فكل إنسان أو جانٌّ جُيِلَ على الخير والشرِّ وفُطِرَ على الخير ، فَمَن نازعته جِبِلَّتُه على فطرته غلبت عليه تلك النوازع السيئة وكثرت فيه نقاط الضعف وبالتالي مداخل الشيطان وأما من نازعت فطرته جِبِلَّتُه فغلبتها - وذلك بالتمسك بدين الله - حَقَّتْ فيه مكامن الشرِّ وكادت مداخل الشيطان إليه أن تغلق .

يقول ابن القيم واصفاً تلك المداخل : " اختار الله الإنسان من بين خلقه فكَّرمه واصطفاه ، وجعله محلاً للإيمان والتوحيد والإخلاص والمحبة والرجاء ، وابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة ، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه ... فهو (أي الشيطان) يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه ، فتميل نفسه معه ، لأنه يدخل عليها بما تحب ، فيتفق هو نفسه وهواه على العبد : ثلاثة مسلطون أمّارون ، فيبعثون الجوارح في قضاء وطهرهم ، والجوارح آلة منقادة ، فلا يمكنها إلا الانبعاث ، فهذا هو شأن هذه الثلاثة " (1) .

وقد توسع العلماء ممن كتبوا في هذا الموضوع في سرد مداخل الشيطان على النفس فمنهم من حدّها بعدد معين ، فقد أوصلها الغزالي إلى ثمانية مداخل (2) ، ومنهم من زاد على ذلك ومنهم من أنقص ، ومنهم من لم يحدّها بحد بل جعلها تشمل كل أمراض القلوب ، يقول الأستاذ عمر الأشقر : " في الإنسان نقاط ضعف كثيرة ، هي في الحقيقة أمراض ، والشيطان يعمق هذه الأمراض في نفس الإنسان ، بل تصبح مداخله إلى النفس الإنسانية ، ومن هذه الأمراض : الضعف ، واليأس ، والقنوط ، والبطر ، والفرح ، والعجب ، والفخر ، والظلم ، والبغي ، والجحود

1 - الوابل الصيب - لابن القيم - ص 21 .

2 - انظر : إحياء علوم الدين - للغزالي - ج 3 - ص 960 وما بعدها .

، والكنود ، والعجلة ، والطيش ، والسفه ، والبخل ، والشح ،
والحرص ، والجدل ، والمراء ، والشك ، والريبة ، والجهل ،
والغفلة ، واللد في الخصومة ، والغرور ، والادعاء الكاذب ،
والهلع ، والجزع ، والمنع ، والتمرد ، والطغيان ، وتجاوز الحدود ،
وحب المال ، والافتتان بالدنيا ... " (1) .

النظرة القرآنية :

هذه هي نظرة العلماء إلى مداخل الشيطان ، نظرية متوسعة مفصلة مسهبة وحيث إن بحثنا هذا هو بحث قرآني ، يرتكز في تصويره على آيات الكتاب العزيز ، فإننا سنضرب صفحاً عن تفصيلات العلماء وإطنا بهم في هذا المجال وننتقل مباشرة إلى الوجهة القرآنية فيه :

فالقرآن ، هذا الكتاب المعجز ، لا يعنى بتفاصيل الأمور ودقائقها بل يكتفي بذكر جوامع الكلم ، وقد أبرز القرآن الكريم ثلاثة مداخل للغواية ، واحداً في شأن إبليس نفسه ، وإثنين في حق آدم وحواء :

أما ما هو في حق إبليس فهو الكبر ، وما في حق آدم وحواء فهما حبّ الخلود ، وحبّ الملك ، فهذه الصفات الثلاثة هي مجمع كل صفة خبيثة تأتي بعد ذلك ، فكل ما ذكر العلماء من نقاط ضعف وأمراض قلب تندرج تحت هذه الثلاث :

أولاً : الكبر والعجب :

تلك هي الصفة التي أتى منها إبليس أبو الشياطين ، فقد كان عابداً زاهداً ، بلغ به الحد في الطاعة والعبادة أن سُمي طاووس الملائكة ، ومن هذه النقطة بالذات دخل إلى نفسه العجب بنفسه والتكبر على غيره ، وهذا ما يقرره الحق سبحانه في غير آية في كتاب الله تعالى : **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** (2) .

قال الفضيل بن عياض : " إذ ظفر إبليس من ابن آدم بإحدى ثلاث خصال قال لا أطلب غيرها : إعجابه بنفسه ، واستكثاره عمله ، ونسيانه ذنوبه وهذا يعني أن هذه الثلاث الجامعة لأوصاف العجب هي رأس السوء عند الفضيل بحيث أن إبليس يضمن

1 - عالم الجن والشياطين - لعمر الأشقر - ص 104 ، 105 ، وانظر : مجلة الأزهر - الإنسان والشیطان - كارم السيد غنيم - ص 1321 - 1994 .

2 - سورة البقرة ، الآية 34

بعدها كل عيب يحبه ، أي أن العجب أصل كل بلاء وفتنة عنده ،
ويذكر الفضيل في هذا ما نقل له عن عيسى عليه السلام حين
قال : " كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عبادة قد
أفسدها العجب فالعمل الصالح ضياء ونور يتحول إلى ظلام إذا
هبت رياح العجب عليه " (1)

وقد سبق الحديث عن الكبر في سياق هذا البحث (2) ، ولكننا
ذكرنا هنا ما يتصل منه بمدخل الشيطان إلى النفس .

ثانياً : حبُّ الخلود :

وهذه هي الصفة الثانية التي يبرزها القرآن في معرض
حديثه عمَّا أزلَّ به إبليس آدمَ وزوجه ، فهي إذاً إحدى المدخلين
الذين دخل منهما إبليس على آدم - عليه السلام - وزوجه ، قال
تعالى : " ... وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا
أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ " (3) أخرج الطبري
بسنده عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم " أن آدم حين دخل
الجنة ورأى ما فيها من الكرامة وما أعطاه الله منها قال لو أن
خلدا كان ، فاغتنمها منه الشيطان لما سمعها منه فأتاه من قبل
الخلد " (4)

وحبُّ الخلود هنا لا يُتصوَّر منه اعتقاد الخلود الأبدي في
الدنيا وأن لا جنة ولا نار ، ولكنه حبُّ طول العيش في الدنيا ،
وعدم الرغبة في مفارقتها (5) .

ثالثاً : حبُّ المُلْك :

ومن أحب الخلود في هذه الأرض ، ورغب عن هجرها ،
أورث في قلبه حبَّها وحبُّ التملك فيها ، والترقي في مراتب مُلكها
، وكذا جاءت الصفة الثانية التي نفذ الشيطان من خلالها إلى قلب
آدم - ذاك الذي كان يجهل من تلك المكائد والوساوس الكثير -
فبعد أن حبه في الخلود دفع بوساوسه من خلال حبِّ التملك
والعلو في دنيا أحبِّ الإنسان البقاء فيها يقول تعالى :
**فَوَيْسُوسَ إِلِيهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ
الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى** (6) ، فهذا مكنن ضعف لدى البشر
أجمعين ، جبلوا عليه ، فمن غذاه بحبِّ الخلود وطول الأمل فتح
على نفسه أبواب الشيطان على مصارعها ، ومن داواه بالزهد في

1 - العوائق - لمحمد الراشد - ص 50 ، بتصريف يسير .

2 - انظر : ص 24 من هذا البحث .

3 - سورة الأعراف ، الآية 20

4 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 179

5 - انظر : روح المعاني - للأوسى - م 5 - ج 8 - ص 146 .

6 - سورة طه - الآية 120

الدنيا وحبّ لقاء الله ، أغلق على الشيطان تلك الأبواب فردّه
صاغراً .

المبحث الثالث الخطوات المنهجية للشیطان

بعد أن تعرفنا على ماهية خطوات الشيطان وخطورتها على الإنسان ، وبعد أن رأينا كيف تنتقل هذه الخطوات إلى العبد ومن أين يُؤتى بها إليه ، نتعرف في هذا المبحث على هذه الخطوات المنهجية التي يجذب بها الشيطان أعداءه إلى مصائده فيوقعهم في المعصية تلو المعصية حتى ينتهي بهم إلى الموت على الكفر ولكننا سنذكر هنا - كما سبق وأن ذكرنا - تلك الخطوات التي تسبق الوقوع في الإثم كي تكون مجردة عن الغايات الشيطانية ، فمتى وصل الإنسان إلى الزلل الموقع في الإثم وصل إلى غاية من غايات الشيطان ، قد تكون هذه الغاية بدورها خطوة إلى غاية تتلوها وهكذا .

المطلب الأول : تزيين الباطل وتسويله :

تزيين الباطل وتحسينه في نفس المرء هو من أول وأخطر خطوات الشيطان حيث يأخذ هذا التزيين طريقه إلى القلب والعقل عبر الوسوس ، فتحمله فيدخل عبر نقاط الضعف لدى الإنسان .

وقد استعمل الكتاب العزيز ألفاظ التزيين والتسويل للدلالة على هذه الخطوة فما هو التزيين ، وما هو التسويل عند أهل اللغة ؟

التزيين والتسويل لغة :

التزيين : الزاء والياء والنون أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه فالزَّيْن نقيض الشُّيْن ، يقال زَيَّنْتُ الشيءَ تزييناً ، وازَيَّنْتُ الأرضَ وازدانت إذا حسَّنها عشْبها⁽¹⁾ .

¹ - معجم المقاييس في اللغة - لابن فارس - ص 467 .
-132-

سَوَّلَ : السین والواو واللام أصل يدل على استرخاء في شيء ،
يقال : سَوَّلَ يَسْوِلُ سَوِّلاً ، فأما قولهم سَوَّلْتُ له الشيء ، إذا
زَيَّنْتُهُ له ، فممکن أن تكون أعطيته سؤله على أن تكون الهمزة
مليئة (1) .

فالكلمتان - بحسب اللغة - تجتمعان على معنى واحد هو :
تحسين وتسهيل المعصية لفاعلها ، وإن كانت هناك فروق بين
الكلمتين فهي فروق دقيقة تتعلق بطريقة هذا التحسين ، وعلى
أيِّ حال ، فالتسويل ورد مرتبطاً بالشیطان ، مرة واحدة في
كتاب الله وذلك في قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَيَّ
أَدْبَارَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ
وَأَمَلَى لَهُمْ** (2) فعن قتادة : "سَوَّلَ لَهُمْ : زَيَّنَ لَهُمْ" (3) ، وعن
الحسن : " زَيَّنَ لَهُمْ خطاياهم " (4) ، فالسلف هنا يساوون بين
التسويل والتزيين باعتبار أن مؤداهما واحد ، ولكننا إذا نظرنا إلى
المفسرين من أهل اللغة والبلاغة وجدنا عندهم زيادة تفصيل
على هذا المعنى فيقول أبو السعود : " أي سهَّلَ لَهُمْ ركوب
العظائم من السَّوَّل وهو الاسترخاء ، وقيل السَّوَّل المخفف من
السَّوَّل لاستمرار القلب فمعنى سَوَّلَ له أمراً حينئذٍ : أوقعه في
أمنئته فإن السَّوَّل الأمنية " (5) ، ويقول الطاهر بن عاشور :
" والتسويل : التسهيل وتزيين النفس ما تحرص على حصوله " (6)

نلاحظ من خلال هذه الأقوال أن التسويل يتحدث عن معنى
عميق في النفس البشرية ، فالتزيين هو تحسين الباطل في
نظر الإنسان فيسلِّكه ، وهذا المعنى يُفهم من اللفظ اللغوي وهو
الحُسن والتحسين فالتزيين قلب الأمر الشائن حسناً في عقل
المرء وقلبه ، أما التسويل فهو إما من السَّوَّل بمعنى الاسترخاء
والتَّمطِّي ، أو من السَّوَّل بمعنى الأمنية والطلب ، وإذا أردنا أن
نبسِّط هذا المعنى في كلمات شارحة نقول :
ارتبطت هذه الكلمة في موضع ذكرها الوحيد بلفظة الإملاء
والتي هي بمعنى التسويف وطول الأمل ، وهو من الأمور المحببة

1 - المرجع السابق - ص 498 ، 499 .

2 - سورة محمد ، الآية 25 .

3 - جامع البيان - للطبري - م 13 - ج 26 - ص 72 .

4 - النكت والعيون - للماوردي - ج 5 - ص 303 .

5 - إرشاد العقل السليم - لأبي السعود - ج 7 - ص 99 .

6 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - م 6 - ج 12 - ص 238 .

إلى النفس ، بل هي من مداخل الشيطان إليها ، فإذا حُبب طول الأمل والخلود إلى نفس الإنسان حُببت إليه الدنيا ، فتتنافر نفسه مباشرة مع دين الله والتزام أوامره ، وهنا يأتي دور هذه اللفظة بالتعاون مع الشيطان ، فالنفس الآن تدور بين حب الدنيا والرغبة في اتباع دين الله ، وهي حين ترضي شهواتها تتشعر بالألم والتأنيب في ترك أوامر الله ، فيأتي الشيطان ليسهل لها ارتكاب الإثم ويذهب عنها هذا التوتر فيشعرها بالاسترخاء بهذا التسويل ويعطيها أمنيته التي طلبت على رضى زائف واسترخاء كاذب .

وقد ورد التزيين في كتاب الله في مواضع كثيرة منها ما هو عام ومنها ما هو مقييد بالشيطان وبغيره ، وقد تحدث الألووسي عن هذه المعاني حيث يقول : " التزيين له معانٍ : إحدها إيجاد الشيء حسناً مزيناً في نفس الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ ... ﴾ (1) ، والثاني : جعله مزيناً من غير إيجاد كتزيين الماشطة للعروس ، والثالث : جعله محبوباً للنفس مشتهى للطبع وإن لم يكن في نفسه كذلك ، وهذا إما بمعنى خلق الميل في النفس والطبع وإما بمعنى تزويقه وترويجه في القول وما يشبهه كالوسوسة والإغواء ، وعلى هذا يُبنى أمر إسناده ، فإنه جاء في النظم الكريم تارة مسنداً إلى الشيطان ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (2) وتارة إليه سبحانه كما في قوله سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ... ﴾ (3) ، وتارة إلى البشر كقوله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ ... ﴾ (4) ، فإن كان بالمعنى الأول فإسناده إلى الله تعالى حقيقة ، وكذا إذا كان بالمعنى

1 - سورة الملك ، الآية 5 .

2 - سورة الأنعام ، الآية 43 .

3 - سورة الأنعام ، الآية 108 .

4 - سورة الأنعام ، الآية 137 .

الثاني بناءً على المراد منه أولاً ، وإذا كان بالمعنى الثاني أو الثالث بناءً على المراد منه ثانياً فإسناده إلى الشيطان أو البشر حقيقة ، ولا يمكن إسناد ما يكون بالإغواء والوسوسة إليه سبحانه كذلك . " (1) ، وقد توعد إبليس أعداءه بتزيين الباطل لهم ، وذلك بما أودعه الله فيه وفي أتباعه من قوى الشر والوسوسة يقول تعالى على لسان اللعين : **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** (2) " قال إبليس : بإغوائك ، وكأن قوله بما أغويتني : خرج مخرج القسم ، كما يقال : بالله أو بعزة الله لأغوينهم . وعنى بقوله : (لأزيين لهم في الأرض) لأحسنن لهم معاصيك ولأحببها إليهم في الأرض ... " (3)

محاوَر التزيين :

ويعمل الشيطان في تزيينه العمل لأعدائه على محورين أساسيين هما : تحبيب الباطل إلى النفس ، والتنفير من الحق ، يقول ابن القيم : " ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيد ... فيزين له الفعل الذي يضره حتى يُخيل إليه أنه أنفع الأشياء ، ويُنفِّره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له حتى يُخيل له أنه يضره ... فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة ... وزين لهم عبادة الأصنام ، وقطيعة الأرحام ، وواد البنات ، ونكاح الأمهات ، ووعدهم الفوز بالجنات ، مع الكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه ووضعهم ذلك في قالب التنزيه ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس ، وحسن الخلق معهم ، والعمل بقوله ...

¹ - روح المعاني - للألوسي - ج 5 - ص 220 .

² - سورة الحجر ، الآية 39 .

³ - جامع البيان - للطبري - م 8 - ج 14 - ص 42 .

عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ... ۞ (1) والإعراض عما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قالب التقليد ، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم ، والنفاق والمداهنة في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس " (2) .

وقد أورد القرآن كثيراً من تلك الأمثلة التي زين فيها الشيطان الكفر والباطل لأعدائه فاتبعوه على ما أراد ، فهؤلاء قوم سبأ يعبدون الشمس من دون الله ، فيقرر الحق سبحانه وتعالى أنّ هذه الفعلة الشنعاء إنما هي من تزيين الشيطان يقول تعالى على لسان الهدد : ۞ **وَجَدَّتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ** ۞ (3) فالشيطان زين لهم ما هم فيه من الكفر ، وصدّهم عن طريق التوحيد (4) .

وفي سورة النحل يقسم الحق سبحانه على هذه الحقيقة ليؤكد لكل شاك دور الشيطان في ضلال البشر فيقول : ۞ **تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ۞ (5) " أي حسن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان مقيمين ، حتى كذبوا رسلهم ، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم " (6) .

وفي خضم هذا التيار الجارف من تزيين الباطل ، والذي لا ينفك الشيطان عن إرساله على أعدائه ، يحمل إليهم المحور الآخر من التزيين ، وهو ليس تزييناً مباشراً للعمل ، بل هو لازم ذلك التزيين ، وهو المحور الثاني الذي ذكرناها قبيل قليل ، ألا وهو التنفير من الحق ، فصاحب الهوى وحبّ الدنيا بعيد بالضرورة عن الحق وحبه ، بل إن الشيطان يعتمد في بعض الأحيان إلى بدأ رحلة الخطوات مع المؤمنين خاصة بالتنفير من اتباع الحق ، ومن

1 - سورة المائدة - الآية 105 .

2 - إغاثة اللفهان - لابن القيم - ج 1 - ص 130 .

3 - سورة النمل ، الآية 24 .

4 - انظر : الجامع لأيات الأحكام - للقرطبي - ج 13 - ص 185 .

5 - سورة النحل ، الآية 63 .

6 - جامع البيان - للطبري - م 8 - ج 14 - ص 160 .

إظهار الخير في غير اتباعه ، أما على وجه العموم فهو يعمد إلى تزيين الباطل أولاً مما يؤدي إلى التنفير من الحق .

تزيين الدنيا والتنفير من الحق :

ويعمد الشيطان في وساوسه إلى التنفير من الحق عن طريق تحبيب الإنسان في الدنيا ، فهذه عادٌ وثمرود يضرب الله لنا المثل في مساكنهم وكيف زين لهم الشيطان حبها وحب الدنيا التي احتوتها يقول تعالى : **﴿ وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾** (1)

وينقل الرازي عن الزجاج أحد تأويلين في قوله تعالى : **﴿**

وَقَبَضْنَا لَهُمْ فَرْتَاءً فَرَيْتُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلَفَهُمْ ... ﴾ (2) فيقول : " اختلفوا في المراد بقوله تعالى

(فَرَيْتُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَفَهُمْ) وذكر الزجاج فيه وجهين : الأول : زينوا لهم ما بين أيديهم من الآخرة أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، وما خلفهم من أمر الدنيا ، فزينوا أن الدنيا قديمة ، وأنه لا فاعل ولا صانع إلا الطباع والأفلاك ... " (3)

وهذا التزيين للدنيا يقود إلى التنفير من الدين وأهله يقول

تعالى : **﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ**

الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ (4) فتحسين الدنيا في قلوب هؤلاء الكفار

قادهم بالتالي إلى بغض أهل الإيمان والسخرية منهم .

وقد ساق الغزالي قصة في تنفير الشيطان الدعاء عن

الدعوة إلى الله ، وفي المقابل تزيين الدنيا لهم كي تصرفهم عن دعوتهم ، وأرى أنه من المفيد أن أذكر هذه القصة باختصار لنرى مثلاً حياً لتزيين العمل والتنفير من الحق .

ذكر الغزالي في الإحياء أن عبداً كان يعبد الله دهرًا طويلاً

، فبلغه أن أناساً يعبدون شجرة من دون الله تعالى ، فغضب

لذلك وقصد إلى الشجرة ليقطعها ، فاستقبله إبليس في

صورة شيخ فقال : ماذا تريد ؟ قال : أريد قطع الشجرة ، فقال :

ترك عبادتك لشأن ما لك فيه ، فقال : إن هذا من عبادتي ،

فقاتله إبليس كي لا يقطعها فصرعه العابد وجلس على صدره ،

فقال إبليس : اتركني كي أكلمك ، فتركه فقال : ما كلفك الله

بهذا ، بل إن لله أنبياء لهذا الغرض ولو شاء لبعثهم لقطعها ، قال

1 - سورة العنكبوت ، الآية 38 .

2 - سورة فصلت ، الآية 25 .

3 - التفسير الكبير - للرازي - م 14 - ج 27 - ص 103 .

4 - سورة البقرة ، الآية 212 .

العابد : لا بد من قطعها فصرع إبليس مرة أخرى ، فعاوده التوسل ليكلمه فقال له : أنت رجل فقير لا تجد ما يعولك وتحب أن تتفضل على إخوانك ، قال نعم ، قال فارجع عن هذا ولك عليّ أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين ، تنفق على نفسك وعيالك وأصدقائك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع الشجرة ، فتفكر العابد فيما قال ، وقال : صدق الشيخ ، لست بنبيّ فيلزمني قطع هذه الشجرة ، ولا أمرني الله أن أقطعها ، فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له ، ورجع العابد إلى متعبده فبات ، فلما أصبح وجد دينارين ، وكذلك اليوم الثاني ، وأصبح الثالث والذي بعده فلم يجد شيئاً ، فغضب وقصد إلى الشجرة ليقطعها ، فلقية إبليس ثانية على هيئة الشيخ ، فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة ، ولكن إبليس صرعه وقال : لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك فقال له العابد : لقد غلبتني فحلّ عني وأخبرني كيف غلبتني أولاً وغلبتني الآن ؟ فقال : لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك ، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك " (1)

لطائف في تزيين الشيطان :

مرّ بنا قوله تعالى : **وَإِعَادًا وَتَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** (2) ، في معرض الحديث عن حبّ الدنيا ، ولكننا نقف هنا وقفة تأمل وتدبر لفاصلة الآية (مستبصرين) فهي تدل على أن هؤلاء الأقوام كانوا أولي الباب وبصائر ، وقد وهبهم الله دقة النظر والتفكير يقول الفراء : " كانوا عقلاء ذوي بصائر " (3) ، ويقول الزمخشري : " وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ، ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل عليهم السلام ، ولكنهم لجوا حتى هلكوا " (4) ، فهذان قومان من أكبر وأشهر الأقوام البائدة ، يمنحهم الله العقل وسداد النظر ، فيأتيهم الشيطان من هذا الباب ، باب العقل ، فيغيرهم بعقولهم فيلجّوا ويجادلوا فيهلكوا ، وما أريد أن أقوله أنّ هذا باب كبير واسع من أبواب تزيين الشيطان العمل للإنسان ، فكم من علماء ومفكرين وأدباء

1 - انظر : إحياء علوم الدين - للغزالي - ج 3 - ص 907

2 - سورة العنكبوت ، الآية 38 .

3 - تفسير البغوي - ج 3 - ص 467 .

4 - الكشاف - للزمخشري - ج 3 - ص 458 .

سقطوا في مراتع عقولهم لما تركوا الاحتكام إلى شرع الله ، فالشیطان يأتي لمثل هؤلاء من باب تزيين قوة العقل ، ويدعوا إلى الافتتان بها ، وما تلك الأفكار الباطلة التي انتشرت في عالمنا اليوم ، أمثال الشيوعية ، والوجودية ، وتحرير المرأة والرأسمالية وغيرها إلا مثال حي على فتنة العقل أهله بتزيين الشيطان ، فكم من مفكر غره عقله حتى أوصله إلى الهلاك والكفر بالله ، فهذه فتنة جرفت كثيراً من البشر في غمارها في عصرنا هذا ، وإنما كل ذلك من تزيين الشيطان .

أدوات التزيين :

ولا يكتفي الشيطان في تزيينه الباطل لأعدائه بمجرد تحسين الأمر في أعينهم وعقولهم ، أو تنفيرهم مما يخالفه وهو الحق ، بل يأتي على ذلك بأدوات ومؤكدات ومحفزات يرفع بهن الشك عن قلوب الشاكين ، ويزيل بهن الريب عن عقول المترددين في سعيه إلى قلب الحقائق عندهم ، تلك الأدوات سلاح لصيق بإبليس وجنده مُد بدأت رحلة الغواية والإغواء بينه وجنده من جهة وبين من نجا من براثن حزبه .

أولاً : الكذب :

ذكرنا أن التزيين هو تحسين الأمر في النفس ، وهذا التحسين يأتي إما لتشويه صورة هذا الأمر في نفس السامع فيعيدها المرئيون إلى أصلها ، وهذا مختص بالدعاة الصادقين ، وإما أن يقلب الصورة الحقيقية للأمر على خلافها وهذا هو عمل الشيطان ، وهذا العمل قائم بالدرجة الأولى على الكذب ، فلا يتأتى تزيين الشيطان بلا كذب ، فهذه الأداة هي ديدن الشيطان في كل تزيين يقوم به ، وخذ على ذلك مثلاً قرآنيّاً زيّن فيه الشيطان حرب المسلمين في أعين الكفار ، وأقام تزيينه هذا على أكذوبة هيّجها في نفوسهم المريضة يقول تعالى في حق مشركي بدر : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ... ﴾ (1) فهذا تزيين فحواه كذبٌ ومدخله إليهم العجب والبطر الذي ملأ

¹ - سورة الأنفال ، الآية 48 .

نفوسهم ، ألم تر أن الله وصفهم في الآية التي قبلها فقال : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ (1) ،
فلما رأى إبليس منهم عجبهم بأنفسهم وبطرهم أتاهم من هذا
الباب فزى لهم قوتهم ، وأكذبهم النصيحة بوسواسه في
صدورهم " فحسّن لهم - لعنه الله - ما جاءوا له وما همّوا به
وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس " (2) ، وأينما وقعت
عينك على تزيين للشيطان في كتاب الله وجدت رائده الكذب
والتدليس ، وأول ذلك الكذب تزيين الشيطان الأكل من الشجرة
لآدم وزوجه ، فقد أخبرهما أنهما ما تُهيا عن الأكل من هذه
الشجرة إلا خوفاً من أن يكونا ملكين ، أو من أن يخلدا ...
**وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾ (3) .

ثانياً : الحلف والوعد الكاذب :

وبعد أن يزين الشيطانُ الباطلَ في قلب العبد ، وينفره
من الحق ، قد لا يستقر هذا التزيين في قلبه تمام الاستقرار ،
فيجد في نفسه شيء من هذا التزيين ، وكأنما لم يُحبك على
أشدّه ، فيلجأ الشيطان في مثل هذه الحالات إلى أداة أخرى من
أدوات التزيين يزيل بها الريب عن هذا القلب ، تلك الأداة هي
الوعد الكاذب والحلف له بالله .
وأول ما وقع من ذلك هو الحلف والإقسام بالله لآدم وزوجه
على صدق ما زى لهما ، وإنما أتى بالقسم هنا لمعرفة بحال
آدم وزوجه من الثقة الكاملة بالله فأتاهما من هذا الباب يقول

¹ - سورة الأنفال ، الآية 47 .

² - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 7 - ص 99 .

³ - سورة الأعراف ، الآية 20 .

تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (1)
 "وقاسمهما أي حلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين ، فإني
 من قبلكما ها هنا وأعلم بهذا المكان ، وهذا من باب المفاعلة
 والمراد أحد الطرفين ، وقال قتادة في الآية حلف بالله إني
 خلقت قبلكما ، وأنا أعلم منكما فاتبعان أرشدكما ، وكان بعض
 أهل العلم يقول من خدعنا بالله انخدعنا له " (2) .
 وقد فشا هذا الأسلوب الخبيث من أساليب التزيين والإغواء
 بين شياطين الإنس ، فاتخذوا الحلف بالله ديدنهم في سبيل
 الوصول إلى ما يريدون من إغواء غيرهم وإيقاعهم في الضلالة ،
 وفي سبيل تأكيد باطلهم لغيرهم ، فهؤلاء شياطين الإنس من
 الكفار يكثر من الإقسام بالله على تأكيد قضايا الباطل التي
 يؤمنون بها ، فهاهم يقسمون على قضية البعث في معرض
 إنكارهم لها ، وتزيين ذلك الإنكار لغيرهم يقول تعالى : ﴿
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى
وَعُدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (3) .
 أما الوعد الكاذب فسلح الشيطان في أهل الدنيا ومحبيها ،
 وهذا الوعد ليس كاذباً فقط ، بل هو عَرُورٌ وخادع لمن يقع عليه ،
 وقد أخبر الحق سبحانه عن إبليس أنه سوف يعد الناس أجمعين
 بالكذب والخداع ، وأخبرهم بكنه تلك الوعود ، يقول تعالى في
 سياق خطابه لإبليس : ﴿ ... **وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ**
إِلَّا غُرُورًا ﴾ (4) .

وقد سبق لنا أن ذكرنا كذب الشيطان في تزيينه للمشركين
 الخروج يوم بدر لملاقة المؤمنين ، وقد استعان الشيطان في
 هذا الكذب والتزيين بوعدٍ كاذبٍ أطلقه للمشركين حيث قال لهم

1 - سورة الأعراف ، الآية 21 .

2 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 6 - ص 273 .

3 - سورة النحل ، الآية 38 .

4 - سورة الإسراء ، الآية 64 .

: ... وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ... ﴿ (1) " لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ سَارَ إِبْلِيسُ بِرَايَتِهِ وَجُنُودَهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَغْلِبَكُمْ وَأَنِّي جَارٌ لَكُمْ ، فَلَمَّا اتَّقَوْا ، وَنَظَرَ الشَّيْطَانُ إِلَى إِمْدَادِ الْمَلَائِكَةِ فَرَجَعَ مَدْبِرًا وَقَالَ : إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ " (2) .
وفي نهاية الأمر ، وبعد أن يغرق الشيطان أتباعه في تلك الوعود الكاذبة فيقودهم بها إلى جهنم ، يفصح لهم عن الحقيقة المرة والتي لطالما حذرهم القرآن الكريم منها ، فيقف الشيطان في الناس يوم القيامة خطيباً يخبرهم بأنه وعدهم وعوداً كثيرة لا حصر لها ، وما صدقهم فيها من وعد ، وإنما الصدق كله كان عند الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ... ﴾ (3)
وقد مرّ تفسيرها عند الحديث عن خذلان الشيطان أتباعه (4) .
المطلب الثاني : الإنساء :

لا يوفر الشيطان جهداً في اقتناص كل ما من شأنه أن يوقع أعداءه في حباله ، فهو - كما ذكر الحق سبحانه - يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيماهم وعن شمائلهم : ﴿ ثُمَّ لَأَنظُرَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (5) ، ومن تلك الخطوات التي يعمد إبليس وجنده على زرعها في قلب عدوّه إنساؤه الحق ، ومحاولة صرفه عن أوامر الله ما أمكنه ذلك ، يقول تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (6) " (أنساهاهم ذكر الله) : أي أوامره في العمل بطاعته ، وقيل : زواجه في النهي عن معصيته والنسيان قد

1 - سورة الأنفال ، الآية 48 .

2 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 7 - ص 100 .

3 - سورة إبراهيم ، الآية 22 .

4 - انظر - ص 31 من هذا البحث .

5 - سورة الأعراف ، الآية 17 .

6 - سورة المجادلة ، الآية 19 .

يكون بمعنى الغفلة وقد يكون بمعنى الترك والوجهان محتملان هنا " (1)، فهذا هو هدف الشيطان ، إنساء أعدائه كل ما يربطهم بطريق الخلاص من هذه الدنيا .

ويحذر تعالى من استمرار النسيان عند العبد فيصير غفلة تميت القلب ، فيخاطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - قائلاً :
وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعُدُّ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (2) " أي : وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم ، والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ثم ذكرت ذلك ، فقم عنهم ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه " (3) .

في الآية إشكال :

الظاهر من سياق الآية أنها في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وإذا كان الأمر كذلك ورد إشكال على الإنساء هنا ، فالإنساء في الآية مُسندٌ إلى الشيطان وهو في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فهل يُنسى الشيطان الأنبياء ؟
هذا الخطاب في شأن النبي على سبيل الفرض لا التحقيق لوقوع ما يحذر منه تعالى إذ لا سبيل للشيطان على الأنبياء كما يقول الألوسي : " وإما ينسبك الشيطان بأن يشغلك فتنسى الأمر بالإعراض عنهم فتجالسهم ابتداءً أو بقاءً ، وهذا على سبيل الفرض إذ لم يقع ، وأنى للشيطان سبيل إلى إشغال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولذا عبر بـ (إن) الشرطية

1 - الجامع لآيات الأحكام - للقرطبي - ج 17 - ص 309 .

2 - سورة الأنعام ، الآية 68 .

3 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 7 - ص 285 .

المزیدة (ما) بعدها " (1) " ويجوز وقوع النسيان على النبي -
صلى الله عليه وسلم - بغير وسوسة الشيطان لقوله تعالى ﴿
وَأَذْكُرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (2) ، وقد وقع النسيان من آدم - عليه
السلام - : ﴿ **وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ
لَهُ عَزْمًا** ﴾ (3) ، ومن موسى - عليه السلام - : ﴿ **قَالَ لَا
تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا** ﴾ (4) ،
وثبت في كتب السنة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سها في
الصلاة وقال : (إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت
فذكروني) (5) ، وأما في تبليغ الوحي والدين المنزل من الله -
سبحانه وتعالى - فإن الأنبياء معصومون عن نسيان شيء مما
أمرهم الله بتبليغه من حلال أو حرام ، لقوله تعالى : ﴿ **لَا تُحَرِّكُ
بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا بَيَاتَهُ** ﴾ (6) " (7) .

والشيطان يطمع دوماً لإيقاع أعدائه في نسيان ما أمرهم
الله به ، أو ما نهاهم عنه ولو للحظة واحدة علّه يفوّت عليهم
خيراً أرادته الله لهم ، أو يوقعهم في شرٍّ كرهه الله لهم ،
فالنسيان المذموم إذاً هو ما يكون من الشيطان بإلهاء العبد
وإشغاله عن الطاعة والعبادة ، أو بإنسائه أوامر الله من حلال و
حرام فيدفعه إلى ارتكاب ما نهى الله عنه فيها هو يحاول جهده أن
ينسى فتى نبي الله موسى - عليه السلام - حوتّهما يقول
الطاهر بن عاشور : " ومع كون المنسي أعجوبة شأنها ألا تُنسى

1 - روح المعاني - للألوسي - ج 5 - ص 265 .

2 - سورة الكهف ، الآية 24 .

3 - سورة طه ، الآية 115 .

4 - سورة الكهف ، الآية 73 .

5 - وهذا الحديث مخرّج بطوله في البخاري عن علقمة عن عبد الله : موسوعة
الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب : التوجه

نحو القبلة - ص 34 - ح 401 .

6 - سورة القيامة ، الآيات 16 - 18 .

7 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 7 - ص 248 .

، يتعيّن أن الشيطان ألهاه بأشياء عن أن يتذكر ذلك الحادث العجيب ، وعلم يوشع أن الشيطان يسوؤه التقاء هذين العبدین الصالحین ، وما له من الأثر في بث العلوم الصالحة ، فهو يصرف عنها ولو بتأخر وقوعها طمعاً في حدوث العوائق " (1) .

وقد يقع الإنساء على الأنبياء فيما لا يؤثر على الوحي أو التشريع - كما أسلفنا - ، وهذا ما وقع على نبيّ الله يوسف - عليه السلام - حيث أنساه الشيطان تعليق خروجه من السجن بالمشيئة فتأخر خروجه بضع سنين **﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾** (2) وقد اختلف المفسرون في عود الضمير في كلمة (فأنساه) هل هو إلى يوسف - إذ لم يعلق خروجه من السجن على مشيئة الله - أو إلى الناجي ، ولهم في ذلك كلام كثير ، فممن ذهب إلى أن الضمير يعود إلى الناجي ابن كثير حيث يقول : " فأنساه الشيطان ذكر ربه عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد ابن إسحاق وغير واحد ، ويقال إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه بن جرير عن بن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم ، وأسند ابن جرير ها هنا حديثا عن بن عباس مرفوعا قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يقل يعني يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله . وهذا الحديث ضعيف جداً لأن سفيان بن وكيع ضعيف ، وإبراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضاً ، وقد روي عن الحسن وقتادة مرسل عن كل منهما وهذه المرسلات ها هنا لا تقبل من قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم " (3) ، وقد ذهب آخرون إلى أن الضمير يعود على يوسف - عليه السلام - يقول

¹ - التحرير والتنوير - لابن عاشور - م 7 - ج 15 - ص 367 .

² - سورة يوسف ، الآية 42 .

³ - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 7 - ص 480 .

الرازي : " وفيه قولان الأول : أنه راجع إلى يوسف والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف أن يذكر ربه ... القول الثاني أن يقال إن قوله فأنساه الشيطان ذكر ربه راجع إلى الناجي ، والمعنى أن الشيطان أنسى ذلك الفتى أن يذكر يوسف للملك حتى طال الأمر فلبث في السجن بضع سنين بهذا السبب ، ومن الناس من قال : القول الأول أولى لما روي عنه عليه السلام قال رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ... واعلم أن الحق هو القول الأول ، وما ذكره هذا القائل الثاني تمسك بظاهر الشريعة وما قرره القائل...الأول تمسك بأسرار الحقيقة ومكارم الشريعة ومن كان له ذوق في مقام العبودية وشرب من مشرب التوحيد عرف أن الأمر كما ذكرناه ، وأيضاً ففي لفظ الآية ما يدل على أن هذا القول ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال فأنساه الشيطان ذكره لربه " (1).

والفيصل في هذا الأمر حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي ضعفه ابن كثير ، وأخذ به آخرون ، فقد ورد هذا الحديث بنحوه من طريق أخرى في صحيح ابن حبان (2) ، وقد أورده الألباني أيضاً في صحيح الجامع (3) ، فهذا الحديث يقرر أن يوسف - عليه السلام - نسي ذكر ربه فكان ذلك سبباً في طول مكثه في السجن .

الإنساء في عصرنا الحاضر :

هذه خطوة ، لطالما ، أوقعت عبادةً لله في شَرَك البعد عنه ونسيان فرائضه وقد تولى كِبَر هذه الخطوة في عصرنا هذا شياطين الإنس بما لهم من دويٍّ عجيب على أصدقائهم ، وهم يتسللون إلى ذلك المأرب من باب الرفقة والصحة فكم من صديق ألهى صديقه عن ذكر الله ، وأغفله عن حدوده ، وقد اتخذت هذه الظاهرة شكلاً منظماً في العقود الأخيرة ، فأنشأت لأجلها المؤسسات والجمعيات ودور الشباب ممن يعمدون إلى شغل أوقات فراغ الشباب عن ذكر الله ، وتضييعها في ما يغضب الله - عز وجل - ، فيجب على كل إنسان أن يحذر من هذه

1 - التفسير الكبير - للرازي - ج 9 - ص 116 - 118 .

2 - صحيح ابن حبان - ج 14 - ص 86 - ح 6206 .

3 - صحيح الجامع الصغير - ج 2 - ح 3984 .

الخطوة أشد الحذر ولا ينزلق في متاهاتها ، ورائده في ذلك الرفقة الطيبة ، والبعد عن كل ما من شأنه أن يلهيه عن ذكر الله ، ولذا نوصي الشباب خاصة بعدم النشأة على مائدة الوحدة كي لا يكونوا أكثر عرضة للانجراف في تيارات شياطين الإنس ، بل عليهم أن يلزموا الرفقة الصالحة فالمرء بإخوانه .

المطلب الثالث : التمنية والإملاء :

ويستمر الشيطان في نصب حبائله لأعدائه بخطوة تلو الأخرى ، أو بمجموعة من الخطوات معاً ، بحسب ما يقتضيه حال عدوه ، فهو يزبّن ويُنسي ، وها هو يربط عباد الله من الجن والإنس بأكذوبة كبرى هي خديعة الخلود قبل البعث ، تلك الحقيقة التي لا ينكرها أدنى الخلق في قرارة نفسه ، ولكن الشيطان يتخذ إلى إيقاعها في النفس سبيل التمنية وبناء الأحلام الكاذبة في نفوس الخلائق

الذين يجد إلى نفوسهم سبيله من مدخل حبّ الخلود والمُلْك . وقد وقع كثير من الخلق في شباك هذه الخطوة الشيطانية ، فأحبوا الدنيا وعملوا لها وفيها عمل الخالد الملازم لها ، وتركوا في المقابل العمل لأخرتهم ، وقد بين الحق سبحانه أن هذا الإملاء والتسويق هو من فعل الشيطان يقول تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَيَّ أَدْبَارَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ** ⁽¹⁾ " (وأملى لهم) أي ومدّ لهم الشيطان في الأماني والآمال ، ومعنى المدّ فيها : توسيعها وجعلها ممدودة في نفسها أو بزمانها بأن يوسوس لهم بأنكم تنالون في الدنيا كذا وكذا مما لا أصل له حتى يعوقهم عن العمل ، وأصل الإملاء : الإبقاء ملاوة من الدهر أي برهة ، ومنه قيل : المعنى وعدهم بالبقاء الطويل " ⁽²⁾ .

والشيطان - كما ذكرنا - يتبع في بلوغ هذه الغاية وتحصيلها في قلب الإنسان سبيل التمنية بالباطل ، فهو ما يفتو يعظم الدنيا في قلوب البشر ، يهيئ لهم أنها الفوز العظيم حتى ينجرّوا فيها ويقعوا في سلسلة خطواته الموصلة إلى الغفلة عن الحق ومرض القلب والكفر بالله والموت على ذلك ، وقد توعد اللعين بهذه الخطوة أن يسوم بها أعداءه فقال : **وَأَصْلَتْهُمْ وَلَا مَتَّبِعْتَهُمْ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلَيُبَسِّطَنَّ أَدَانِ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلَيُعَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا**

¹ - سورة محمد ، الآية 25 .

² - روح المعاني - للألوسي - ج 14 - ص 112 .

يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُزُورًا ۝ (1) "إنهم يدعون الشيطان -عدوهم القديم - ويستوحونه ويستمدون منه هذا الضلال ، ذلك الشيطان الذي لعنه الله ، والذي صرح بنيته في إضلال بني آدم إلا المخلصين منهم ، وتمنيتهم بالأمنيات الكاذبة في طريق الغواية ، من لذة كاذبة ، وسعادة موهومة ، ونجاة من الحساب في نهاية المطاف " إنها حالة استهواء معينة هي التي يزين فيها الشيطان للإنسان سوء عمله ، فيراه حسناً ، ويعدده السابق والسعادة في طريق المعصية فيعدو معه في الطريق ، وبمنيه النجاة من عاقبة ما يعمل ، فيطمئن ويمضي في طريقه إلى المهلكة ، وحين يرتسم المشهد على هذا النحو ، والعدو القديم يفتل الحبال ويضع الفخ ، ويستدرج الفريسة ، ولا تبقى إلا الجبلات الموكوسة المطموسة هي التي تظل سادرة لا تستيقظ ، ولا تتلفت ولا تحاول أن تعرف إلى أي طريق تُساق ، وإلى أية هُوَّة تُستهوى " (2) .

" كم خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبته ويقول له : لا تعجل ، وتمهل في النظر ، فيسوِّفه حتى يموت على كفره ، وكذلك يسوِّف العاصي بالتوبة ، فيجعل له غرضه من الشهوات ، ويمتئبه الإنابة . وكم من عازم على الجدِّ سوِّفه ، وكم ساع إلى فضيلة تثبته ، فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه ، فقال : استرح ساعة ، أو انتبه العابد في الليل يصلي ، فقال له : عليك وقت .

ولا يزال يحب الكسل ، ويسوف العمل ، ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم ، والحزم تدارك الوقت ، وترك التسويف والإعراض عن الأمل ... وقال بعض السلف : أنذركم (سوف) فإنها أكبر جند إبليس " (3) .

ولا ينفك إبليس وجنده عن تمنية العبد حتى في سكرات موته " إن إبليس لا يكون في حال أشد منه على ابن آدم عند الموت ، يقول لأعوانه : دونكموه فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه ، وقد يستولي على الإنسان حينئذ فيضله في اعتقاده وربما حال بينه وبين التوبة ، وربما منعه من الخروج من مظلمة ، أو آيسه من رحمة الله ، يقول له : قد أقبلت إليك سكرات الموت لا تطيقها الجبال ، ونزغ

1 - سورة النساء ، الآية 119 ، 120 .

2 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 2 - 761 .

3 - تلبس إبليس - لابن الجوزي - ص 408 .

شديد ، وقد كان يمكن أن يرفق بك ربك ... " (1) .

المطلب الرابع : التخويف من الفقر والموت :

ويمضي الشيطان في خطواته الماكرة الرامية إلى إيقاع أعدائه في الغواية ومن تلك الخطوات تخويف أعدائه من الفقر والموت ، فالشيطان يعمل على تعميق نقاط الضعف ، التي ذكرنا قبل ، كي تبلغ مبلغها في قلب الإنسان ، فهو يعمل على إذكاء حبّ الدنيا والملك فيها في قلب بني البشر كي يقلب تلك النقاط الضعيفة إلى أعداء على الإنسان وأعوان للشيطان تؤدي غرضها في إيقاعه في ارتكاب المحرمات :

أولاً : التخويف من الفقر :

يقول تعالى : **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (2) " والوعد في أصل وضعه لغة شائع في الخير والشر ، وأما في الاستعمال الشائع فالوعد في الخير والإيعاد في الشر حتى يحملوا خلافه على المجاز والتهكم ، وقد استعمل هنا في الشر نظراً إلى أصل الوضع لأن الفقر مما يراه الإنسان شراً ، ولهذا يخوِّف الشيطان به المتصدقين فيقول لهم : لا تنفقوا الجيد من أموالكم وإن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا ، وتسمية ذلك وعداً مع أنه اعتُبر فيه الإخبار بما سيكون من جهة المخبر والشيطان لم يُضف مجيء الفقر إلى جهته للإيذان بمبالغة اللعين في الإخبار بتحقيق مجيئه كأنه نزل في تقرر الوقوع منزلة أفعاله الواقعة حسب إرادته ، أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريق المشاكلة " (3) ، وقد جاء سبب نزول الآيات ليبين تلك الحقيقة المغروسة في نفوس الكثير ممن لم يحاربوها ، فعَمَّقها الشيطان فيهم ، فقد أخرج ابن جرير عن عطاء قال : " علَّق

¹ - الثبات عند الممات - لابن الجوزي - ص 129 - 132 .

² - سورة البقرة ، الآية 268 .

³ - روح المعاني - للأوسى - ج 3 - ص 64 .

إنسانٌ حَشَفًا⁽¹⁾ في الأَقْنَاءِ⁽²⁾ التي تُعَلَّقُ بالمدينة : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما هذا ؟ بئسما عَلَّقَ هذا) فنزلت ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ... ﴾⁽³⁾ .⁽⁴⁾

وقد أجاد سيد قطب في الحديث عن هذه الخطوة من خطوات الشيطان وأبان ما لها من أثر على النفس ، وعلى المجتمع بارتكاب الفواحش ، يقول : "ولما كان الكف عن الإنفاق ، أو التقدم بالردية الخبيث ، إنما ينشأ عن دافع السوء وعن تزعزع اليقين فيما عند الله - سبحانه وتعالى - وعن الخوف من الإملاق الذي لا يساور نفساً تتصل بالله ، وتعتمد عليه ، وتدرك أن ما عندها إليه ... كشف الله للذين آمنوا عن هذه الدوافع لتبدو لهم عارية ، وليعرفوا من أين تنبت النفوس ، وما الذي يثيرها في القلوب ... إنه الشيطان ... الشيطان يخوِّفكم الفقر ، فيثير في نفوسكم الحرص والشح والتكالب . و الشيطان يأمركم بالفحشاء والفحشاء كل معصية تفحش ، أي تتجاوز الحد ، وإن كانت قد غلبت على نوع معين من المعاصي ولكنها شاملة . وخوف الفقر كان يدعو القوم في جاهليتهم لوأد البنات وهو فاحشة ، والحرص على جمع الثروة كان يؤدي ببعضهم إلى أكل الربا وهو فاحشة ، ... على أن خوف الفقر بسبب الإنفاق في سبيل الله في ذاته فاحشة ... وحين يعدكم الشيطان الفقر ويأمركم بالفحشاء يعدكم الله المغفرة والعطاء"⁽⁵⁾ .

1 - الحشف من التمر : ما لم يُنَو ، فإذا يبس صلب وفسد ، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة - لسان العرب لابن منظور - ج 9 - ص 47 .

2 - القنو : العذق بما فيه من الرطب ، وجمعه أقناء وقنوان - لسان العرب - لابن منظور - ج 15 - ص 204 .

3 - سورة البقرة ، الآية 267 .

4 - الدر المنثور - للسيوطي - ج 2 - ص 59 ، وقد ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة في كتب السنن فقد أخرجه أبو داود في سننه - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - سنن أبي داود - كتاب الزكاة باب : ما لا يجوز من الثمرة في الصدقة - ص 1343 - ح 1607 ، ذكره الألباني في صحيح الترغيب والتهذيب - ج 1 - ص 879 .

5 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 1 - ص 312 .

ثانياً : التخويف من الموت :

وتلك هي المرحلة الثانية في خطوة الشيطان الرامية إلى تخويف أعدائه ، تلك مرحلة أشد على الإنسان ، أيسر على الشيطان ، وهذا هو المدخل الثاني الذي ذكرنا قبل ، حبّ الخلود في هذه الدنيا ، فمنه يلج الشيطان على الإنسان ويخوفه كل ما من شأنه أن يفوت عليه دقيقة يعيشها في الدنيا ، أو يذهب روحه ويُنهى أجله ، وهي مرحلة يتمسك بها الإنسان حتى آخر رفق في حياته ، إن هو لم يتصل بالله ، حتى إن هو أُصيب بالفقر المدقع فيبقى متمسكاً بهذه الدنيا ، ولقد تحدث الله - سبحانه وتعالى - عن هذه المعاني في سياق آيات غزوة أحد ، فتلك آيات عظيمة المعاني ، شديداً على المنافقين ، كَبَّتْ⁽¹⁾ الله فيها المتقاعسين عن الجهاد خشية الموت ، وبين أن الأجل محتوم عند بارئهم من قبل أن يردوا على هذه الأرض ، يبدأ هذا السياق بقوله تعالى : **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ...** ⁽²⁾ ، وتستمر الآيات في الحديث عن أُحُدٍ ، وتركز على قضية الأجل ، والخوف من الموت ، ثم تنتهي بآية خاتمة فيها جماع ذلك الأمر كله ، آية فيها قصرٌ يلف ذلك النشر كله في حصرٍ **إِنَّمَا دَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ⁽³⁾ .

ومفهوم هذا القصر : أي ما كان منكم من خوف من الموت إذا خرجتم إلى المعركة ، وما كان منكم من تخلف عن الجهاد خشية الموت ، وما كان منكم من تشييط لإخوانكم عن الخروج ، وما كان منكم من تهكم على الشهداء الذين ضيعوا حياتهم بزعمكم ... كل ذلك إنما هو فقط ، وحصراً ، من الشيطان وبسبب وساوسه وتسويله ، فهو الذي يقذف في قلوبكم حب الدنيا ويخوِّفكم من

¹ - الكَبَّتْ : الصرف والإذلال ، وكبته : أي كسره وأخزاه وردّه بغيظه - لسان العرب

- لابن منظور - ج 2 - ص 76 .

² - سورة آل عمران ، الآية 152 .

³ - سورة آل عمران ، الآية 175 .

مفارقتها ، يقول الرازي : " الشيطان خبر (ذلكم) بمعنى : إنما ذلكم المثبُّط هو الشيطان (يخوف أولياءه) جملة مستأنفة بيان لتثبيطه ... أما قوله تعالى (يخوف أولياءه) ففيها ثلاثة أوجه أحدها : أن معنى الآية : يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين ، والمعنى : الشيطان يخوف أولياءه الذين يطيعونه ويؤثرون أمره ، فأما أولياء الله ، فإنهم لا يخافونه إذا خوَّفهم ولا ينقادون لأمره ومراده منهم ، وهذا قول الحسن والسدي " (1) .

لوائف اجتماعية في هذه الخطوة :

تبرز هذه الخطوة في الأوقات التي تشتد فيها الحرب على دين الله وتتمزق أوصال أمة الإسلام ، وتُدخَل عليهم ديارهم من أقطارها ، فحينها يبدأ المسلمون المخلصون الصادقون برفع لواء الجهاد في سبيل الله للذود عن حياض هذا الدين فيكثر الاستشهاد في سبيل الله ، وحينها فقط ينشط عدو الله إبليس حاملاً معه تلك الخطوة مخوفاً المسلمين من عواقب الانخراط في صفوف المجاهدين ، ومخوفاً إياهم من تبعة الوقوف أمام الباطل من فقد للمال وضيق في الحياة ، يقول سفيان الثوري : " ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قُبِل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق ، وتكلم بالهوى ، وظن بربه ظن السوء " (2) وها نحن أولاء في ديارنا فلسطين نشهد مثل هذه الحرب بين أهل الإيمان والجهاد والمسلمين من جهة وبين الشيطان وجنده من جهة أخرى ، فهو في هذه الأيام أشد ما يكون دخولاً على الناس من بابي حب الدنيا والخلود فيها أو خوف الفقر والموت ، ولخطورة هذه القضية ، خصوصاً في وقت

1 - التفسير الكبير - للرازي - ج 5 - ص 83 .

2 - المستخلص في تزكية الأنفس - لسعيد حوى - ص 161 .

الجهاد في سبيل الله ، فقد أكد الحق سبحانه على هاتين
القضيتين في كثير من آيات الكتاب العظيم ففي الرزق يقول : □
**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * قَوْرَبُّ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ** □ (1) ، وفي الأجل
يقول : □ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا
مُؤَجَّلًا ...** □ (2) ، وورد في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -
الكثير من الأحاديث المؤكدة على حتمية هاتين القضيتين إما كلُّ
على حدة أو مجتمعتين ومن ذلك ما أخرجه الطبراني عن أبي
أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نفث روح
القدس في روعي أن نفسا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل
أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب ولا يحملنكم إستبطاء
الرزق أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته
(3)

المطلب الخامس : النزغ والمس :

هذه هي المحطة الأخيرة في سلسلة الخطوات ما قبل
اكتساب الإثم ، فلما كان مسرح الخطوات الأولى هو النفس
والقلب ، فإن مسرح هذه الخطوة المزدوجة هو الجسد ،
فالشيطان يعمد في بعض الأحيان إلى التسلط على جسد
الإنسان وقيادته في طريق الإثم إن هو استعصى عليه باب
النفس والقلب ، أو إن كان هذا الباب بالنسبة لصاحبه أيسر من
غيره ، وهذه الخطوة تتجسد على مرحلتين تكون أولاهما أخف
وطئة على الجسد من الأخرى :

أولاً : النزغ :

استعمل القرآن الكريم في هذا المعنى ألفاظاً متعددة
ارتبطت كلها بالشیطان وهي : النزغ ، الهمز ، الأزر ، وستحدث
عن هذه الألفاظ على التفصيل أولاً ثم على المجمل إذ هي تصب
كلها في معنى واحد .

مفهوم الهمز في كتاب الله :

¹ - سورة الذاريات ، الآيتان 22 ، 23 .

² - سورة آل عمران ، الآية 145 .

³ - المعجم الكبير - للطبراني - ج 8 - ص 166 - ح 7694 ، وقد ذكره الألباني في

صحيح الجامع - ج 1 - ح 2085 .

وردت هذه اللفظة مرتبطة بالشیطان في موضع واحد في كتاب الله في سورة المؤمنون ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾⁽¹⁾ ، وقد ظهر خلاف في معنى هذا الهمز المرتبط بالشیطان عند أهل التفسير بين قائل بأنه الوسوسة ، وقائل أنه النزغ ، أي بين كونه وسيلة لإلقاء الخطوات أو كونه خطوة تفضي إلى ما بعدها وهي الغضب ، وقبل أن أرجح أحد المعنيين ، أود أن أستشير بأقوال أهل اللغة والتفسير :

- الهمز : همز رأسه يهيمزه همزاً : غمزه ، وقد همزت الشيء في كفي لقول رؤبة : وَمَنْ هَمَزَنَا رَأْسَهُ تَهْتَمَّا ، وهمز الجوزة بيده يهيمزها كذلك ، والهمز مثل اللمز ، وهمزه : دفعه وضربه ، وهمزته ولمزته ونهزته إذا دفعته ، والهمز : العضر ، والهمز : الغيبة والوقية في الناس وذكر عيوبهم⁽²⁾ .
- " وأصل الهمز الدفع ، قال أبو عبيد عن الكسائي : همزته ، ولمزته ، ولهزته وقهرته إذا دفعته ، والتحقيق : أنه دفع بنخز ، وغمز يشبه الطعن ، فهو دفع خاص ، فهمزات الشياطين : دفعهم الوسوس والإغواء إلى القلب ، قال ابن عباس والحسن : (همزات الشياطين : نزغاتهم ووساوسهم) وفسرت همزاتهم بنفخهم ونفثهم ، وهذا قول مجاهد ، وفسرت بخنقهم وهو الموتة التي تشبه الجنون . وقد يقال وهو الأظهر أن همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصاباتهم لابن آدم ، وإذا قرنت بالنفخ والنفث كانت نوعاً خاصاً ، كنظائر ذلك "⁽³⁾ .
- " والشیطان يوسوس فيهمس في وسواسه في صدر ابن آدم وهو قوله (أعوذ بك من همزات الشياطين) أي نزغات الشيطان الشاغلة عن ذكر الله تعالى ... قال أبو الهيثم : إذا أسر الكلام وأخفاه فذلك الهمس من الكلام "⁽⁴⁾ .
- " أي وسواسه المغرية على خلاف ما أمرت به وهي جمع همزة ، والهمز : النخس والدفع بيد أو غيرها ... وإطلاق ذلك على الوسوسة والحث على المعاصي لما بينهما من الشبه الظاهر "⁽⁵⁾ .

1 - سورة المؤمنون ، الآيات 97 ، 98 .

2 - لسان العرب - لابن منظور - ج 5 - ص 246 .

3 - إغاثة اللهفان - لابن القيم - ج 1 - ص 113 .

4 - الجامع لأيات الأحكام - للقرطبي - ج 12 - ص 148 .

5 - روح المعاني - للأوسى - م 10 - ج 18 - ص 93 .

ومن مجموع هذه الأقوال نلاحظ مفارقة عجيبة بين المعنى اللغوي وبين ما ذهب إليه معظم المفسرين ، فأهل اللغة يجمعون على أن الهمز دفع ونخز ولمز ولكنه بسرعة وخفاء ، وعلى الرغم من هذا المعنى الواضح للهمز في اللغة يحاول المفسرون تحويله إلى معنى خفي دقيق هو مجرد الوسوسة ، وإن كان ذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك بالحديث على آثار تلك الوسوسة من تحريك للشعر والغواية ، ويحاول البعض التوفيق بين الوسوسة والمعنى اللغوي فيقول إن الهمز دفع للوساوس في القلب وهكذا .

والظاهر أن هذا الخلاف راجع إلى عدم وجود معنى دقيق للوسوسة ، وللوسائل ، وللخطوات عند أهل التفسير ، ولكننا في هذا البحث ، وفي ضوء وجود معانٍ دقيقة لهذه المصطلحات ، ندرك أن الهمز لا يقف عند كونه وسوسة فحسب ، بل هو تحريك لمكامن النفس واستثارة لها لتصل إلى مرحلة النزغ أو الغضب التي سنتحدث عنها بعيد قليل ، وقد أجاد الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية وبيان معنى الهمز حيث قال : " فلما أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يفوض جزاءهم إلى ربه أمرهم بالتعود من حيلولة الشيطان دون الدفع بالتي هي أحسن ، أي التعود من تحريك الشيطان داعية الغضب والانتقام في نفس النبي - صلى الله عليه وسلم - فيكون (الشيطان) مستعملاً في حقيقته .

والمراد من همزات الشياطين : تصرفاتهم بتحريك القوى التي في نفس الإنسان (أي في غير أمور التبليغ) مثل تحريك القوى الغضبية كما تأول الغزالي في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (ولكن الله أعانني عليه فأسلم)⁽¹⁾ ... وهمز شياطين الجن ظاهر ، أما همز شياطين الإنس فقد كان من أذى المشركين للنبي - صلى الله عليه وسلم - لمزه والتغامز عليه والكيد له "⁽²⁾.

مفهوم النزغ في كتاب الله :

وردت هذه اللفظة في كتاب الله في أربعة مواضع⁽³⁾ كلها مرتبطة بالشيطان والنزغ : أن تنزغ بين قوم فتحمّل بعضهم على بعض بفساد بينهم ، ونزغ بينهم ينزغ وينزغ نزغاً : أغرى وأفسد

¹ - سبق تخريجه - ص ؟؟

² - التحرير والتنوير - لابن عاشور - ج 18 - ص 121 ، 122 .

³ - سورة الأعراف ، الآية 200 ، سورة يوسف ، الآية 100 ، سورة الإسراء ، الآية 53 ، سورة فصلت الآية 36 .

الشیطان خطواته وغاياته الإسلامية

وحمل بعضهم على بعض ... والنزغ : شبه الوخز والظعن ،
ونزغه نزغاً طعنه بيد أو رمح⁽¹⁾ .
والظاهر من المعنى اللغوي أن النزغ بمعنى التحريك
والاستفزاز وإثارة النفس ، وهو المعروف بالغضب ، يقول تعالى :
﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾⁽²⁾ ، " يعني جل ثناؤه بقوله وإما ينزغك من
الشیطان نزغ وإما يغضبك من الشیطان غضب يصدك عن
الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم فاستعذ بالله ،
يقول فاستجر بالله من نزغه إنه سمیع علیم " ⁽³⁾

وقد جاءت مثیلة هذه الآیة في سورة فصلت في سياق دفع
العداوة والخصومة والغضب باللين والقول الحسن حيث يقول
تعالى فيها ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ
* وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ
عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾⁽⁴⁾ .

ويتضح معنى النزغ جلياً في آية يوسف حيث أبان - عليه
السلام - أن ما وقع بينه وبين إخوته من إفساد إنما كان بسبب
نزغ الشيطان ، أي تهيجه الأخوة بعضهم على بعض يقول تعالى :
﴿ ... وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ
بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ
إِخْوَتِي ... ﴾⁽⁵⁾ " أي أفسد البعيد المحترق بوسوسته التي هي

¹ - لسان العرب - لابن منظور - ج 8 - ص 454 .

² - سورة الأعراف ، الآية 200 .

³ - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 9 - ص 156 .

⁴ - سورة فصلت الآيات ، 34-36 .

⁵ - سورة يوسف ، الآية 100 .

كالخس بيني وبين إخوتي حيث قسم النزغ بينه وبينهم ولم
يفضل أحداً من الفريقين فيه " (1).

مفهوم الأز في القرآن الكريم :

وردت هذه اللفظة مرة واحدة في كتاب الله في قوله
تعالى : **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
تُؤْذِرُهُمْ أَرْبًا ﴾** (2) .

والأز : الهمة والزاء يدل على التحرك والتحريك والإزعاج
. قال الخليل : الأز : حمل الإنسان الإنسان على الأمر برفق
واحتيال ، والأز غليان القدر وهو الأزيز ، قال أبو زيد : الأز صوت
الرعد ... يقال أرتنا ربح : أي ساقتنا (3) .

وفي الآية عن ابن عباس : " تُغويهم إغواءً ، وعنه تحرضهم
على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ... وعن قتادة :
تزعجهم إزعاجاً إلى معاصي الله ، وعن سفيان : تغريهم إغراءً
وتستعجلهم استعجالاً ، وعن السدي : تطغيهم طغياناً " (4) ،
ويقول الزمخشري : " الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها :
التهييج وشدة الإزعاج أي تُغريهم على المعاصي ، وتهييجهم لها
بالوساوس والتسويلات ، والمعنى خلىنا بينهم وبينهم ، ولم
نمنعهم ... والمراد تعجيب الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد
الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار وأقوابلهم
وملاحظتهم ومعاندتهم للرسول واستهزائهم بالدين من تماديهم في
الغي ، وإفراطهم في العناد ، وتصميمهم على الكفر ، واجتماعهم
على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه " (5) .

¹ - نظم الدرر - للبقاعي - ج 4 - ص 99 .

² - سورة مريم ، الآية 83 .

³ - معجم المقاييس في اللغة - لابن فارس - ص 42 .

⁴ - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 9 - ص 295 .

⁵ - الكشاف - للزمخشري - ج 3 - ص 126 .

ونلاحظ هنا أن الأز يكتسب معنى زائداً على إثارة الغضب ، بل هو غضب قوي مستمر لا ينقطع ، غضبٌ صار لصاحبه ديدناً فكلما ورد عليه شيءٌ من الحق اشتعل رأسه وعقله بالوساوس الشيطانية والفكر الباطل فتثور ثائرة العقل عنده وينطلق لسانه بالفحش والكيد ، وهذا ما نسميه اليوم بالتعصب الأعمى لفكرة أو مذهب أو رأي دونما دليل يبين أو حجة واضحة ، وهذا باب واسع الانتشار في عالمنا اليوم ، فحَقاً هي شياطين تؤز الكافرين إليه أزاً ، يقول ابن عاشور : " شبه اضطراب اعتقاداتهم وتناقض أقوالهم واختلاق أكاذيبهم بالغليان في صعود وانخفاض وفرقة وسكون " (1) ، فهذا وصف دقيق لحالهم ولأجسادهم المضطربة وعقولهم المتأججة وتخبطهم في غيهم ، وهو - أي الأز - داخل في معنى النزغ بل ويزيد عليه استمرارية وعمقاً ، وهو داخل في معنى التهيج الجسدي ، كما أسلفنا في هذه الخطوة ، فإنك ترى الواحد من هؤلاء المعاندين المجادلين أهل الباطل وهو يهتز ويضطرب في حجاجه ولجاجه وكأنما يحركه شيطان ، وهو فعلاً يحركه شيطان ذلك الذي أخبر عنه رب العزة في الآية .

استنباطات مهمة :

- 1- من خلال تتبع السياق القرآني لكلمة (نزغ) تبين أن هذه الكلمة تأتي على هئتين : أحدهما متعدية إلى مفعولها بنفسها ، والأخرى متعدية إلى مفعولها بالظرف (بين) ، وفي الأمر إذا تفصيل :
- 1- في آيتي الأعراف وفصلت تعدى فعل (نزغ) إلى مفعوله بنفسه (ينزغنك) فيكون النزغ في نفس المنزوغ به لا يتعداه إلى غيره ، وهنا يكون النزغ بمعنى الغضب وإثارته في النفس ، وهذا المعنى ظاهر ومتناسق مع سياق الآيات في الموضعين حيث تحدثنا عن العداوة الناشئة عن الغضب وعن مقابلتها بالصفح الجميل .

1 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - م 8 - ج 16 - ص 165 .
-158-

2- أما في الموضوعين الآخرين لورود النزغ ، سورتي يوسف والإسراء ، فجاء الفعل متعدياً إلى مفعوله بالظرف (بين) ليدلّ على أن النزغ هنا حاصل بين طرفين ، فلا يكون بمعنى إثارة الغضب في النفس ، بل يتعدى هذا المعنى – وإن كان أساساً له – ليفيد إثارة العداوة ، وإيقاع الإفساد بين شخصين أو أكثر ، وهذا المعنى هو الذي سنتحدث عنه في فصل الغايات عند حديثنا عن غاية إبليس الخبيثة في إثارة الفتن في المجتمع .

2- التدرج اللغوي بين كلمات (همز) و (نزغ) و (أز) ، فكلاهما يحوي حرف الزاي الدالّ على الإزعاج والاهتزاز ، وهذا المعنى متحقق في بواصر الغضب عند الهمز ، وفي الغضب عند النزغ ، وفي شدة الغضب والتعصب عند الأز ، ثم يأتي التدرج في المعنى فيبدأ بالهمز والذي هو بداية مرحلة الغضب فالى جانب الزاي الدالة على الإزعاج والاهتزاز ، تحمل هذه الكلمة حرف الهاء الدال على الخفاء والضعف ، ثم يرتقي التدرج إلى النزغ حين يقع الغضب بدوافعه فتذهب الهاء بخفائها وتأتي الغين بجهرها ، ثم يستمر التدرج ليصل إلى أوجه بزيادة شدة الزاي في الكلمة الثالثة بالتضعيف مما يوحي بشدة المعنى عما حملته الكلمة الثانية (نزغ) وهذا هو التدرج حيث يبدأ الأمر بتحريك الغضب ثم بحصوله ، ثم إذا استمر هذا الغضب صار سجيتهً لصاحبه تستثيره كلما ورد عليه ما يغضبه فيتحول الأمر إلى تعصب للباطل طبعاً ، فيصير صاحبه وكأنما له ارتجاج وثوران عند ذكر هذا الأمر له

ثانياً : المس :

وهذه هي المرحلة الأشد والأعنف على الإنسان، حيث ينتقل الشيطان من السيطرة الآنية أو الضعيفة على أعدائه إلى السيطرة الأقوى المسلطة على الجسد خاصة ، وقد ورد هذا

المسّ في كتاب الله في ثلاثة مواضع ارتبطت بالشیطان ، وقد كان هذا الموضوع مثار جدلٍ كبير بين العلماء ما بين مثبت وناقٍ له ، وهذا الأمر مبسوط في كتب العقائد، يقول ابن تيمية : " دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة ، قال الله تعالى : **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** " (1) ، وفي الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم (2) وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : (قلت لأبي : إن أقواماً يقولون : إن الجنى لا يدخل في بدن المصروع ، فقال : يا بني يكذبون ، هذا يتكلم على لسانه " (3) ، وسنتحدث في هذا البحث عما يتصل بوجهة نظر القرآن فيه ، حيث يأتي هذا المس على ضربين أولاهما التأثير النفسي وثانيهما التأثير البدني ، وقبل أن نفصل في هذين الضربين نذكر المعنى اللغوي للمس كي نستقي منه المعاني القرآنية بعد ذلك :

المسُّ : مسيسته بالكسر أمسّه مساً ومسيساً : لمسته ، والمسُّ مسك الشيء بيدك ، ومسوا منها : أي خذوا منها الماء وتوضئوا ، والمسُّ الجنون ، ورجل ممسوس : به مس من الجنون ، ومُسمِسَ الرجل إذا تخبَّط ، ومسَّ المرأة وماسَّها : أي أتاها (4) .

أولاً : المسُّ النفسي :

وهذا المس هو ما ضرب الله له مثلاً بأيوب - عليه السلام - حيث يقول **وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** (5) " أي : إذ نادى ربه بأني قد مسني الشيطان بمشقة نفسية وتعب وإعياء : من كثرة وساوسه وإغراءاته ووسائل كيده ومكره ، ليدفعني إلى سوء

¹ - سورة البقرة ، الآية 285 .

² - سبق تخريجه - ص 110

³ - مجموع الفتاوى - لابن تيمية - ج 24 - ص 276 .

⁴ - لسان العرب - لابن منظور - ج 6 - ص 216 ، 217 .

⁵ - سورة ص ، الآية 41 .

الظن بك ، والطعن في حكمتك ، بسبب ما أنزلت بي من بلاء في مالي وأهلي وجسدي " (1) قلت : ولقد رأينا هذا الإعياء في نفوس كثير ممن أسلموا أنفسهم للشيطان ، ورأينا كيف علت وجوههم الكدرة والغم والههم جراء طغيان وساوس الشيطان ، وتزيينه الحياة الدنيا لهم ، وتمنيتهم بطول الأمل حتى قادتهم تلك النفوس المريضة إلى معصية الله والانزلاق في الهوى واتباع الشيطان .

ثانياً : المس الجسدي :

وهو ما عناه الحق سبحانه في قوله تعالى : **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ...** (2) " أي : يتخبله الشيطان في الدنيا ، وهو الذي يخنقه فيصرعه من الجنون ... فعن سعيد ابن جبیر قال : يُبعث أكل الربا يوم القيامة مجنوناً يُخنق . وعن قتادة : هو التخبل الذي يتخبله الشيطان من الجنون " (3) ، وقد فصل الرازي معنى التخبط وعلاقته بالمس حيث يقول : " التخبط معناه الضرب على غير استواء ، ويقال للرجل الذي يتصرف في أمر ولا يهتدي فيه : إنه يخبط خبط عشواء ... وتخبطه الشيطان : إذا مسه بخبل أو جنون لأنه كالضرب على غير استواء ، وتسمى إصابة الشيطان بالخبل والجنون خبطة ، ويقال : به خبطة من جنون . والمس : الجنون ، يقال : مُسَّ الرجل فهو ممسوس به مسَّ ، وأصله من المس باليد ، كأن الشيطان يمَس الإنسان فيجنُّه ، ثم سمي الجنون مساً ، كما أن الشيطان يتخبطه ويطأه برجله فيخبله ، فسمي الجنون خبطة ، فالتخبط بالرجل والمس باليد " (4)

أما قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** (5) ففيه أقوال كثيرة عند المفسرين تتردد بين الوسوسة ، والتزيين ، والههم ، والغضب ، وغيرها ، وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (طيف) وقرأ الباقر (طائف) (6) وفي هاتين القراءتين يقول الميداني : " الطائف : هو الذي يحمل الوسواس والدسائس والتسويلات التزينية ، فيطوف بها على النفوس ،

1 - معارج التفكير - للميداني - ج 3 - ص 580 .

2 - سورة البقرة ، الآية 275 .

3 - جامع البيان - للطبري - م 3 - ج 3 - ص 132 ، 133 .

4 - التفسير الكبير - للرازي - م 4 - ج 7 - ص 77 .

5 - سورة الأعراف ، الآية 201 .

6 - إتحاف فضلاء البشر - للبنا - 295 .

ويقذف بها في نفس فريسته ، وهذا الحامل لا بد أن يكون شيطانياً .

والطيف : التخيلات والرؤى النفسية التي قد يهيجها الشيطان ويستثيرها " (1) فالطيف بهذا المعنى ينصرف إلى الدرجة الأولى من المس ، وهي المس النفسي حيث تثير هذه الوسواس الملحة هموماً وإعياً في النفس ، أما على قراءة (طائف) فهو الشيطان الذي يمس الإنسان بمثل هذه الهموم ، وقد يتعداها إلى أكثر من ذلك فيصل إلى المس الجسدي كما قال ابن كثير : " ومنهم من فسره بالغضب ، ومنهم من فسره بـمس الشيطان بالصرع ونحوه ، ومنهم من فسره بالهم بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب ... وقد أورد الحافظ أبو بكر ابن مردويه ها هنا حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : : جاءت امرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وبها طيف فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يشفيني ، فقال : (إن شئت دعوت الله فشفاك ، وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك) . فقالت : بل أصبر ولا حساب علي " (2) " (3)

وإذا سلمنا أن الجن يمكنه أن يضر الإنسان بأكثر من الوسوسة فهل يمكنه أن يضره بالمس ، أو أن يلبس جسم الإنسان كما يعبر الناس عن ذلك ، بحيث يحصل له اضطراب واختلال في حركته أو في عقله ؟ أثبتت آية الربا أن الشيطان يمس الإنسان فيحصل له خلل ، وهذا أمر لا يجوز إنكاره أو الشك فيه ، وذكر المحدث الشبلي ، أخباراً وحوادث أيام النبي - صلى الله عليه وسلم - تدل على الصرع بسبب مس الجن (4) ، فدخوله في جسم الإنسان كدخول الهواء لا استحالة فيه ، كما صح في الحديث (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) (5) ، على أن المس لا يتحتم أن يكون بالدخول والامتزاج . فقد يكون باللمس في

1 - معارج التفكير - للميداني - ج 5 - ص 127 .
2 - وقد أخرجه الحاكم في مستدركه بنحوه وبنفس لفظة (طيف) عن أبي هريرة ج 4 - ص 243 ح 7511 وقال الذهبي في تلخيص المستدرک صحيح على شرط مسلم .
3 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 6 - ص 495 ، 496 .
4 - أكام المرجان - للشبلي - ص 107 .
5 - سبق تخريجه - ص 110 .

موضع حساس بالجسم يُحدث الخلل . كما تتأثر الأعصاب بالإبر أو الضغط ، فيكون الشلل وعدم انتظام الحركة ⁽⁶⁾ .

المس والخطوات :

قد يخفى على البعض مكان المس من الخطوات ، فالخطوات كما عرفنا : ما يؤثر به الشيطان على الإنسان فيدفعه إلى ارتكاب المعاصي وتتابعها ، وهذا ما يؤدي إليه المس إن وقع على الإنسان بكلا نوعيه ، فالشيطان قد يكثف من وطأته على عدوه بتتابع الخطوات عليه وتدافعها حتى تُحدث فصاماً بين الشخص ودينه ، فيقع في الهم والغم والإعياء الذي يدفعه بدوره إلى الخلاص منه عن طريق سلوك الدنيا والانحدار في دركاتها ، فيرتكب الآثام ظناً منه أنها تشفيه فيسرق بحثاً عن الراحة المادية ، ويزني بحثاً عن الراحة الجنسية ، ويسكر بحثاً عن الراحة العقلية وهكذا ، أما من وقع عليه المس الجسدي فإن الشيطان يدفعه بهذا المس إلى ارتكاب المحرمات من جراء سلوك طرق الشيطان في البحث عن علاج لمثل هذا الصرع فيقوده إلى العرافين والكهان ، فيسقط في شرك ضياع صلاته وعدم قبولها أربعين يوماً ، فإذا صدقهم ، وهو لا ينفك يبحث عن خلاص من هذا الداء سقط في شرك أعظم هو الكفر بما أنزل على محمد - عليه الصلاة والسلام - وتجده لا يغادر أبواب السحرة والمشعوذين فينغمس في المحرمات من هذا الباب .

المس وشياطين الإنس :

وبعد هذا العرض قد يرد سؤال على ذهن القارئ مفاده : وأين شياطين الإنس من هذه الخطوة إذ هي خاصة بتلبس الجن في الإنسي ؟

يصدق هذا القول على النوع الثاني من أنواع المس الشيطاني وهو ما اختص بالجسد ، أما النوع الأول فلشياطين الإنس منه حظ وافر ، فكل من صد عن سبيل الله بدعواته الباطلة فأكثر من التهجم على دين الله ، فقلب موازين الحق في قلوب وعقول الكثير ، وأورث في قلوبهم حب الدنيا والسعي وراءها ، وكان ذلك بالحاح وضغوط لا تنقطع ، فهو شيطان إنس يمس الإنسان بالاضطرابات والإعياء والهم والغم .

y

⁶ - انظر : مجلة الأزهر - الجن وما لهم في الإنس - عطية صقر - ص 915 ، 916 - سنة 1415 هـ - السنة 27 .

الفصل الرابع

غايات الشيطان

المبحث الأول : تعريف الغايات

وينقسم إلى مطلبين :

المطلب الأول : تعريف الغايات في اللغة والشرع .

المطلب الثاني : الزلل .

المبحث الثاني : غايات عامة

وينقسم إلى أربعة مطالب :

المطلب الأول : السوء والفحشاء والمنكر .

المطلب الثاني : إيقاع الناس في الكفر .

المطلب الثالث : الصد عن سبيل الله .

المطلب الرابع : إبعاد أعدائه عن الجنة .

المبحث الثالث : غايات فرعية

وينقسم إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معالم إيقاع الناس في الكفر .

المطلب الثاني : إيقاع الناس في المحرمات .

المطلب الثالث : تمزيق المجتمعات .

المبحث الأول تعريف الغايات

انقضت المرحلة الأولى من خطوات الشيطان ، تلك المرحلة التي أخذت على عاتقها سحب الإنسان من طاعة ربه ، ومن حياض الإيمان لتوقعه في براثن المعصية والشيطان ، فكانت المغريات والتسويلات والمكر والإغواء والخديعة والتمنية والإملاء والتخويف والمس ، حبال يرميها الشيطان في طريق أعدائه ، ومصائد ينصبها في دروبهم ، لأجل غاية خبيثة ومُرام دفين ، وهدف وحيد ألا وهو إيقاع أعدائه في المعصية تلو المعصية ، حتى يصل بهم إلى ماواه وماواهم جهنم وبئس المصير ، ومن هنا كانت الغايات التي يسعى الشيطان إلى إيقاع أعدائه فيها ، وهي التي سنتحدث عنها في هذا الفصل .

المطلب الأول : تعريف الغايات في اللغة والشرع

أولاً : في اللغة :

غيا : الغاية : مدى الشيء . والغاية أقصى الشيء ، وغاية كل شيء : مداه ومنتهاه ، وجمعها غايات وغايٌّ ، مثل ساعة وساعٍ ، وغاية الحرب هي الراية ، وغاية السبق قصبه تنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق .⁽¹⁾

ثانياً : في الشرع :

الواقع أن كلمة (غايات) ليست كلمة قرآنية أو تعبيراً معجزاً كي نبحر في تعريفها أو نسبر أغوارها كما فعلنا في التعبير القرآني (خطوات الشيطان) ، وإنما هي وصف ارتضيناهُ في بحثنا هذا لنعبر به عن مراد الشيطان من أعدائه فكل ما سنذكره في هذا الفصل هو هدف من أهداف الشيطان التي يريد لأعدائه أن يقعوا فيها ، وكما أسلفنا من قبل حين تحدثنا عن الخطوات والغايات والعلاقة بينهما ، فإن كل غاية من الغايات هي خطوة إلى أختها عدا غاية الغايات ومنتها المنتهيات ، الخلود في النار ، فنحن نسمي هذا الأمر أو ذلك غاية باعتبار ذاته حيث يكون الوقوع فيه ارتكاباً لمعصية ووقوعاً في الزلل ، ونسميه خطوة باعتبار غيره ، فارتكابه يؤدي إلى الانزلاق في غيره من المعاصي ، ولذا جاء تصنيفنا هذا حيث سمينا كل ما سنذكره في البحث ، مما ورد في كتاب الله مرتبطاً بالشیطان ، غايات إذ هي السمة الذاتية فيها

¹ - لسان العرب - لابن منظور - ج 15 - ص 143 .

والغالبه عليها ، على أنها لا تخلو بحال من كونها خطوة من خطوات الشيطان ، وبناءً على هذه النظرة يكون تعريف الغايات جزءاً من تعريف الخطوات إذ هو ما بعد الزلل من الخطوات : **فالغايات إذاً هي :** " كل معصية أوقع الشيطان فيها أعداءه سواء لم تتبعها معصية أو تبعها معاصر توصل إلى المعصية الكبرى المخلدة صاحبها في النار .

ومن هذا التعريف ندرك أن غايات الشيطان تتحقق على أرض الواقع بارتكاب المعصية ، فكل ما كان قبل ذلك هو مقدمات ومستحاثات ودوافع إلى الغايات ، فإذا وقع الزلل وقعت المعصية ، وحقق الشيطان خطوة عملية على طريق مراده الأعظم ألا وهو موت الإنسان على الكفر وخلوده معه في جهنم .

المطلب الثاني : الزلل :

ينبئ الشيطان أعداءه بسهام لا تنقطع ، ويغير عليهم برجله ، ويكيل لهم المكائد ، ويزين لهم ويغويه ويغويه ، والإنسان من قبله يقاوم كل هذا ، حتى إذا ضعف الإنسان واستكان ووصل إلى نقطة لا يطيق معها مقاومة تلك الحرب وصل إلى نقطة الزلل ، فسقط صريعاً بين يدي الشيطان يرتع في المعصية ، ولقد وقع الزلل أول ما وقع ، من آدم - عليه السلام - وزوجه حواء بأكلهما من الشجرة ومعصيتهما ربهما - عز وجل - يقول تعالى : **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ... (1) " فأزلهما بتشديد اللام : بمعنى استزلهما من قولك : زلَّ الرجل في دينه إذا هفا فيه وأخطأ فأتى ما ليس له إتيانه فيه ، وأزله غيره : إذا سبب له ما يزلُّ من أجله في دينه أو دنياه . ولذلك أضاف الله تعالى إلى إبليس خروج آدم وزوجته من الجنة ، (**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**) يعني إبليس لأنه كان الذي تسبب لهما بالخطيئة التي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة . " (2)

وقد بين الحق سبحانه أن ذاك الزلل من آدم وزوجه تبعه المعصية التي صدرت منهما فقال : **فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوَاتِلُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** (3) ، هذه هي معصية آدم ، معصية عن جهل وتغرير ، وهي معصية تكاد تكون مجردة ، أي هي تتمثل في مخالفة أمر رباني بغض النظر عن حيثيات هذا الأمر ، وهو ما أراد الله لنا بضرب المثل في هذه القصة ، أن نحذر مجرد

1 - سورة البقرة ، الآية 36 .

2 - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 309 .

3 - سورة طه الآية 121 .

معصية أمر الله ومخالفته ، وقد ضرب الله لنا مثلاً آخر على هذا الزلل ، وهو في حق معصية بعينها ، معصية كبيرة من الكبائر ، هي التولي يوم الزحف يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ... ﴾ (1) " إنما استزلهم الشيطان : أي حملهم على الزلة " (2) .

سنتناول في هذا الفصل دراسة غايات الشيطان كما وردت في كتاب الله عز وجل ، وإذا ألقينا نظرة على هذه الغايات ، وما يريده الشيطان لأعدائه ، وجدنا أن هذه الغايات تنقسم إلى قسمين :

1- **غايات عامة :** وهي الخطوط العريضة التي تنضوي تحتها كل غايات الشيطان ، بل هي الأهداف العامة التي يسعى الشيطان إلى تحقيقها ، ويدأب على إيقاع الناس فيها كالكفر ، والموت عليه ، والخلود في جهنم ، وهذه الغايات هي موضوع هذا المبحث .

2- **غايات فرعية :** وهي تلك الغايات التي تندرج في عمومها تحت الغايات العامة ولكنها تفصيل لسبيل الشيطان في إيقاع البشر في غاياته العامة ، وإنما يفصل القرآن بعض هذه الغايات لأهمية ذكرها وبيانها إذ هي التي تبرز في الحياة اليومية للناس وتؤثر على المجتمع ، فهي الأمور الملموسة التي تقود إلى الغايات العامة الغير ملموسة ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في المبحث الثالث

ونبدأ حديثنا في هذا المبحث عن الغايات العامة وهي على الترتيب من الأدنى إلى الأعلى : السوء والفحشاء والمنكر ، الكفر بالله ، الصد عن سبيله ، إبعاد أعدائه عن الجنة .

¹ - سورة آل عمران ، الآية 155 .

² - التفسير الكبير - للرازي - ج 5 - ص 42 .

المبحث الثاني
غايات عامة

المطلب الأول : السوء والفحشاء والمنكر :

خلق الله الناس حنفاء ، وفطرهم على الملة السمحاء ، فاجتالهم الشياطين ؛ كي تسحبهم من تحت ظل الرحمن لتلقي بهم في ظلمات الكفر ، ولما كان هذا الإغواء عسيراً عليهم لبعده المسافة بين النقيضين ، الإيمان والكفر ، احتالت الشياطين على المؤمنين بإبعادهم عن الإيمان درجة درجة ، فسلكت في ذلك طريق الفواحش والمنكرات ؛ كي تنزل بهم درجة تلو الدرجة حتى تصل بهم إلى غاية الكفر والشرك بالله ، فكانت هذه الغاية ، غاية السوء والفحشاء والمنكر أول الغايات العامة على ما يندرج تحتها مما ينفصله في المبحث الخاص بالغايات الفرعية ، يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(1) " السوء : الإثم مثل الضُّرِّ ، من قول القائل ساء لك هذا الأمر يسوءك سوءاً ؛ وهو ما يسوء الفاعل . وأما الفحشاء فهي : مصدر ؛ مثل : السراء والضراء ، وهي كل ما استفحش ذكره وقبح مسموعه . وقيل : إن السوء الذي ذكره الله هو معاصي الله ؛ فإن كان ذلك كذلك فإنما سماه الله سوءاً ؛ لأنه يسوء صاحبه بسوء عاقبته له عند الله . وقيل : إن الفحشاء : الزنا ؛ فإن كان ذلك كذلك ، فإنما يسمى ذلك لقبح مسموعه ، ومكروه ما يذكر به فاعله ... " (2) والظاهر من قول الطبري أن اللفظين يحملان كل فعل مستقبح على الخلاف الموجود في عموم وخصوص كل منهما ، وقد ذكر الألوسي في هذا الخلاف كلاماً طويلاً نذكر جانباً منه :

" روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن السوء ما لا حدَّ فيه والفحشاء ما فيه حدٌّ ، وقيل : هما بمعنى ، وهو ما أنكره العقل ، وحكم بأنه ليس فيه مصلحة وعاقبة حميدة واستقبحه الشرع ، والعطف حينئذٍ لتنزيل تغاير الوصفية لمنزلة تغاير الحقيقة فإن ذلك سوء لاغتمام العاقل ، والفحشاء باستقباحه إياه ، ولعل الداعي إلى هذا القول أنه سبحانه سمي جميع المعاصي

1 - سورة البقرة ، الآيات 168 ، 169 .

2 - جامع البيان - للطبري - م 2 - ج 2 - ص 103 .

والفواحش سيئة في قوله - جل شأنه - : **بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً** [(1) " (2)] .

ولقد أجاد أبو السعود في التفريق بين السوء والفحشاء في كلمات قليلة حيث يقول : " السوء في الأصل مصدر ساءه يسوءه سوءاً ومساءة إذا أحزنه ، يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب لاشتراكها كلها في أنها تسوء صاحبها ، والفحشاء أقبح أنواعها وأعظمها مساءة " (3) . وهذا القول قريب من سياق الآية حيث تحذر من العموم ، ثم تخص منه ما فحش واستشاط شره ، ويشهد لهذا المعنى الفحشاء التي تحدث عنها القرآن الكريم بعد تحذيره من إبليس في قصة آدم في الأعراف ، حيث يقول **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا فُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّفُؤُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** [(4)] فقد ورد في التفسير أن هذه الفاحشة التي استقبحها الله عليهم هي فعلة شنعاء فاضحة كان يعملها العرب ، يقول ابن كثير : " كانت العرب - ما عدا قريشاً - لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها ، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها ، وكانت قريش - وهم الخمس (5) - يطوفون في ثيابهم ، فمن أعاره أحسن ثوباً طاف فيه ، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ، ثم يلقيه ، فلا يملكه أحد ، فمن لم يجد ثوباً جديداً ولا أعاره أحسن ثوباً ، طاف عرياناً ، وربما كانت امرأة فتطوف عريانة ، فتجعل على فرجها شيئاً ليستره بعض الشيء وتقول : اليوم يبدو بعضه أو

1 - سورة البقرة ، الآية 81 .

2 - روح المعاني - للأوسى - م 2 - ج 2 - ص 59 ، 60 .

3 - إرشاد العقل السليم - لأبي السعود - ج 1 - ص 188 .

4 - سورة الأعراف ، الآية 28 .

5 - الخمس : قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون وقيل كانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون ولا يسئلون السمن ولا يلقطون الجلة ، لسان العرب - لابن منظور - ج 6 - ص 57 .

كله وما بدا منه فلا أحله ، وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل ، فكان هذا شيئاً قد ابتدعه من تلقاء أنفسهم ، واتبعوا فيه آباءهم ، يعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرعه " (1) .

أما المنكر فقد ورد مقترناً بالفحشاء في قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... (2) .

والمنكر : من نكر : النون والكاف والراء أصلٌ صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب ، ونكر الشيء وأنكره لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه (3) .

وقد فسر الطبري الفحشاء والمنكر هنا بما ينسجم مع سياق الآيات والتي هي في حادثة الإفك فيقول : " يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره ، بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا وإذاعتكموها فيهم ، وروايتكم ذلك عن جاء به ، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء - وهي الزنا - والمنكر من القول " (4) .

ويظهر لنا من كل ما سبق أن السوء والمنكر يتعانقان في معناهما الشامل لكل معصية وإثم يقع فيه الإنسان ، غير أن السوء يكتسب اسمه من جهة العاصي بكون تلك المعصية تسوءه في دنياه وآخرته ، والمنكر يكتسب اسمه من إنكار العقل والقلب والشرع له ، أما الفحشاء فهي مرتبة أخص ، وإن كانت تدرج في عموم السوء والمنكر ، ولكنها تتميز بشدة سوءها ، وبروز نكرانها ، فلا تصل إلى درجة النكران فحسب بل تتعداها إلى الاستقباح ، ولا تقف عند حد إلحاق الضرر فحسب ، بل تتعداه إلى وقوع المفسدة العظيمة من جرائمها ، فتلك هي الغاية الأولى لإبليس وجنده في سعيهم إلى إفساد المجتمع المؤمن ، وهذه الغاية في حد ذاتها خطوة كبرى إلى الغاية التي تليها وهي إيقاع متبعي الفحشاء والسوء والمنكر في الكفر بالله .

المطلب الثاني : إيقاع الناس في الكفر :

يسعى إبليس وجنده من خلال بلوغ الغاية السابقة إلى إيقاع الناس في أعظم ذنب في هذا الكون ، ألا وهو الشرك بالله والكفر

1 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 6 - ص 281 .

2 - سورة النور ، الآية 21 .

3 - معجم المفاتيح في اللغة - لابن فارس - ص 1047 .

4 - جامع البيان - للطبري - م 10 - ج 18 - ص 128 .

به ، وهذه الغاية هي من أعظم غايات الشيطان ، حيث هي هدفه الأسمى في الدنيا ، وطريقه الأقرب إلى غاية الغايات ونهاية النهايات ، وإبعاد أعدائه عن الجنة ، ولقد توعد إبليس آدم وذريته بأن يدخلهم في حزبه ، وهو حزب الكافرين يقول تعالى : **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا** ⁽¹⁾ " والمعنى أنه يقول : أرايتك هذا الذي شرفته وعظمته علي ، لئن أنظرنتني لأضلن ذرّيته إلا قليلاً منهم " ⁽²⁾ وقد أقسم الشيطان على غايته هذه فقال : **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ⁽³⁾ " ويكشف الشيطان بهذا عن هدفه الذي ينفق فيه حقه ، وبهذا يتحدد منهجه ويتحدد طريقه أنه يقسم بعزة الله ليغوين جميع الآدميين ، لا يستثنى إلا من ليس له عليهم سلطان لا تطوعاً منه ، ولكن عجزاً عن بلوغ غايته فيهم ! وبهذا يكشف عن الحاجز بينه وبين الناجين من غوايته وكيفية العاصم الذي يحول بينه وبينهم ، إنه عبادة الله التي تخلصهم " ⁽⁴⁾

ويعمل شياطين الإنس مع شياطين الجن جنباً إلى جنب على تحقيق هذه الغاية ، فالطواغيت في كل مكان وزمان لا يهدأ لهم بال حتى يخرجوا الناس من الإيمان إلى الكفر ومن النور إلى الظلمة يقول تعالى : **... وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ...** ⁽⁵⁾ " والذين كفروا : أي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم (أولياؤهم الطاغوت) أي الشيطان وسائر المضلين عن طريق الحق ... (يخرجونهم) بالوساوس وغيرها من طرق الإضلال والإغواء (من النور) الفطري الذي جُبل عليه الناس كافة أو من نور البيانات التي يشاهدونها من جهة النبي - صلى الله عليه وسلم - بتنزيل يمكنهم من الاستضاءة بها (إلى الظلمات) ظلمات الكفر والانهماك في الغي " ⁽⁶⁾

ويشدد الحق سبحانه على أن الشرك به إنما هو درب الشيطان وغايته في عباد الله ، فيقول في آيتين متعاقبتين **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ صُلًّوًا بَعِيدًا * إِنْ يَدْعُونَ مِنْ**

1 - سورة الإسراء ، الآية 62 .

2 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 9 - 39 .

3 - سورة ص ، الآية 82 .

4 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 5 - ص 3028 .

5 - سورة البقرة ، الآية 257 .

6 - إرشاد العقل السليم - لأبي السعود - ج 1 - ص 250 ، 251 .

دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ⁽¹⁾ فهذا الشرك الذي لا يُغفر هو الضلال البعيد ، وهذا الضلال ما هو إلا عبادتهم الأوثان والملائكة ، وما هذه العبادة إلا اتباع للشيطان اللعين " ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثاً ، أي : أوثاناً وأصناماً ... ومع هذا فعبادتهم إنما صُورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة وفي الحقيقة ما عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه " ⁽²⁾ .

والآيات في توعده الشيطان أعداءه بالإغواء والإضلال كثيرة في كتاب الله ⁽³⁾ .

المطلب الثالث : الصد عن سبيل الله :

يرتقي الشيطان في حربه على الحق درجة أعلى من سابقتها ، فهو إنما يرمي من وراء إيقاع الناس في الكفر إلى غاية ، هي عنده ، أسمى وأعلى ، ألا وهي الصد عن سبيل الله وإعلان الحرب على دينه ، وصراطه المستقيم ، وقد أفصح إبليس في السماوات العلا عن هذا المنهج ، وهو منهج الهجوم على الحق والكيد لأهله ، حيث قال لربه بعد ما نال إنظاره إياه : **قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفُودَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ⁽⁴⁾ " يخبر تعالى أنه لما أنظر إبليس (إلى يوم يبعثون) واستوثق إبليس بذلك ، أخذ في المعاندة والتمرد ، فقال : كما أغويتني ، قال ابن عباس : كما أضللتني ، وقال غيره : كما أهلكتني ، لأفعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه ، على صراطك المستقيم ، أي : طريق الحق وسبيل النجاة ، فلأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي . قال مجاهد (صراطك المستقيم) يعني : الحق ... وقد أخرج أحمد في مسنده عن سبرة بن أبي فاكه ⁽⁵⁾ ، قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام ، فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتدع أرضك وسماؤك ، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، فعصاه

¹ - سورة النساء ، الآيات 116 ، 117 .

² - تيسير الكريم الرحمن - للسعدي - ص 193 .

³ - انظر : النساء ، الآية 60 ، الأنعام ، الآية 71 ، النحل ، الآية 99 ، الحج ، الآية 53 ، القصص ، الآية 15 ، الحشر ، الآية 16 .

⁴ - سورة الأعراف ، الآية 16 .

⁵ - سيرة بن الفاكه ، ويقال بن أبي الفاكه ، ويقال بن أبي الفاكه ، وابن أبي الفاكه ، له صحبة ، نزل الكوفة ، له عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث واحد - تهذيب التهذيب - لابن حجر العسقلاني ج 3 - ص 453 - ترجمة 746 .

فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال تجاهد فهو جهد النفس
والمال فتقاتل فتقتل ، فتُنكح المرأة ، ويقسم المال ، فعصاه
فجاهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك
كان حقا على الله عز وجل أن يدخله الجنة ، ومن قتل كان حقا
على الله عز وجل أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقا على الله
أن يدخله الجنة ، أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة
(1) " (2)

وقد شن إبليس وجنده هذه الحرب على دين الله على
مستوى الجماعات والأفراد ، فلا يأتين أمة إلا وزين لها الكفر
بالله فأزلقها عن صراطه المستقيم وبالتالي كانت غوايته تلك
لأهل الإيمان حرب على دين الله ومكر له ، يقول تعالى في حق
قومي عاد وثمود : **وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ مِنْ**
مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (3) ، " فردهم بتزيينه لهم ما زين
من الكفر ، عن سبيل الله ، التي هي الإيمان به وبرساله ، وما
جاءهم به من عند ربهم " (4) ، وفي حق قوم سبا يقول تعالى
على لسان إلهدهد : **وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ مِنْ**
مَسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (5) " فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن
يتبعوا الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه
ومعناه : فصدتهم عن سبيل الحق (فهم لا يهتدون) أي فهم - لما
قد زين لهم الشيطان ما زين من سجود للشمس من دون الله
والكفر به - لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه ، ولكنهم في
ضلالهم الذي هم فيه يتمردون " (6)

هذا المكر لدين الله على مستوى الجماعات والأمم ، أما
على مستوى الأفراد فيقول تعالى : **وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ**
الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ
لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ (7) "

1 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - سنن النسائي - كتاب الجهاد - باب :
ما لمن أسلم وهاجر وجاهد - ص 2289 - ح 3136 ، وأخرجه أحمد - ج 3 - ص
483 - ح 16000 صححه الألباني - السلسلة الصحيحة - ح 2979 - ج 6 - ص
1186 .

2 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 6 - ص 267 .

3 - سورة العنكبوت ، الآية 38 .

4 - جامع البيان - للطبري - م 11 - ج 20 - ص 183 .

5 - سورة النمل ، الآية 24 .

6 - جامع البيان - للطبري - م 11 - ج 19 - ص 175 .

7 - سورة الزخرف ، الآية 36 ، 37 .

وكأن الكلام : وإن العُشاة ليصدونهم الشياطين عن السبيل ، أي سبيل الهدى والفوز ، ويحسبون : أي الكفار أنهم مهتدون " (1) .

مشاهد من الواقع :

الناظر في هذه الغاية الشيطانية للوهلة الأولى يدرك كم هو العالم اليوم واقع فيها ، إما قائماً عليها ، وإما واقعاً في أثرها ، فأيامنا هذه تتحدث بوضوح عن الحرب المعلنة على الإسلام ، والتي بدأت منذ قرون ، وإن كانت لم تتوقف أصلاً منذ بدء الخليقة ، ولكن أتحدث عن بدئها في عصرنا الحالي ، فقد بدأت بالغاية التي قبل هذه الغاية وهي إيقاع الناس في الكفر ، وجهد الشيطان وأتباعه على تزيين كل الطرق لتحقيق هذه الغاية وبالتالي ضرب الإسلام وأتباعه ، ولكن هذه الغاية ، وهي الصد عن سبيل الله ، بدأت تبرز بوضوح في عصرنا الحاضر لما فشلت الغاية السابقة في تحقيق هذه الغاية بشكل ناجح ، فأخذ شياطين الإنس بتوجيه سهامهم مباشرة إلى دين الله وإلى المؤمنين به يسومونهم سوء العذاب بالقتل ، والتعذيب ، والسجن ، والإبعاد ، والحرب ، وغيرها من طرق الشيطان في الصد عن سبيل الله ، ولكن كما يقول الحق يسبحانه ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (2)

المطلب الرابع : إبعاد أعدائه عن الجنة :

وهذه هي غاية الغايات ، وهدف الأهداف للشيطان ، لا يعمل كل ما يعمل في هذه الدنيا ، ولا يجند كل جنده ويجيش كل جيوشه من الإنس والجن إلا ليلبغ بأعدائه هذه الغاية ، فيطردهم من رحمة الله ، ويوقعهم بالتالي في عذابه المقيم فيلجوا معه جهنم وبئس المصير ، وما هذا إلا حسداً منه وحقداً على كل مسلم ، كيف يراه بعيداً عنه ينعم في جنة الرحمن ، وهو يتلظى بلهب جهنم ، فلن يهدأ لإبليس بال ، ولن يطمئن له جنان حتى يري الخلق كلهم معه في جهنم ، ولقد كان هذا المطلب هم إبليس الأول منذ خلق آدم وزوجه وإدخالهما الجنة ، فقد سعى بكل ما أوتي من قدرات على الإغواء إلى أن يخرجهما منها ، وأفلح في النهاية ، يقول تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ... ﴾ (3) ، فأهبطهما إلى الأرض ، وأسس دعوته فيها على ألا يدخل واحد من

1 - البحر المحيط - لأبي حيان - ج 9 - ص 374 .

2 - سورة التوبة ، الآية 32 .

3 - سورة البقرة ، الآية 36 .

أعدائه في الجنة ، بل يجب أن تكون نهايتهم هي الكفر والخلود في النار ، وعمل لأجل هذه الدعوة لا يفتأ ولا يفتر ، يصل الليل بالنهار في تحقيق هذه الغاية ، يقول تعالى : **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ⁽¹⁾ " يعني : شيعته ، ومن أطاعه إلى طاعته ، والقبول منه ، والكفر بالله (ليكونوا من أصحاب السعير) : ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها " ⁽²⁾ ، وهذا القصر بأنما يحصر دعوة إبليس وجنده في هذه الحياة الدنيا على هدف واحد ، إذ الغاية الحقيقية من كل خطواته وغاياته ، هي دخول البشر جميعهم إلى السعير وملازمتهم إياها فيكونوا من أصحابها . وقد تعجب الحق سبحانه وتعالى من أولاء الذين يتبعون الشيطان مع معرفتهم بأن هذه هي غايته منهم ، حيث يقول : **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ⁽³⁾ .

وقد بين الحق سبحانه هذا الهدف لإبليس ، بينه لأدم وزوجه ، ولذريتهما من بعدهما حيث جعل عداوته لأدم وزوجه متمثلة بإخراجهما من الجنة **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** ⁽⁴⁾ .

1 - سورة فاطر ، الآية 6 .

2 - جامع البيان - للطبري - م 12 - ج 22 - ص 142 .

3 - سورة لقمان ، الآية 21 .

4 - سورة طه ، الآية 117 .

المبحث الثالث غايات فرعية

أجملنا في المبحث السابق الغايات التي يسعى عدو الله إبليس وجنده إلى تحقيقها في هذا الكون ، تلك الغايات التي يتمثل فيها الشر المحض ، وتنحى بالعالم إلى الهلاك والفساد ، وبعد هذا اللف ننشر في هذا المبحث ما طويناها سابقاً لنبرز مفاصل هذا الإغواء وأخطر مظاهره ، كما يصورها الكتاب العزيز ، ويأتي هذا التفصيل منضوياً تحت لواء الغايات العامة ، فهذا المبحث ، كما أسميناه ، فرع عن المبحث السابق ، فغاية إيقاع الناس في الكفر تتفصل في مطلبها ، وغاية السوء والفحشاء والمنكر ، تتفصل في مطلبين : إيقاع الناس في المحرمات ، وتمزيق المجتمع ، وسوف نفصل في كل مطلب على القدر الذي جاء في كتاب الله - عز وجل - :

المطلب الأول : إيقاع الناس في الكفر :

تحدثنا عن هذه الغاية فيما سبق ، وسنذكر هنا معالم هذا الكفر ، كما بينها كتاب الله ، مرتبطة بالشیطان :

أولاً : التحاكم إلى الطاغوت :

الطاغوت هو الشيطان ، كما عرفنا ، بل هو شيطان ذو معنى خاص ، هو شيطانٌ تجاوز الحد في العتو والتمرد فتجراً على خصيصة من خصائص الله - سبحانه وتعالى - فنصب نفسه معبوداً من دونه ، وهذه تحديداً هي الغاية التي نتحدث عنها ، غاية خطيرة جداً ضربت بجذورها في عمق التاريخ البشري ، تلك الغاية التي يسعى الشيطان من خلالها إلى تحويل العباد عن عبادة خالقهم وربهم الحق إلى عبادته هي أصل الفساد والشر ، وقد قرر الحق سبحانه أن الضلال كل الضلال والبعد عن الحق كل البعد هو في اتباع الشيطان على هذه الغاية ، يقول سبحانه في حق اليهود والمنافقين : **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾** ⁽¹⁾ " فعن ابن عباس أن الطاغوت : رجل من اليهود كان يقال له كعب بن الأشرف ، وكانوا إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم قالوا : بل نحاكمكم إلى

1 - سورة النساء ، الآية 60 .

كعب " (1) ، وقد أخرج الطبري في سبب نزول هذه الآية عن عامر قال : " كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة ، فكان المنافق يدعو إلى اليهود لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة ، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة ، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهيته ، فنزلت فيه هذه الآية " (2) .

ونلاحظ هنا ارتباط هذه الغاية الشيطانية بشكل واضح بفئتين معينتين من الناس هما اليهود والمنافقون ، وهاتان الفئتان ، كما قدمنا قبل ، هما من أولياء الشيطان الذين يستعملهم لإغواء البشر ، فهما في مقدم الخلق أجمعين سعياً إلى تحقيق هذه الغاية الخبيثة ، التي تفتت البشر وتنقلهم من الحاكمية المطلقة لله إلى حاكمية الهوى والشيطان ، يقول صاحب الضلال : " هؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى غير شريعة الله - الطاغوت - قد يكونون جماعة من المنافقين كما صرح بوصفهم في الآية الثانية من هذه المجموعة ، وقد يكونون جماعة من اليهود الذين كانوا يُدعون - حين تجدد لهم أقضية مع بعضهم البعض أو أهل المدينة - إلى التحاكم إلى كتاب الله فيها ... أو إلى التوراة أحياناً ، أو إلى حكم الرسول أحياناً - كما وقع في بعض الأقضية - فيرفضون ويتحاكمون إلى العرف الجاهلي الذي كان سائداً " (3) ، وقد فصلت سورة المائدة بإسهاب في هذه السجية الشيطانية لليهود ، وبكثرتهم على نكوصهم عن حكم الله وتسارعهم إلى التحاكم إلى رهبانهم وأخبارهم الذين حرفوا التوراة وأدخلوا فيها أهواءهم ، فهذه الآية تربط هذه الغاية بهم ، ثم يأتي تفصيلها هناك في المائدة ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (4) .

واقع العالم اليوم في ظل هذه الغاية :

لقد انتشرت هذه الغاية في جنبات عالمنا اليوم انتشار النار في الهشيم ، فلم تترك قارة ، ولا شعباً ، ولا دولة إلا ودخلت في مجالس الحكم فيها ، وتسلمت إلى قمة الهرم منها ، ولقد غابت معالم حكم شرع الله الحق عن أكثر أهل الأرض وأفلح اليهود في نشر التحاكم إلى الطاغوت في كل الأرجاء ، حتى أصبح دورهم الرئيس فيه وكأنه قد اختفى ، ولكننا بعودنا إلى آيات الله ندرك أن

1 - جامع البيان - للطبري - م 4 - ج 5 - ص 204 .

2 - المرجع السابق - م 4 - ج 5 - ص 203 .

3 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 2 - ص 693 .

4 - سورة المائدة ، الآية 50 ..

هذه الجريمة ، مهما انتشرت ، ومهما تلقفها الجهلاء ، فهي ما خرجت في أي زمان أو مكان عنهم ، أليسوا هم من وصفهم الله بأنهم عبيدة الطاغوت : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (1) ، هؤلاء المجرمون الذين مروا بعبادتهم للشیطان إلى بقية الخلق عبر شياطينهم من الإنس فابتدعوا لهم من المذاهب الكاذبة ما لا عد له ولا حصر ، وكان سبيلهم في ذلك نزع البشر من كل دين ، سواء أكان ديناً صحيحاً أو محرفاً ، حتى يجعلهم يتحاكمون إلى أهوائهم وإلى نفوسهم المريضة فيما يسمى بالماسونية (2) العالمية ، فقد ورد في بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه : " حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا ، - أي الدين المعترف بوحداية الله - الذي ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي أثمار ملحدین فلن يدخل هذا في موضوعنا ، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا - بعقيدته الصارمة - واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا " (3) ويعلق الأستاذ عباس محمود العقاد على هذا النص فيقول : " ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يجدون بكل ما في وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب دور كايم (4) والشيوعية والوجودية ومذهب التطور والسريرية ، وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به إلى نشر الإلحاد ، ونسف الإيمان من النفوس ، وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين في كل الأقطار ومنها مصر يروجون لآرائهم الهدامة

1 - سورة المائدة ، الآية 60 . .

2 - وتعني عند أصحابها : البنائون الأحرار ، والبنائون الأحرار هم الذين بنوا هيكل سليمان وهي حركة يهودية قديمة أخذت شكلها الحديث على هيئة جمعية تأسست في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وضع أفكارها المسيحي المرتد وايز هاويت عام 1767 ، وترمي الماسونية إلى وضع خطة للسيطرة على العالم عن طريق فرض الإلحاد على البشر جميعاً ، وهي تستقي أفكارها من تعاليم الحاخامات اليهود في التلمود ومن بروتوكولات حكماء صهيون - الاتجاهات الفكرية المعاصرة - على جريشة - ص 228 - 233.

3 - بروتوكولات حكماء صهيون - ترجمة وتقديم عباس محمود العقاد - ص 97 .

4 - إيميل دوركايم فرنسي ، ولد بمدينة أيناال 1858 أحد رواد تطوير علم الاجتماع الحديث درس القانون والفلسفة والاجتماع بجامعة بوردو ، مات عام 1917 - موقع موسوعة إنكارتا على شبكة الإنترنت <http://welfare.nashiri.net/durkheim.htm>

بين الناس جهلاً وكبراً ، ولو استقل هؤلاء التلاميذ في تفكيرهم لكشفوا ما في آراء أساتذتهم اليهود من زيف وما وراء نظرياتهم من سوء النية " (1) .

وقد نشأ من جراء هذه الهجمة اليهودية الشرسة على الأديان والدعوة إلى التحاكم إلى الطواغيت ، جيل كامل من أذئاب اليهود وأتباعهم من المنافقين من كل ملة ودين ، وهم من كانوا في مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتسترون تحت ستار الإسلام ويطلبون التحاكم إلى الشيطان ، وهم اليوم أنفسهم من يتسترون بستار ديننا ، يتكلمون بالسنتنا ، ويلبسون لباسنا ، وهم في نفس الوقت ، إن دعوتهم إلى حكم الله ورسوله ، نظروا إليك نظر المغشي عليه من الموت " ولكن المصيبة تكمن في معرفة واقع هؤلاء الناس وحقيقة أمرهم ، الذين يرفعون شعار الإسلام ، ويدعون الدفاع عنه ، في حقيقة أمرهم يرفضون كل الرفض تطبيق شرع الله في أرض الله بين عباده ، يقره أحياناً برلمانهم المزعوم ، ولكن يرفضه هؤلاء الشياطين من الإنس ، وإذا وجدوا أن هناك آية واحدة تؤيد بعض مزاعمهم أسرعوا إليها وتشدقوا بها ، وأخذوا يرددونها صباحاً ومساءً ، وهم في نفس الوقت يُعرضون عن القرآن كله والعمل به وتحكيمه في شؤون الدولة وحياة الشعوب فضلاً عن حياتهم الخاصة ، فهل هم ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر بأكثره ؟ أم هم ممن قال الله فيهم : **وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ** (2) لا يعلم إلا الله وحده مبلغ هؤلاء من الكذب على الله وعلى خلقه وهم يرفعون شعار الإسلام ، ويتاجرون به في كل نادٍ ، ولا يعلم إلا الله وحده مبلغ الضرر الذي يلحقونه بالإسلام والمسلمين وهم يتلاعبون بآيات الله ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويميلون بالمعاني عما أنزلت له ، ويلحدون في آياته " (3) .

ثانياً : القول على الله بغير علم :

قد يظن ظانٌّ أن هذه الغاية الشيطانية هي جزء من سابقتها - التحاكم إلى الطواغوت - ، والحق أن هاتين الغايتين متغايرتان ومتباينتان ، فالأولى كان همُّ الشيطان فيها صرف أعدائه عن الأخذ

1 - المرجع السابق - ص 97 .
2 - سورة النور ، الآيتان 49 ، 50 .
3 - مجلة السنة - بين شياطين الإنس وشياطين الجن - محمد عبد الرحمن - العدد 9-10 ، 1411 هـ ، 1991 م .

بمنهج الله والتحاكم إليه إلى الأخذ بمناهج الأرض ، أما هذه الغاية فأصحابها قومٌ انتسبوا إلى شرع الله وحكمه ، ولكنهم أرادوا اتباع أهوائهم في نفس الوقت الذي ينالون فيه شرف الانتساب إلى شرع الله ، فبدلوا شرع الله وحرفوه وغيروه ، فكذبوا على لسان ربهم وافتروا عليه ، فأحلوا ما حرم ، وجرموا ما أحل ، وحرفوا كتبه ، وهذه هي الغاية التي قرر الحق أنها من هدي الشيطان ووجه وأمره ، يقول تعالى : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** (1) " وأما قوله (وأن تقولوا على

الله ما لا تعلمون) فهو ما كانوا يحرمون من البحائر (2) والسوائب (3) والوصائل (4) والحوامي (5) ، ويزعمون أن الله حرم ذلك ، فقال تعالى ذكره لهم **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** (6) فأخبرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن قيلهم إن الله حرم هذا من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان ، وأنه قد أحله لهم وطيبه ، ولم يحرم أكله عليهم ، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته طاعة منهم للشيطان ، واتباعاً منهم لخطواته ، واقتفاء منهم آثار أسلافهم الضلال وأبائهم الجهال ، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جهالاً ، وعن الحق ومنهاجه ضلالاً (7) ، وهذا الذي ذكره الطبري

1 - سورة البقرة ، الآيتان 168 ، 169 .
2 - البَحِيرَةُ: كانوا إذا ولدت إبلهم سَفِيحاً بَحَرُوا أذنه أي شقوها، وقالوا: اللهم إن عاش قَقْنِي، وإن مات فَذَكِّي؛ فإذا مات أكلوه وسموه البَحِيرَةَ، لسان العرب - ج 4 - ص 43 .

3 - السوائب : جمع سائبة ، وكانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يُركب ظهرها، ولم يُجَرَّ وبرَّها، ولم يُشَرَّبْ لَبَنُهَا إِلَّا صَفِيْفٌ، فتركوها مُسَيَّبَةً لسبيلها وسموها السَّائِبَةَ، فما ولدت بعد ذلك من أنثى شقوا أذنها وخلوا سبيلها، وحرم منها ما حرم من أمِّها،-المرجع السابق ج 1 - ص 478.

4 - الوصائل : جمع وصيلة ، وهي في الشاة خاصة كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جعلوه لأهنتهم فإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لأهنتهم و الوصيلة التي كانت في الجاهلية الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن وهي من الشاة التي ولدت سبعة أبطن عناقين فإن ولدت في السابع عناقا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة -المرجع السابق ج-11 - ص 729.

5 - الحوام : جمع حام ، وهو الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود قيل عشرة أبطن فإذا بلغ ذلك قالوا هذا حام أي حمى ظهره فيتترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى - لسان العرب - ابن منظور ج 14 - ص 202.

6 - سورة المائدة ، الآية 103 .

7 - جامع البيان للطبري - م 2 - ج 2 - ص 104 .

إنما هو مثال للافتراء على الله ، ولفظ الآية يعم كل قول على الله بغير علم ، يقول السعدي : " فيدخل في ذلك القول على الله بلا علم في شرعه وقدره ، فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله أو نفى عنه ما أثبت له نفسه أو أثبت له ما نفاه عن نفسه ، فقد قال على الله بلا علم ، ومن زعم أن لله ندا وأوثانا تُقَرَّبُ مَنْ عَبَدَهَا مِنَ اللَّهِ ، فقد قال على الله بلا علم ، ومن قال إن الله كذا أو حرم كذا أو أمر بكذا أو نهى عن كذا بغير بصيرة فقد قال على الله بلا علم ، ومن قال إن الله خلق هذا الصنف من المخلوقات للعلة الفلانية بلا برهان له بذلك فقد قال على الله بلا علم ، ومن أعظم القول على الله بلا علم أن يتأول المتأول كلامه أو كلام رسوله على معاني اصطلاح عليها طائفة من طوائف الضلال ، ثم يقول إن الله أرادها ، فالقول على الله بلا علم من أكبر المحرمات وأشملها وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها ، هو وجنوده وبيدلون مكرهم وخداعهم على إغواء الخلق بما يقدرون عليه " (1) .

ارتباط هذه الغاية باليهود :

تحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، وتحريف كتب الله بالزيادة فيها ، أو النقص منها ، أو بتغيير كلامه ، كل هذا يدخل تحت مسمى القول على الله بغير علم ، وهو كله مرتبط ارتباطاً وثيقاً باليهود في كتاب الله ، فهم من تخصص بتحريف كتب الله من لدن موسى - عليه السلام - أول أنبيائهم حتى آخر أنبيائهم فها هو الله يبيكثهم على افتراءهم عليه في قضية معافاتهم من العذاب يوم القيامة فيقول : **﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾** (2) ، وتبيكيت آخر لهم

على تحريفهم كتب الله : **﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾** (3) ، وتبيكيت ثالث على افتراءهم على ربهم بزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن غيرهم إنما هم أميون لا إثم على مرتكب الآثام فيهم ، يقول : **﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقُنُطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾**

1 - تيسير الكريم الرحمن - للسعدي - ص 81 .

2 - سورة البقرة ، الآية 80 .

3 - سورة آل عمران ، الآية 78 .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ⁽¹⁾ والآيات في هذا الباب

كثيرة ، أما في تحليل الحرام وتحريم الحلال فيقول تعالى : **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ⁽²⁾ ، وقد أتبعهم على هذا أكثر العرب في جاهلية ما قبل الإسلام ، وبرز هذا الاتباع في باب الأنعام من حيث حلها وحرمتها فتقولوا على الله ما لم ينزل به سلطاناً ، وهذا الموضوع مبسوط في سورة الأنعام ، ثم يأتي عرب اليوم ليقفوا آثار أجدادهم فيتبعوا اليهود على تزيف دين الله والافتراء عليه في كثير من القضايا ، كقضية الجهاد ، والحجاب الذي سمعنا في الآونة الأخيرة أناساً ممن ينتسبون إلى هذا الدين ، ويتكلمون باسمه وهم لا يقيمون وزناً شرعياً للحجاب ، بل يُعَدُّونه من مندوبات الدين إن لم تكن من مكروهاته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ثالثاً : السحر :

وتلك هي الوقعة الثالثة في منحدر الكفر الشيطاني ، يوقع إبليس أعداءه فيها فيخرجهم من الظلمات إلى النور محققاً بذلك غايته فيهم ، ألا وهي الكفر بالله ولا يقتصر الأمر على كون السحر غاية ، بل هو خطوة تفضي إلى ما هو شر على صاحبها وعلى المجتمع .

السحر في اللغة والاصطلاح :

1- في اللغة :

السحر : عمل تُفَرَّبَ فيه إلى الشيطان وبمعوونة منه ، كل ذلك الأمر كينونة للسحر ، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يُظَنَّ أن الأمر كما يُرى وليس الأصل على ما يرى ، وكل ما لطف مأخذه ودقَّ فهو سحر ، والجمع أسحار وسُحور ، والسحر : البيان في فطنة ، والسحر : صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره ، فكان الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته ، والسحر : الخديعة ⁽³⁾ .

2- في الاصطلاح :

¹ - سورة آل عمران ، الآية 75 .

² - سورة التوبة ، الآية 31 .

³ - لسان العرب - لابن منظور - ج 4 - ص 348 ، 349 .

ورد السحر في كتاب الله في عدة مواضع ، ارتبط واحد منها بالشیطان ، وهو آية السحر في البقرة ⁽¹⁾ ، وهو ما يعيننا تعريفه في بحثنا هذا ، إذ إن السحر له معانٍ مختلفة ، منها ما يرتبط بالشیطان ، ومنها ما يرتبط بخفة اليد والتخيل ومنها ما يرتبط بحسن الكلام وأخذه للألباب ، وقد عرّف الأستاذ وحيد بالي السحر بمفهومه المرتبط بالشیطان ، والمفسد للعلائق البشرية تعريفاً مقبولاً نأخذ به في بحثنا هذا حيث يقول :

السحر اتفاق بين ساحر وشیطان على أن يقوم الساحر بفعل بعض المحرمات أو الشكریات في مقابل مساعدة الشيطان له وطاعته فيما يطلب منه ⁽²⁾ .

السحر والشیطان :

ارتبطت قصة السحر منذ بدايتها بالشیطان ، ونبي الله سليمان - عليه السلام - وبالملكين هاروت وماروت ، وجمعت بينهم آية البقرة **وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ...** ⁽³⁾ ، وقد كثر الكلام والاختلاف بين

المفسرين على قصة الملكين وعلاقتهما بالسحر ، وهل كانا ملكين على الحقيقة ، أم رجلين صالحين ؟ وهل علما الناس السحر ، أم اختلق الأمر عليهما ... إلخ ؟ وبما أننا بصدد بحث قرآني يبحث عن السحر كخطوة وغاية من غايات الشيطان فإن كل ما قيل من كلام وخلاف لا يعيننا هنا ، بل ما يعيننا من ذلك هو علاقة السحر بالشیاطين ، وعلاقته باليهود ، أما بالشیطان فقد أخرج الطبري بسنده عن سعيد بن جبیر قال " كان سليمان يتتبع ما في أيدي الشیاطین من السحر ، فيأخذه فيدفنه تحت كرسیه في بیت خزائنه ، فلم تقدر الشیاطین أن یصلوا إليه ، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم أتريدون العلم الذي كان سليمان یسخر به الشیاطین والرياح وغير ذلك ؟ قالوا : نعم ، قالوا : فإنه في بیت خزائنه ، وتحت كرسیه ، فاستثارته الإنس فاستخرجوه فعملوا به ، فقال أهل الحجاز كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر ، فأنزل الله جل ثناؤه على لسان نبيه محمد براءة سليمان ، فقال (واتبعوا ما تتلوا الشیاطین على ملك سليمان) الآية فأنزل الله براءة سليمان على

¹ - سورة البقرة ، الآية 102 .

² - الصارم البتار في التصدي للسحرة والأشرار - لوحيد بالي - ص 17 .

³ - سورة البقرة ، الآية 102 .

لسان نبيه عليهما السلام " (1) وليس السحر مرتبطاً بزمن سليمان بل كان قبله " قال الحسن البصري : " كان السحر قبل زمن سليمان " ، وهذا صحيح لا شك فيه لأن السحرة كانت في زمان موسى عليه السلام وسليمان بن داود كان بعد موسى ، وقوم صالح (وهم قبل إبراهيم - عليه السلام -) قالوا لنبيهم صالح : **قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** (2) ، والسحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ، ودقة أفهامهم ، وكانوا يرتقون إلى السماء ، ويستمعون الأخبار ويلقون بها إلى الكهان ، فلما اطمأن الناس إلى صدقهم وأنهم يعلمون الغيب ، خلطوا بالصدق أكاذيب ، وكتبوا بذلك كتباً ، وفتنوا الناس بها " (3) .

السحر واليهود :

الآية صريحة في كون اليهود هم أكثر أتباع الشياطين على عمل السحر ، فهي في سياق الحديث عنهم ، وسليمان - عليه السلام - نبيهم يقول صاحب التفسير المنير : " نبذ اليهود كتاب الله وأتبع فريق من أحبارهم وعلمائهم - الذين نبذوا التوراة - السحر والشعوذة في زمن مُلْك سليمان ؛ لأن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، فيضمون إليه أكاذيب ، ثم يلقنونها الكهنة ، فيعلمونها الناس ، فيقولون إن هذا علم سليمان ، وقام مُلْك سليمان بهذا ، فرد الله عليهم بأن سليمان ما فعل ذلك وما عمل سليمان بالسحر ، ولكن الشياطين هم الذين كفروا باتباع السحر وتدوينه وتعليمه للناس ، على وجه الإضرار والإغواء ، ونسبته إلى سليمان على وجه الكذب وجحد نبوته " (4) .

إذا فالأمر لا يقتصر على كون اليهود أتباعاً للشياطين في السحر ، بل هم همزة الوصل بين الشياطين والناس في جلب هذا العلم وتعليمه ، وهذا الضمير (هم) لا يعود على مجمل اليهود ، بل يعود على عليّة القوم فيهم ، على الذين من المفترض أن يكونوا هم حماة الدين وأهله ، يعود على الكهنة والرهبان ، الذين باعوا دين الله وكتابه ، واستبدلوه بهذه الفرية العظيمة من السحر والشعوذة ، يقول عبد المنعم الهاشمي : " كانت الشياطين في عهد سليمان تلقن كاهن اليهود قواعد السحر ، وتدّعي كذباً أن مُلْك سليمان وسلطانه على الإنس والجن والطيور والرياح لم يقم

1 - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 451 .

2 - سورة الشعراء ، الآية 153 .

3 - مجلة الأزهر - فقه آية كريمة - عبد الباقي أحمد سلامه - ص 1056 - رجب 1405 هـ - العدد السابع .

4 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 1 - ص 244 .

إلا على تلك القواعد التي دُونت في كتب لديهم توارثها الخلف عن السلف حتى وصلت إلى اليهود بالمدينة " (1)

السحر والكفر :

قلنا إن الشيطان يهدف من وراء هذه الغاية إلى إيقاع أعدائه من الجن والإنس في غاية أعظم وهي الكفر بالله ، ولذا فهو لا يُمكن طالب السحر من بلوغ مراده إلا بعد أن يعلن له الكفر بالله عز وجل ، ولهم في ذلك طرق شتى " فمن السحرة من يرتدي المصحف في قدميه يدخل به الخلاء ، ومنهم من يكتب آيات من القرآن بالقاذورات ، ومنهم من يكتبها بدم الحيض ، ومنهم من يكتب آيات من القرآن على أسفل قدميه ، ومنهم من يكتب الفاتحة معكوسة ، ومنهم من يصلي بدون وضوء ، ومنهم من يصلي جنبا ، ومنهم من يذبح للشيطان فلا يذكر اسم الله عند الذبح ، ويرمي الذبيحة في مكان يحدده له الشيطان ، ومنهم من يخاطب الكواكب ويسجد لها من دون الله ، ومنهم من يأتي أمه أو ابنته ، ومنهم من يكتب طلسماً بالفاظ غير عربية تحمل معان كفرية . ومن هنا يتبين لنا أن الجني لا يساعد الساحر ولا يخدمه إلا بمقابل ، وكلما كان الساحر أشد كفراً كان الشيطان أكثر طاعة له ، وأسرع في تنفيذ أمره ، وإذا قصّر الساحر في تنفيذ ما أمره به الشيطان من أمور كفرية ، امتنع الشيطان من خدمته ، وعصى أمره ، فالساحر والشيطان قرينان التقيا على معصية الله " (2)

مضار السحر :

السحر غاية شيطانية توقع صاحبها في الكفر ، وهي خطوة شيطانية لإيقاع المجتمع في الفتنة والتمزق ، والتفريق بين أركانه ، وهو حديثنا في نهاية هذا الفصل بمشيئة الله ، والشيطان المحرض على هذا السحر هو من الإنس كما هو من الجن ، وهؤلاء الكفار لا يزالون يعيشون في مجتمعنا فساداً ، ويتكسبون عن طريق السحر ومشتقاته ، ويجمعون الأموال الطائلة من العامة مستغلين سذاجتهم وضعف إيمانهم وتلهفهم لقضاء حوائجهم الخاصة ، وهؤلاء الشياطين يتبعون في غايتهم هذه وسائل متعددة ذات علاقة بالسحر كالتخيل والخداع والتمويه ، والتواطؤ مع الكهنة والعرافين ، والاحتيال بإطعام الشخص بعض الأدوية والمواد المؤثرة في العقل (3)

1 - من كنوز القرآن السحر في القرآن العظيم - لعبد المنعم الهاشمي - ص 37 .

2 - الصارم البتار - لوحيد بالي - ص 18 .

3 - انظر : مجلة هدى الإسلام - ولكن الشياطين كفروا - عكرمة صبري - العدد 8 -

ص 3-8 - السنة 1405 .

من لطائف هذا المطلب :

الناظر في هذه الغايات الثلاث يلحظ فيها - إلى جانب كونها تجتمع على إيقاع الناس في الكفر - أنها تشتمل على عامل مشترك وعنصر أساس يجمعها غير الشيطان طبعاً ، فالشيطان هو المؤسس لهذه الغايات ، والمعرض عليها ، ثم يأتي فريق آخر هو العنصر المحرك الناشط فيها ، ذلك العنصر هو اليهود ، أولاء القوم الذين جمعوا من صفات الشر والخبث ما كان حرياً بها أن تقربهم من الشيطان وتجعلهم خادمة الأمين ، خادمة الأمين فيم ؟ في أخطر غايات ، وأخبث مقاصد ، تلك الغايات المؤدية إلى الكفر بالله والانضمام إلى فريق الشيطان ، فهذه الملة - اليهود - على ما نعلمه عنها من خبث ومكر وحقد على الحق ، إلا أن كل هذا لا يرتبط بشكل مباشر - في محافلنا العلمية - بالشيطان ، تلك الصورة الكفيلة بالتنفير منهم تنفيراً شديداً ، فهذه النتيجة التي خرج بها هذا المطلب تضع اليهود والشيطان في زمرة واحدة على رأس هرم الكفر والحقد على دين الله ، وهذا ما يجب أن يكون حاضراً في ذهن كل مسلم مؤمن بالله - سبحانه وتعالى - حتى يصير اليهودي الماكر عنده كما قال تعالى في صورة الشيطان منفراً ﴿ أَدْرِيكَ حَيْثُ نَزَّلْنَا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقْمِ ﴾ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿ ١ ﴾ .

المطلب الثاني : إيقاع الناس في المحرمات :

هذا المطلب تفصيل لما أجملنا في حديثنا عن إيقاع الناس في السوء والفحشاء والمنكر من الغايات العامة ، وسنذكر فيه من المعاصي ما ربطه كتاب الله بالشيطان :

أولاً : الاستقسام بالأزلام (التنجيم) :

الخوف من المجهول ، قضية شغلت الإنسان في قديم وحديث ، وما زالت تؤرقه فيجهد في تمينة نفسه بالأمل والمستقبل الموعود ، فيطلب معرفة ما قُدِّرَ له لا على وجه الحقيقة طبعاً ، بل على الوجه الذي يوافق هواه فيفصل نفسه عن مصدر الحقيقة - الله سبحانه وتعالى - ويربط نفسه بأوهام مكذوبة تحوله إلى إنسان عاجز واهم ، أو إنسان ساخط متمرد ، ذلك كله غاية الشيطان فيما سماه القرآن : الاستقسام بالأزلام .

1 - سورة الصافات ، الآيات 62 - 65 .

الأزلام جمع زَلَمَ ، والزَّلْمُ والزَّلَمُ : القَدَحُ الذي لا ريش عليه
والجمع أزلام وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها
(1)

والعرب كانت تستقسم بالأزلام فتأخذ حظها ونصيبها وقدرها
منها ، وتستقسموا بالأزلام معناها " أن تطلبوا علم ما قُسم لكم أو
لم يُقسم بالأزلام ، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد
سفرًا أو غزوًا أو نحو ذلك ، أجال القداح ، وهي الأزلام ، وكانت
قداحاً مكتوباً على بعضها : " نهاني ربي " ، وعلى بعضها : "
أمرني ربي " ، فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه : أمرني ربي
، مضى لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك ؛ وإن خرج
الذي عليه مكتوب : نهاني ربي ، كف عن المضي لذلك وأمسك ،
ف قيل : وأن تستقسموا بالأزلام ، لأنهم بفعلهم ذلك كانوا كأنهم
يسألون أزلامهم أن يقسمن لهم " (2) ، ويدخل في هذا الباب طلب
معرفة القدر من قبل العرافين والكهنة ، فقد انتشر ذلك عند
العرب في الجاهلية ، إذ إن الكهنة والعرافين هم أولياء الشيطان
ورسله ، كما قدمنا في الفصل الثاني من هذا البحث ، فهم من
يسعى إلى تحقيق هذه الغاية الشيطانية بصرف البشر عن التوكل
على الله والإيمان بقضائه إلى تعليقهم بالكذب والخداع ، وإثارة
الهموم المستمرة في قلوبهم وأذهانهم ، وقد حذر الرسول الكريم
- عليه الصلاة والسلام - تحذيراً شديداً من الذهاب إلى العرافين
أو تصديقهم فعن صفة عن بعض أزواج النبي - صلى الله عليه
وسلم - أنه قال : " من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له
صلاة أربعين ليلة " (3) . وعن أبي هريرة والحسن عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد

1 - لسان العرب - لابن منظور - ج 12 - ص 269 ، 270 .

2 - جامع البيان - للطبري - م 4 - ج 6 - ص 98 .

3 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح مسلم - كتاب السلام - باب :

تحريم الكهانة وإتيان الكهان - ج 5821 - ص 1074 .

كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .⁽¹⁾ يقول شارح العقيدة الطحاوية : " فإذا كانت هذه حال السائل ، فكيف بالمستئول ؟ ومراده : إذا كان السائل لا تقبل له صلاة أربعين يوماً ، وإذا كان الذي يصدق الكاهن والعراف يكفر بالمنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكيف يكون حكم الكاهن والعراف ! " (2)

صور الاستقسام بالأزلام اليوم :

وتأخذ هذه الغاية الشيطانية صوراً شتى في عالمنا المحموم بالغايات الشيطانية ، فليست هذه الغاية بأسوأ حالاً من سابقتها ، فقد انتشرت في عالم المسلمين انتشار النار في الهشيم ، تحت ما يعرف بعلم التنجيم ، فأولاء كانوا يطلبون معرفة القدر من الأقداح ، وهؤلاء يطلبون معرفة القدر من النجوم والأبراج ، هذا بالإضافة إلى العرافين والكهنة الذين لا يزالون موجودين في أيامنا هذه بشكل ملحوظ في بعض البلاد الإسلامية ، يقول شارح العقيدة الطحاوية : " المنجم يدخل في اسم - العراف - عند بعض العلماء ، وعند بعضهم هو في معناه " (3) ، فقد انتشر ما يسمى بعلم الأبراج في شتى أرجاء المعمورة ، ولم يترك بيتاً من بيوت المسلمين إلا دخله إما عن طريق المجلة أو المذيع أو التلفاز وجذبت هذه الغاية الشيطانية كثيراً من الناس إليها فوقعوا في ما حرم الله من سؤال المنجمين واستطلاع الأبراج ، فخسروا قبول أربعين صلاة ، هذا على مستوى السائلين ، أما المصدقين ، وهم ليسوا بالقليل ، فجزاؤهم خطير ، فهم بهذا التصديق يقعون في الغاية الكبرى للشيطان في الدنيا ، وهي الكفر بالله تعالى ، فكم خطيرة هي تلك الغاية الشيطانية ، وكم جاهل هو ذاك الذي يسير في درب الشيطان ويتأسى به من حيث علم أم لم يعلم .

ثانياً : الصد عن الصلاة وذكر الله :

وتأتي هذه الغاية كنتيجة لسابقتها وهي الاستقسام بالأزلام ، وكننتيجة لغايات أخرى من شرب للخمر ، ولعب للقمار - والتي سنتحدث عنها في المطلب الثالث من هذا المبحث - ، فهذه أمور يسلب بها الشيطان عقل الإنسان ووقته ، فيصرفه عن الهدف

1 - مسند أحمد - ج 2 - ص 429 - ح 9532 ، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث حسن ، رجاله ثقات رجال الصحيح .

2 - شرح العقيدة الطحاوية - لأبي العز بن الحنفى - ص 502 .

3 - المرجع السابق - ص 502 .

الذي خُلِقَ من أجله ، عبادة الله ، المتمثلة في ذكره سبحانه في كل وقت وحين ، وإقام الصلاة له ، وقد بين تعالى هذه الغاية في قوله تعالى : **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ** ⁽¹⁾ " ووجه صد الشيطان لهم بذلك

عما ذُكِرَ أن الخمر لغلبة السرور بها والطرب على النفوس والاستغراق في الملاذ الجسمانية تلهي عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة ، وأن الميسر إن كان اللاعب به غالباً انشردت نفسه ومنعه حب الغلب والقهر والكسب عما ذُكِرَ ، وإن كان مغلوباً حصل له من الانقباض والقهر ما يحثه على الاحتيال لأن يصير غالباً فلا يكاد يخطر بقلبه غير ذلك ، وقد شاهدنا كثيراً ممن يلعب بالشطرنج يجري بينهم من اللجج والحلف الكاذب والغفلة عن الله تعالى ما ينفر منه الفيل وتكبو له الفرس ، " ⁽²⁾ .

رحم الله الألوسي ، اغتم واهتم لما رأى في زمانه ، فكيف بك إذ رأيت ما حل بامتنا اليوم من تضييع للصلوات ، بل وغفلة تامة عن ذكر الله ، وانغماس وانهماك في الملهيات فلا يكاد الواحد منهم يذكر ربه حتى بلسانه ولو للحظة واحدة ، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين يقول : " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ... " ⁽³⁾ .

ثالثاً : القتل بغير الحق :

وتلك غاية أخرى من غايات الشيطان في البشرية ، فهو لا يزال يوغر صدور الخلق على بعضهم البعض ، ويزين لبعضهم حب السيطرة وإزالة كل من يقف في طريقهم بهذه الغاية ، القتل ، تلك المعصية العظيمة لله تعالى ، وهي أول خطيئة وقعت على وجه الأرض حين سول إبليس - في أول تحدي عملي له ضد آدم وذريته بعد هبوطهما إلى الأرض - لأحد ابني آدم أن يقتل أخاه بغير وجه حق ، وفي هذا يقول تعالى : **وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أَرِيدُ أَنْ تَبُوءَ**

1 - سورة المائدة ، الآية 91 .

2 - روح المعاني - للألوسي - ج 5 - ص 239 ، 240 .

3 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب : الحراسة في الغزو في سبيل الله - ج 2887 - ص 232 .

بِأَيْمِي وَإِيمِكَ فَتَكُونَنَّ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ حَزَاءُ
الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ (1) " أي فحسنت وسمّوت له نفسه ، وشجّعته
على قتل أخيه فقتله ، أي : بعد هذه الموعظة وهذا الزجر .
وقال ابن جرير : لما أراد أن يقتله جعل يلوي عنقه ، فأخذ
إبليس دابة ، فوضع رأسها على حجر ، ثم أخذ حجراً آخر فضرب
به رأسها حتى قتلها وابن آدم ينظر ، ففعل بأخيه مثل ذلك .
وقال إبراهيم النخعي (2) : ما من مقتول يقتل ظلماً ، إلا كان
على ابن آدم الأول والشیطان كفل منه " (3) ، وفي الحديث عن
النبي - عليه الصلاة والسلام - : لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على
ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل (4) .
ولم تقتصر وسوسة الشيطان على سائر البشر ، بل تعدت
إلى المعصومين منهم ، فهذا نبي الله موسى - عليه السلام -
يعزو المبالغة في وكزه القبطي حتى مات إلى الشيطان - وإن
كان هذا القتل على غير عمد من موسى ، بل وليست فيه أدنى
درجات التعمد - يقول تعالى ۝ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ
مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا
مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ
فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَصَى عَلَيْهِ قَالاً هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۝ (5) ، " والمعنى أن الشيطان أوقد غضبه
حتى بالغ في شدة الوكر . وإنما قال موسى ذلك لأن قتل النفس
مستقبح في الشرائع البشرية ، فإن حفظ النفس المعصومة من
أصول الأديان كلها ... فلما كان الشيطان عدواً للإنسان وكانت له
مسالك إلى النفوس ، استدل موسى بفعله المؤدي إلى قتل
نفس ، إنه فعل ناشئ عن وسوسة الشيطان ولولاها لكان عمله
جريماً على الأصول المأذونة " (6) .

وقد انتشرت هذه الغاية الإليسية في مجتمعات الأرض في
قديم وحديث انتشار الجراد في الحصيد ، فأصبحت هي السمة
المسيطرّة على كثير من الأزمان وهذا زماننا خير شاهد على تبكُّ

1 - سورة المائدة ، الآيات ، 27 - 30 .

2 - هو : إبراهيم بن سويد النخعي الكوفي الأعور ، مشهور ثقة - تهذيب التهذيب - لابن حجر - ج 1 - ص 145 - ترجمة 224 .

3 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 5 - ص 174 ، 175 .

4 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب : خلق آدم وذريته - ج 3335 - ص 269 .

5 - سورة القصص ، الآية 15 .

6 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - م 10 - ج 20 - ص 90 .

(1) الشيطان على رؤوس كثير من العباد ، فانطلقوا يبعثون في أرواح الناس بالقتل ، والذبح ، والإبادة الجماعية ، ورأينا أضرباً من القتل تقشعُرُ لها الأبدان ، وتتفطر لها القلوب ، وصار داعي الحروب فاعراً فاه في كل نادٍ ، ينق على أهله بالخراب ، وكل ذلك بدفع من شياطين الجن والإنس ، ورضا من أوليائهم وأذنائهم

رابعاً: التولي يوم الزحف :

الشيطان هو الباطل ، ولا يعيش الباطل ويترعرع إلا في ظل غياب الحق ، فإذا أراد الحق أن يرفع لواءه ويُعلي رايته فيضرب الباطل عن طريق الجهاد في سبيل الله ، جيش إبليس جنوده بكل ما أوتوا من وسائل في الإغراء والإضلال كي يفتوا في عضد المجاهدين ، ويقنطوهم من هذه الحرب ، وأن لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، وما ذاك الذي أخرجكم من دياركم ؟ تركتم المال والأهل والولد والراحة والدعة والسكن ، وخرجتم في هلكتكم ، فلا يزال يوسوس ، ويخوف ، ويزين ، ويمني حتى يضعف المجاهد ويجبن ، وتسيطر عليه الدنيا ، فيرتكب تلك المعصية العظيمة لربه ، والتي هي الغاية العظيمة لعدوه ، الفرار من العدو يوم زحف المسلمين عليه ، يقول تعالى في الذين فروا من أرض المعركة يوم أحد : **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** (2) ، " يعني بذلك جل ثناؤه : إن الذين ولوا عن المشركين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد وانهزموا عنهم ، إنما دعاهم إلى الزلة الشيطان ، ببعض ما عملوا من الذنوب ... وعن قتادة في الآية : وذلك يوم أحد ، ناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تولوا عن القتال وعن نبي الله يومئذ ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه فأنزل الله عز وجل ما تسمعون أنه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم " (3)

وقد ذكر ابن الجوزي حواراً دار بين إبليس وموسى - عليه السلام - وفيه " يقول إبليس لموسى : إن لك حقاً بما شفعت إلى ربك ، فأذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن : اذكرني حين تغضب فأنا وحي في قلبك ، وعيني في عينك ، وأجري منك مجري

1 - البئك : أصل الشيء وخالصة ، وتبتك بالمكان : أقام فيه - لسان العرب - لابن منظور - ج 10 - ص 403 .

2 - سورة آل عمران ، الآية 155 .

3 - جامع البيان - للطبري - م 3 - ج 4 - ص 182 ، 183 .

الدم ، واذكرني حين تلقى الزحف ، فإني آتي ابن آدم حين يلقي الزحف ، فأذكره ولده ، وزوجه ، وأهله حتى يولي ... " (1) .
ولِعِظْمْ هذه الغاية وخطورتها على المجتمع المسلم ، حذر منها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحذيراً شديداً فعدها من الموبقات اللائي يحبطن الأعمال ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات . " (2)

خامساً: كسب المال وإنفاقه بالحرام :

المال هو عصب الحياة ، به تقوم شؤونها ، وتُعمَّرُ أرجاءها ، فهو قبل البنين عماد الدنيا وزينتها - إذا كان سبباً لا غاية - يقول تعالى : **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...** (3) ، ولهذا السبب اتخذ إبليس وجنده المال غاية من غاياتهم ، غاية يحولوا بها هذا المال عن المسار الذي أراده له الله - عز وجل - فالله أراد للمال أن يكون سبباً في إقامة الحياة وإعمار الأرض ، يُكسَبُ من حلال ويُنْفَق في حلال ، أما الشيطان فيريد للمال أن يكون غاية في هذه الحياة ، يُكسَبُ من حرام ، ويُنْفَق في حرام ، فيكون العبد في هذه الدنيا رهناً للمال يجري وراءه ، يضئح حياته لأجله ، يطلبه بكل طريق حلٍّ أم حُرْم ، فتنتشر الفوضى في المجتمع ، ويبرز الحقد من القلوب ، ويتصارع طلاب الدنيا عليها ، فيفشو الفساد والتعامل به ، وخاصة التعاملات المالية المحرمة كأكل الربا ، والسرقة ، والرشوة ، والغش ، وغيرها ، وقد توعد إبليس أعداءه في كل زمان ومكان بأن يشاركهم في هذه الأموال ، وما مشاركة إبليس لهم فيها إلا دخول الشرِّ فيها ، فتتحول عن الحلِّ إلى الحرمة ، وعن الخير إلى الشرِّ ، وعن الصلاح إلى الفساد ، يقول تعالى مخاطباً إبليس مطلقاً له العنان فيما أراد : **وَاسْتَفْزِرْ مَن اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْزُدُّهُمْ**

¹ - تلبس إبليس - لابن الجوزي - ص 38 .

² - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب : الوصايا - باب : قوله تعالى : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) - ح 2766 - ص 222 .

³ - سورة الكهف ، الآية 46 .

الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ⁽¹⁾ ، " (وشاركهم في الأموال) قال بعضهم : " هو أمرهم إياهم بإنفاق أموالهم في غير طاعة الله واكتسابهموها من غير حلها ... وعن مجاهد : التي أصابوها من غير حلها ... وعن عطاء بن أبي رباح : الشرك في أموال الربا ، وعن الحسن : قد والله شاركهم في أموالهم ، وأعطاهم الله أموالاً فانفقوها في طاعة الشيطان ، في غير حق الله تبارك وتعالى اسمه ، وهو قول قتادة ، وعن الحسن عرَّهم أن يكسبونها من خبيث ، وينفقوها في حرام ... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك كل مال عُصي الله فيه : بإنفاق في حرام ، واكتساب من حرام ، أو ذبح للآلهة ، أو تسيب أو بحر للشيطان ، وغير ذلك مما كان معصياً به أو فيه " ⁽²⁾ ، والعموم في الآية هو الأولى كما قال الطبري ، فالشيطان يبغى لأعدائه أن يكسبوا مالهم من حرام وينفقوه في حرام كما بينه صاحب التفسير المنير " أي بتحريضهم على كسب الأموال وإنفاقها في معاصي الله تعالى من ربا وسرقة ، وغش ، وخديعة " ⁽³⁾ .

وقد ذم الله سبحانه وتعالى المنفقين أموالهم في الربا ، وبين أن هذا المنفق إنما هو قرين للشيطان ، إذ هو أنفق مالا في حرام ، قال تعالى : **وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا** ⁽⁴⁾ ، " رياء الناس : يعني ينفقه مراعاة الناس في غير طاعة الله وغير سبيله ، لكن في سبيل الشيطان ... " ⁽⁵⁾ ، وقد تضمنت الآية التي تلت هذه الآية الإنكار والتوبيخ لأولئك المنافقين الذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر بسبب فتنة الشيطان لهم ⁽⁶⁾ .

غاية خطيرة في زمان الأموال :

لا ريب أن زماننا هذا هو زمن المال والثروة ، فقد استفاض المال فيه استفاضة لا أظنها مرت على زمان مضى من حيث انتشار المال في كل أرجاء المعمورة ، ولكن على غير ما أراد الله في أكثر الأحوال ، بل على مراد الشيطان فقد حقق الشيطان مراده في هذه الغاية على أتم وجه في بني البشر ، فجعل كثيراً منهم يعشقون المال ويفنون حياتهم من أجله ، فصار المال غاية

1 - سورة الإسراء ، الآية 64 .

2 - جامع البيان - للطبري - م 9 - ج 15 - ص 146 - 149 .

3 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 14 - ص 117 .

4 - سورة النساء ، الآية 38 .

5 - جامع البيان - للطبري - م 4 - ج 5 - ص 119 .

6 - انظر : أيسر التفاسير - للجزائري - ج 1 - ص 401 .

لكثيرين ، فانتشر الكسب بالحرام بوسائل متعددة مثل الربا ، والقمار ، وأسواق البورصة ، وأساليب التجارة المحرمة ، فما شهد العالم زماناً يُرخص فيه الربا على مستوى الدول كزماننا هذا ، فأصبحت لا تمر على دولة مسلمة أو غير مسلمة إلا ووجدت فيها البنوك الربوية ، والتعاملات المالية المحرمة ، وكانت نتيجة هذا كله أن المال المكتسب من حرام يذهب بلا فائدة ولا بركة على صاحبه ، فانتشر الإنفاق في الحرام وتضييع الأموال على ما يبغض الله - عز وجل - فأصبحنا نرى ملايين الدولارات تُهدر على أعتاب غانية أو داعرة ، بل وتتدفق الملايين من الأموال لما هو أعظم من ذلك ، لحرب الإسلام والمسلمين والكيد لدين الله ، وتتحول الحياة في النهاية إلى نكد وخبث بسبب هذه الغاية القبيحة ، يقول مالك بن دينار محذراً من أكل الحرام : " لا تجعلوا بطونكم جراباً للشیطان ، يوعي فيها إبليس ما يشاء " (1) .

سادساً : البخل والإسراف :

لما أمكن الشيطان من أعدائه فأشرب في قلوبهم حب المال ، والدنيا ، وسوّل لهم الحصول على مغانمهم منها بكل وسيلة شرّعت أم لم تُشرع ، انتقل بهم الشيطان إلى غاية أخرى تأتي فرعاً على الغاية السابقة ، وتنتحي في أصحابها منحيين متضادين ، فمن أحب الدنيا حرص عليها ، وعشق المال وحيازته ، صار يرى إخراج هذا المال بعدما استقر في جيبه جريمة في حق نفسه فاتصف بالبخل غايةً شيطانية أولى ، ومن عشق الهوى والدنيا وملذاتها وشهواتها فاتجه ناظرها إلى مفاتها من نساء ، وخمور ، وزينة وزُخرفٍ ، أطلق يده يبيدُ النقود فيما هوت نفسه يميناً ويساراً ، وهو بذلك لا يوفر جهداً في الكسب كي يغطي الإنفاق ، فتصيبه سهام التبذير غايةً ثانية للشیطان .

ونقدّم في الحديث ما قدّم رب العزة حين تحدث عن هاتين الصفتين في الإنسان حيث يقول : **﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾** (2) :

1- البخل وعدم الإنفاق :

قرن الحق سبحانه وتعالى هذه الصفة الذميمة بالشیطان ، فجعل قرناه يتصفون بها إلى جانب صفة كتمان ما أنزل الله ، وما

1 - مواعظ الإمام مالك - جمع صالح الشامى - ص 74 .

2 - سورة الإسراء ، الآية 29 .

أنعم به على عباده يقول تعالى : **الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ
الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا** ⁽¹⁾ " يقول تعالى ذمًّا للذين
يبخلون بأموالهم أن ينفقوها في ما أمرهم الله به - من برِّ
الوالدين ، والإحسان إلى الأقارب ، واليتامى ، والمساكين ، والجار
ذي القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل وما
ملكتم أيماهم من الأرقاء - ولا يدفعون حق الله فيها ، ويأمرون
الناس بالبخل أيضاً ... فالبخيل جحود لنعمة الله عليه لا تظهر عليه
ولا تبين ... وقد حمل بعض السلف هذه الآية (يكتمون ما آتاهم
الله من فضله) على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من
صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكتمانهم ذلك ... ولا شك
أن الآية محتملة ذلك ، والظاهر أن السياق في البخل بالمال ، وإن
كان البخل بالعلم داخلياً في ذلك بطريق الأولى ، فإن سياق الكلام
في الإنفاق على الأقارب والضعفاء ... ولهذا قال تعالى : (ومن
يكن الشيطان له قريناً فسَاءَ قريناً) أي : حملهم على صنيعهم
هذا القبيح وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان ، فإنه
سؤل لهم وأملى لهم ، وزين لهم وحسن لهم القبائح " ⁽²⁾ ، وقد ذمَّ
النبي - صلى الله عليه وسلم - صفة البخل في أحاديث عديدة
فعن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
من سيدكم يا بني سلمة ؟ قلنا : جدُّ بن قيس على أنا نبخُّله ، قال
: وأي داء أدوى من البخل ، بل سيدكم عمرو بن الجموح ، وكان

¹ - سورة النساء ، الآية 37 ، 38 .

² - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 4 - ص 46 - 50 .

عمرو على أصنامهم في الجاهلية وكان يُولم عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا تزوج " (1) .

2- التبذير والإسراف :

يُصم الله سبحانه وتعالى المبذرين بوصم لصيق بالشیطان لا يفارقه حتى يفارقونه ، ذلك هو مؤاخاة الشيطان الكفور لربه : ﴿ **وَأْتِ دَا الْغُرَبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴾ (2) ، وبعد هذا التحذير الشديد من التبذير ، يتحدث تعالى عن الإسراف بلغة أخف وطأة ، حين يسوق بعض الأوامر التنبيهية بعد ذكر قصة آدم وإبليس ، وخروج آدم من الجنة ، فيقول في سياق تلك الأوامر ، محذراً من اتباع الشيطان الذي يريد لهم أن يقعوا فيما نهى الله عنه ، ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ (3) ، فما الفرق إذاً بين التبذير والإسراف ، وهل كلاهما من غايات الشيطان في بني الإنسان ؟

التبذير والإسراف لغة :

1- **التبذير** : من بذرتُ الحب : أي نثرته ، وبذرها بذراً ، وبذرها أي : زرعها والبذر والبذارة : النسل ، وبذَّر ماله : أفسده وأنفقه في السرف ، وكل ما فرَّقته وأفسدته فقد بذَّرته ، والتبذير : أن ينفق المال في المعاصي ، وقيل : هو أن يَبْسُطَ يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقاته . (4)

2- **سرف** : السرف والإسراف مجاوزة القصد ، وأسرف في ماله : عجل من غير قصد ، أما السرف الذي نهى الله عنه فهو

1 - الأدب المفرد - للبخاري - باب البخل - ج 296 - ص 107 ، صححه الألباني في تعليقه على الكتاب .

2 - سورة الإسراء ، الآيتان 26 ، 27 .

3 - سورة الأعراف ، الآية 31 .

4 - لسان العرب - لابن منظور - ج 4 - ص 50 .

ما أنفق في غير طاعة الله قليلاً كان أو كثيراً ، والإسراف في النفقة : التبذير ، والسرف ضد القصد ، والسرف : تجاوز ما حُدَّ لك ، وسرف الماء : ما ذهب منه في غير سقي ولا نفع .

(1)

والواضح من التعريفين أن التبذير أشد من الإسراف فهو مرتبط بالكثرة ، ومجاورة الحد ، أما الإسراف فمرتبط بجعل الشيء في غير موضعه وإن كان قليلاً ، فهذا قد يكون من الخطأ الذي يُغفر بخلاف مجاوزة الحد في الشيء والطغيان فيه ، وقد بين ابن مسعود ما اشتهر من معنى التبذير على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - بما يوافق ما قلنا ، حيث يقول : " كنا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - نتحدث أن التبذير : النفقة في غير حقه " (2) ، وهذا ما زاده قتادة تبيناً حين عرّف التبذير بقوله : " النفقة في معصية الله ، وفي غير الحق ، وفي الفساد " (3) ، أما السرف ، وهو وضع الشيء في غير موضعه ، والزيادة فيه حيث لا تستوجب الزيادة ، فيبينه حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - " كلوا واشربوا وصدقوا والبسوا في غير مخيلة ولا سرف ، ان الله يحب أن تُرى نعمته على عبده " (4) ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - أمرنا بأن نفعل ما أحل الله من فطر المخلوقات ، ولكن دون مبالغة فيها بالإسراف ، وإن كانت حلالاً ، فالاقتصاد مطلوب في كل شيء ، وهذا ما نفهمه من كلام الحارث المحاسبي حيث يقول : " أوصيكم بالاقتصاد فيما رزقتم ، فإنه من صلاح الدين ، وأحذركم من الإسراف في وقت الغنى ، فإن الله يكره السرف في كل شيء ، وقد ذمّ الله تعالى المسرفين ، ومدح الذين لم يُسرفوا ولم يَقْتروا ، وبلغنا عن بعض التابعين أنه قال : كفى بهذا إسرافاً أن يأكل العبد ما يشتهي ، ويلبس ما يشتهي " (5) .

بين البخل والتبذير :

هاتان الصفتان الذميتان من وحي الشيطان ، وهما - وإن تناقضتا ظاهراً - ينحدران من أصل واحد ، ويُنفثان من أفعى واحدة ، فالأصل حب الدنيا والأفعى هي الشيطان ، ولذا لا تعجب إن وجدت هاتين الصفتين مجتمعتين في رجل واحد ، فهو إن

1 - لسان العرب - لابن منظور - ج 9 - ص 150 ، 151 .

2 - جامع البيان - للطبري - م 9 - ج 15 - ص 94 .

3 - المرجع السابق - م 9 - ج 15 - ص 93 .

4 - مسند أحمد - ج 2 - ص 182 - ح 6708 ، قال شعيب الأرنؤط : إسناده حسن .

5 - مواعد الإمام الحارث المحاسبي - جمع صالح الشامي - ص 42 .

التبتیک : البتک : القطع ، والبتک قطع الأذن من أصلها ،
والبتک أن تقبض على شيء بيدك ، وبتکة یتتکة ویتتکة بتکاً أي
قطعه .⁽¹⁾

أما عند العرب فتبتیک آذان الأنعام قد أخذ شكلاً تعلق
بالأنعام التي حرموها افتراءً على الله ، فعن السدي وقتادة : "
یتکن آذان الأنعام : فيشقونها فيجعلونها بحيرة⁽²⁾ " ⁽³⁾ ويقول
الطبري : " والبتک : القطع ، وهو في هذا الموضع قطع أذن
البحيرة ، وإنما أراد بذلك الخبيث أن يدعوهم إلى البحيرة
فيستجيبون له ويعملون بها طاعة له " ⁽⁴⁾ ، ويوضح كلام الطبري
مراد الشيطان من هذا التبتیک وعلة تحريمه من قبل الله تعالى ،
فهي علامة يقيمونها على ما افتروا على الله تحريمه من الإبل ،
بوحى من الشيطان ، كما مرّ معنا عند الحديث عن غاية القول
على الله بغير الحق ، إذاً فهو تغيير يُقصد منه إقامة شرع
الطاغوت وإظهاره .

المسألة الثانية : تغيير خلق الله :

وينتقل الشيطان في توعدده من الخاص إلى العام ، ومن الحديث
عن مثال كان شائعاً عند العرب إلى قاعدة عامة يبغيها لكل
خلق الله ، ذلك هو تغيير خلق الله .

¹ - لسان العرب - لابن منظور - ج 10 - ص 395 .

² - البحيرة : بحرُتُ أذن الناقة : شققها وخرقتها ، وكانت العرب تفعل بالناقة والشاة
ذلك إذا نتجتا عشرة أبطن فلا يُنتفع منهما بلبن ولا ظهر ، وتترك البحيرة ترعى وترد
الماء ، ويُحرم لحمها على النساء ويُحلل للرجال - لسان العرب - لابن منظور - ج 4
- ص 43 .

وكانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يُركب ظهرها، ولم يُجرَّ وبرها، ولم
يُشرب لبنها إلا صيفاً، فتركوها مُسبَّبة لسبيلها وسمَّوها السائبة، فما ولدت بعد ذلك
من أنثى شقوا أذنها وخلَّوا سبيلها، وحرم منها ما حرم من أمها، - لسان العرب - ج
4 - ص 43 .

³ - تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم - ج 4 - ص 1069 .

⁴ - جامع البيان - للطبري - م 4 - ج 5 - ص 362 .

وقد ورد في معنى تغيير خلق الله عدة أقوال ، فعن ابن عباس : " أنه الإحصاء ، وعنه أيضاً : دين الله ، وروي عن مجاهد وعكرمة في أحد قوليهِ وإبراهيم النخعي والحكم والحسن والسدي وقتادة والضحاك في الرواية الثانية وعطاء الخراساني نحو ذلك ، وعن الحسن : الوشم " (1) ، فهذه الأقوال تتوزع بين خصاء البهائم ، والوشم ، وتغيير دين الله ، وأولى الأقوال فيه وأشملها هو ما اختاره الطبري حيث يقول : " وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك من قال : دين الله ، وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه ، وهي قوله : **فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي** **فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** " (2) " (3) .

إذاً فالتبتيك مثال على تغيير المحسوسات ، فيدخل فيه ما قالوا من الخصاء والوشم وغيرها ، أما تغيير خلق الله فشامل عام ينطبق عليه معنى دين الله ، وهو الأخطر الذي يسعى الشيطان إلى تحقيقه في أعدائه ، يقول الشنقيطي " قال بعض العلماء معنى هذه الآية أن الشيطان يأمرهم بالكفر وتغيير فطرة الإسلام التي خلقهم الله عليها " (4) ، وفي ذلك يقول النبي - صلى الله عليه وسلم " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومى هذا كل مال نحلته عبداً حلال وإنى خلقت عبادة حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً... الحديث " (5) .

مراد الشيطان من تغيير خلق الله :

1 - تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم - ج 4 - ص 1070 .
2 - سورة الروم ، الآية 30 .
3 - جامع البيان - للطبري - م 4 - ج 5 - ص 367 .
4 - أضواء البيان - للشنقيطي - ج 1 - ص 245 .
5 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفاتها ونعيمها وأهلها - باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة - ح 7207 - ص 1174 وهذا جزء من حديث طويل .

يتضح من الآية السابقة أن الشيطان يسعى إلى حمل مخالفه على خلاف ما فطرهم الله عليه وأراده لهم ، فتبتك آذان الأنعام ، إذا أخذ مجرداً عن علاقته وأسبابه ، واقتصر على مجرد شقُّ أذن الناقة ، لما اكتسب تلك الحرمة ، ولما صار غاية يرومها الشيطان في أعدائه ، كذا الأمر في تغيير خلق الله ، الذي هو فطرته ودينه ، فالشيطان إذ يسعى إلى تحقيق هذه الغاية ، إنما يريد من وراء ذلك محاربة دين الله وفطرته ، وحمل الناس على مخالفة أوامر الله - سبحانه وتعالى - ، وانطلاقاً من هذا الفهم أجاز العلماء خصاء البهائم ، الذي أُدخِلَ عموماً في تأويل تغيير خلق الله عند التابعين ، يقول الشنقيطي : " أما خصاء البهائم فرخص فيه جماعة من أهل العلم ، إذا قُصدت به المنفعة ، إما لسيمن أو غيره ، وجمهور العلماء على أنه لا بأس أن يُضحى بالخصيِّ ، واستحسنه بعضهم إذا كان أسمن من غيره ، ورخص في خصاء الخيل عمر بن عبد العزيز وخصى عروة بن الزبير بغلاً له ، ورخص مالك في خصاء ذكور الغنم ، وإنما جاز ذلك لأنه لا يُقصد به التقرب إلى غير الله تعالى ، وإنما يُقصد به تطيب لحم ما يُؤكل ، وتقوية الذكر إذا انقطع أصله عن الأنثى " (1) .

وقد ورد في السنة المشرفة نهياً عن أمور تتعلق بتغيير خلق الله ، وهي الوشم ، والنمص ، والتفلج للحسن ، ووصل الشعر ، يقول - صلى الله عليه وسلم - : " لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتفلجات للمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله " (2) ، ويقول أيضاً : " لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة " (3) .

فهذان الحديثان يدلان على تحريم النمص : وهو نتف شعر الحاجب ، والتفلج أو الوشر : وهو برد الأسنان لتحدد وتُحسن ،

1 - أضواء البيان - للشنقيطي - ج 1 - ص 246 .
2 - موسيوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب المتفلجات للحسن ح 5931 - ص 503 .
3 - المرجع السابق - كتاب اللباس - باب : الواصلة والمستوصلة في الشعر - ح 5933 - ص 503 .

والوشم : وهو غرز الجلد بإبرة ثم حشوها كحلًا ، والوصل : وهو وصل الشعر بالشعر (وهو ما يسمى بالشعر المستعار) (1) .
فهذه المحرمات التي ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موصوفة في الحديث بأنها تغيير لخلق الله ، ولما كان هذا التغيير محرماً فهو من غايات الشيطان ، ولكن لماذا وقع التحريم على هذا التغيير ؟

النمص ، والتفلج ، والوصل أمور تقع في حق النساء ، وهي إنما تُعمل لأجل تغيير ما خلق الله المرأة عليه وغرضهن في ذلك التدليس والكذب ، وهذا ما أبانه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أحدها وهو التفلج ، فقال : للحسن ، أي أن الأصل كان على غير ذلك ، أما الوشم فهو إما في حق الإنسان أو الأنعام وهو في عمومته تشبه بالكفار وإيذاء للجلد بغير منفعة ، أما إذا كان الوشم لمنفعة فيخرج عن هذا التحريم " والوشم والإشعار في الحيوان من أجل تمييزها عن غيرها مستثنى من نهيه عليه السلام عن شريعة الشيطان ، والوشم : الكي بالنار ، وقد ثبت في الصحيح عن أنس - رضي الله عنه - قال : " رأيت في يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الميسم وهو يسيم إبل الصدقة) (2)
والفيء وغير ذلك ، حتى يُعرف كل مال ، فيؤدى في حقه ولا يتجاوز به إلى غيره " (3) .

ولا يقتصر تغيير خلق الله على هذه الأمور التي ذكرت في كتاب الله وفي أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله يأتي من الأمور بأهمها وجماعها وقد ظهرت في عصرنا الحاضر أشكالاً عجيبة من تغيير خلق الإنسان ، وخاصة أولئك الشاذين من

1 - انظر : الفقه الإسلامي وأدلته - للزحيلي - ج 1 - ص 312 ، 313 .

2 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح مسلم - كتاب اللباس والزينة - باب : جواز وسم الحيوان غير الآدمي في غير الوجه وندبه في نعم الزكاة والجزية - ح 5558 - ص 1057 .

3 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 5 - ص 281 .

البشر الذين يغيرون بعض ملامح جسدهم ممّا فطرهم الله عليه من ذكورة أو أنوثة ، ونسمع هذه الأيام بعض الكفار في الغرب يستعملون الأمصال الطبية في نفخ أثدائهم تشبهاً بالنساء ، وعمليات التجميل في إزالة شعر الرجل تماماً ، وتنعيم ما يبقى وهكذا ، وغير ذلك ممّا انتشر بين الشباب والشابات - حتى في عالمنا الإسلامي - من وشم وقزع ونفخ للشفاة وهكذا .

المطلب الثالث : تمزيق المجتمعات :

ليس هذا المطلب بعيداً عن سابقه ، أو منفصلاً عن معناه ، فما زلنا نسرد في المحرمات التي يبغى الشيطان إيقاع أعدائه فيها ، ولكننا ميّزنا هذه الغايات عن سابقاتها - مع أنها تشترك معها في كونها من المحرمات - لأن هذه الغايات تتميز بكونها تساهم مساهمة أساسية في تمزيق المجتمعات وتفكيك لحمتها ، وإيقاع العداوة بين أفرادها ، وإفساد أخلاقها وقيمها كي تصبح تلك المجتمعات بركاً من الانحطاط والتلوث ، ترتع فيها الشياطين ، فتحل لحمتها وتجعلها أفراداً يسعى كل واحد منهم إلى نيل أغراضه الشخصية ، وإشباع رغباته وشهواته ولو على حساب الدنيا كلها .

أولاً : الكيد وإيقاع العداوة بين الناس

يحذر الحق سبحانه من مكر الشيطان وكيده وسيله الخبيث للكيد للبشر بإغراء العداوات بينهم وحمل بعضهم على بعض ، يقول تعالى : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (1) وقد تحدثنا قبل عن النزغ ومعانيه في كتاب الله ، وقلنا إذ ذاك ، أن النزغ إذا تعدى بالظرف (بين) أريد به الإيقاع بين

1 - سورة الإسراء - الآية 53 .

الناس وإفساد العلاقات الكائنة بينهم ، وهو مراد الشيطان الأول في
غايات تمزيق المجتمع وإفساده ، يقول الجزائري في تفسير الآية :
" ... والآية تبين أن الشيطان يسعى للإفساد دائماً فلا يُمكن من
ذلك بالكلمات المثيرة للغضب الحاملة على اللجج والخصومة
الشديدة " (1) وقد أفلح الشيطان في إيغار صدر إخوة يوسف على
يوسف فأوقع بينهم ردحاً من الزمن حتى عادوا إلى رشدهم وتاب
الله عليهم ، يقول تعالى على لسان يعقوب - عليه السلام - :
**قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْضُ مِنْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ
كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** (2) يقول صاحب
الظلال : "لهذا أدرك أبوه يعقوب بحسه وبصيرته أن وراء هذه
الرؤيا شيئاً عظيماً لهذا الغلام ، لم يفصح هو عنه ، ولم يفصح عنه
سياق القصة كذلك ، ولا تظهر بوادره إلا بعد حلقتين منها ، وأما
تمامه فلا يظهر إلا في نهاية القصة بعد انكشاف الغيب المحجوب
، ولهذا نصحه بالأيقص رؤياه على إخوته ، خشية أن يستشعروا ما
رآه لأخيهم الصغير غير الشقيق ، فيجد الشيطان من هذا ثغرة
في نفوسهم فتمتلئ نفوسهم بالحقد ، فيدبروا له أمراً يسوؤه ،
ثم يعلل هذا الخوف بقوله : (إن الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين
(... فمن ثم فهو يوغر صدور الناس بعضهم على بعض ويُزيّن لهم
الخطيئة والشر " (3) .

ومن ذلك الكيد والتفريق ما ينتج عن أعمال السحر من
تفريق بين المرء وزوجه ، وهي غاية تتبع غاية السحر ، وتهدف إلى
ضرب اللبنة الأساسية في المجتمع ألا وهي الأسرة ، فإذا تمزقت
الأسرة وانفرط عقدها أدى ذلك إلى تمزق المجتمع وتفرُّقه ، يقول
تعالى في هذه الغاية بعد ذكر السحر : **... فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا**

1 - أيسر التفاسير - للجزائري - ج 2 - ص 607 .

2 - سورة يوسف ، الآية 5 .

3 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 4 - ص 1971 .

مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴿ (1) " فتفريقه بين المرء وزوجه : تخيله بسحره إلى كل واحد منهما شخصاً آخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حسن وجمال حتى يقبحه عنده ، فينصرف بوجهه ويعرض حتى يحدث الزوج لامرأته فراقاً ، فيكون الساحر مفرقاً بينهما بإحداثه السبب الذي كان منه فُرقة ما بينهما " (2) .

وقد بين تعالى بعض ما تقع به العداوة والبغضاء بين الناس ، مما سنذكره بعد قليل ، فقال في شأن الخمر والميسر ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ... ﴾ (3) " أعلم الله عباده أن الشيطان إنما يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بيننا بسبب الخمر وغيره ، فحذرنا منها ونهانا عنها " (4) .

ثانياً : شرب الخمر :

أم الخبائث ، خير وصف لشرب موصوف ، نعم ، هي كذلك كما وصفها النبي - صلى الله عليه وسلم - أم للخبائث ، أي خطوة كبرى لما بعدها من جرائم ومحرمات تتسبب هي فيها ، وهي في حد ذاتها غاية للشيطان يوقع أعداءه فيها ، وقد ربط الحق سبحانه بين شرب الخمر وأخواتها ، وبين الشيطان ربطاً صريحاً في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (5) " والرجس : الخبث المستقذر والمكروه من الأمور الظاهرة ، ويطلق على المذمات الباطنة ، ومعنى كونها - أي الخمر - من عمل الشيطان ، أن تعاطيها بما تُتعاطى لأجله

1 - سورة البقرة ، الآية 102 .

2 - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 607

3 - سورة المائدة ، الآية 91 .

4 - الجامع لآيات الأحكام - للقرطبي - ج 6 - ص 291 .

5 - سورة المائدة ، الآية 90 .

من تسويله للناس تعاطيها ، فكأنه هو الذي عملها وتعاطاها ، وفي ذلك تنفير لمتعاطيها بأنه يعمل عمل الشيطان ، فهو شيطان ، وذلك ما تأباه النفوس " (1) .

وهذه الخمر - علاوة على كونها تُذهب العقل وتضر صاحبها - فهي تتسبب في إلحاق الضرر بالمجتمع ، وتجر إلى كثير من الآثام والغايات الشيطانية كالقتل ، والزنا ، وإثارة الفتن في المجتمع وتمزيقه ، وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس ، وتدلنا قصة نزول هذه الآية على عظيم خطر الخمر على المجتمع فقد أخرج الطبري بسنده عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، أنه قال : " صنع رجل من الأنصار طعاماً فدعانا ، قال : فشربنا الخمر حتى انتشينا ، فتفاخرت الأنصار وقريش ، فقالت الأنصار نحن أفضل منكم ، قال : فأخذ رجل من الأنصار لحي جمل فضرب به أنف سعد ففزره ، فكان سعد أفزر الأنف . قال : فنزلت هذه الآية يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ ... " (2) " (3) .

الخمر في عصرنا الحاضر :

بالأمس كانت الخمر ، واليوم تبدلت الأسماء وتلونت الأشكال ، وما زال الجوهر واحداً ، وما زالت القاعدة الإسلامية النبوية ثابتة لا تتغير " فعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كل مسكر خمر وكل مسكر حرام " (4) ، وقد حدث على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن عرض له أمر تغيير الأسماء وتبديلها كما هو حالنا اليوم ، فكان جوابه بالقاعدة السابقة " كل مسكر حرام " فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة تصنع بها فقال : وما هي ؟ قال : البتع والمزر ، فقلت لأبي بردة ما البتع ؟ قال نبذ العسل والمزر نبذ الشعير ، فقال كل مسكر

1 - التحرير والتنوير - لابن عاشور - م 4 - ج 7 - ص 24 .
2 - أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه ، وفي الباب بيان أن سعداً هو ابن أبي وقاص - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب : فضل سعد بن أبي وقاص - ج 6283 - ص 1103 وهو جزء من حديث طويل .
3 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 7 - ص 46 .
4 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح مسلم - كتاب الأشربة - باب : أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام - ج 5218 - ص 1063 .

حرام " (1) فينبغي أن يكون هناك معالجة لبعض الفكر الذي ينشأ في أذهان شبابنا بالنسبة للسموم البيضاء والمخدرات ، والذي أتى عن طريق التلبس الشيطاني الذي يحاول أن يغري شبابنا بالمشاء في هذا الطريق على أساس أن المخدرات أو أن هذه السموم البيضاء لم يأت النص عليها في القرآن ولا في السنة ، وعجيب أن يكون المغري أو المُلبس هو نفس العدو الذي كان يغري أولئك الذين كانوا يعاقرون الخمر في صدر الإسلام ، وحينما نقرأ الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (2) ندرك أن الحديث عن الشيطان قديم ، والحديث عن دور الشيطان ينبغي أن نظهره وأن نبرزه ؛ لأن الفكر حينما يتلبس بإغراء الشيطان ، وحينما ينخدع بإغراء الشيطان ، فإن الواقع في برائن الإغراءات المختلفة ، سواء تولاهها بعده شياطين الإنس أم استمر في توليها شياطين الجن ، فإن النتيجة ضارة ووخيمة " (3) .

ثالثاً : لعب الميسر :

اللهو المحرم المفضي إلى الخصومة والتنازع ، وحمل الضغينة في القلب ، وإثارة البغضاء بين الناس ، ذلك هو الميسر الذي جمعه الله سبحانه مع الخمر في آية واحدة إيذاناً بخطورته على المجتمع كما هو الخمر .

1 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب المعاري - باب : بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع - ح 4343 - ص 355 .

2 - سورة المائدة ، الآية 90 .

3 - مجلة منبر الإسلام - السموم البيضاء رجس من عمل الشيطان - محمد الأحمدى أبو النور - العدد 4 ص 2 - سنة 1406 .

والميسر من اليُسْر : أي اللين والانقياد يكون ذلك للإنسان والفرس ، والميسر : السعة والغنى ، واليُسْر ضد العُسْر ، والميسر هو قمار العرب بالأزلام (4) .

إذا فالميسر هو القمار الذي نعرفه اليوم على صورة ما من صورته المختلفة يقول ابن عباس : " الميسر القمار ، كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله ، فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله ، وعن الحسن : الميسر : القمار " (2) ، فهذه التي وصف ابن عباس ، صورة من صور القمار كانت موجودة في الجاهلية ، وقد انتقلت هذه الصورة بفعل الشيطان عبر الزمان حتى وصلت إلى عالمنا اليوم في صور مختلفة ، كلها من وحي الشيطان وتسويله ، فنوادي القمار ، والمراهنات ، وأسواق المعاملات المالية القائمة على الحظ (البورصة) وصنوف المسابقات المختلفة القائمة على الاشتراك المالي لجميع الأعضاء ، والفوز لعضو أو عضوين ، كل ذلك من القمار الذي حرمه الله تعالى وجعله رجساً من عمل الشيطان ، فما أكثر هذا الرجس في عالمنا اليوم ، ولا سيما العالم الإسلامي ، الذي انتشرت فيه أسواق البورصة ، ونوادي القمار ، والمسابقات المبنية على القمار .

رابعاً : كشف العورات :

تأتي هذه الغاية الخطيرة لتضاف إلى سابقاتها في سلسلة تدمير المجتمعات الإنسانية وتمزيق أواصرها فتتربع هذه الغاية على عرش هتك الأواصر والروابط المجتمعية ، والنخر في الأصول الحميدة للمجتمعات عن طريق استخدام المرأة لهذا الغرض ، فالمرأة تمثل ثيق المجتمع الذي يكون به البناء ، إن هو سار على ما أراد الله ، ويكون به الهدم والتدمير إن هو خرج عن نطاق العفة والصون إلى دياجير السفور والعري والشهوات .

خلق الله المرأة من الرجل لتكون رديئاً له وحفظاً ووعوناً على تحقيق سنة الله في الكون بالتناسل ، وإعمار الأرض وفق منهج الله الذي به تستقيم الحياة ، ولما كانت المرأة بهذا القدر من الأهمية ، إذ هي صنو الرجل في إعمار الأرض دأب الشيطان منذ أول لحظة إلى نسف هذا الركن الركين للمجتمع بإخراجه عن هدفه الذي من أجله خلق ، فإله قدر في شرعه الحكيم عفة المرأة وصونها وحشمتها وستر مفاتها ، إلا على محرم ، لأنها هي

4 - لسان العرب - لابن منظور - ج 5 - ص 295-300 .

2 - جامع البيان - للطبري - م 2 - ج 2 - ص 475 .

مصدر الفتنة والإثارة ، فإن خرجت عن طورها كان فسادها على المجتمع عظيماً ، وقد أدرك إبليس هذه الطبيعة في أول البشر ، آدم وحواء ، وأدرك أنهما لن يؤتيا إلا من هذا الباب ، كشف العورة ، وكان قد عرف أن الأكل من الشجرة ، التي نهى الله عنها آدم وزوجه ، يترتب عليه هذا المقصود ، فكان أول سعي إبليس في إضلال البشر قاطبة هو كشف عورات آدم وزوجه حواء ليفتح عليهما باب الغواية على مصراعيه ، يقول تعالى : **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا** ... (1) " (ليبدى) : ليظهر لهما ما ستر وعُطي بأن جعل كأنه وراءهما لا يلتفتان إليه ، والبناء للمفعول إشارة إلى أن الستر بالشيء لا كلفة عليهما فيه كما يأتي في قوله (ينزع عنهما لباسهما) ، (من سوءاتهما) أي المواضع التي يسوءهما انكشافها ، وفي ذلك أن إظهار السوءة موجب البعد من الجنة " (2) قال وهب بن منبه : " كان لباس آدم وحواء نوراً على فروجهما ، ولا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا ، فلما أكلا من الشجرة بدت لهما سواتهما " (3) .

وبعد هذا المشهد العلوي ، تبدأ سلسلة هامة من النصائح الربانية لبني آدم يحذرهم فيها من الشيطان عدوهم الأول ، وتبدأ هذه السلسلة من النصائح بما انتهى عنده المشهد في الجنة ، فيخبرهم تعالى بأنه أنعم عليهم بما يستر عورتهم من اللباس والریش إلى جانب اللباس الأعظم لباس التقوى ، فهو السلاح الأقوى في مواجهة الشيطان وسعيه الحثيث إلى كشف عورات بني آدم كما سعى قبل إلى كشف عورة أبويهم ، ومن هنا تظهر خطورة هذه الخطوة إذ يفتح بها الحق سبحانه مجموعة وصاياہ لأبناء آدم ، بل لا يقتصر الأمر على الافتتاح ، بل هو يثنى بالحديث عن نفس الأمر مبيّناً ومجذراً فيقول : **يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** (4) " يا بني آدم لا يخدعكنم الشيطان فيبدي سوءاتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختياره لكم ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختياره إياهم فأطاعاه وعصيا ربهما ، فأخرجهما بما سبب

1 - سورة الأعراف ، الآية 20 .

2 - نظم الدرر - للبقاعي - ج 3 - ص 16 .

3 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 6 - ص 275 .

4 - سورة الأعراف ، الآية 27 .

لهما من مكره وخدعه من الجنة ، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ، ليريهما سوءاتهما بكشف عوراتهما ، وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مسخرة " (1) ، ويتحدث صاحب الظلال عن هذه النداءات الربانية ويقف عند هذا النداء قائلاً : " إنه النداء الثاني لبني آدم ، في وقفة التعقيب على قصة أبويهم ، وما جرى لهما مع الشيطان ؛ وعلى مشهد العري الذي أوقعهما فيه عدوهما ، بسبب نسيانها أمر ربهما والاستماع إلى وسوسة عدوهما ... أما هذا النداء الثاني فهو التحذير لبني آدم عامة وللمشركين الذين يواجههم الإسلام في الطليعة ، أن يستسلموا للشيطان ، فيما يتخذونه لأنفسهم من مناهج وشرائع وتقاليد ؛ فيُسَلِّمُهُم إلى الفتنة - كما فعل مع أبويهم من قبل إذ أخرجهما من الجنة ونزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما - فالعري والتكشف الذي يزاولونه - والذي هو طابع كل جاهلية قديماً وحديثاً - هو عمل من أعمال الفتنة الشيطانية ، وتنفيذ لخطة عدوهم العنيدة في إغواء آدم وبنيه ؛ وهو طرف من المعركة التي لا تهدأ بين الإنسان وعدوه . فلا يدع بنو آدم لعدوهم أن يفتنهم ؛ وأن ينتصر في هذه المعركة ، وأن يملأ منهم جهنم في نهاية المطاف " (2) .

الشیطان والمرأة :

لقد أدرك الشيطان منذ اللحظة الأولى ما للمرأة من أهمية في صلاح المجتمع ، إن هي سارت على منهج الله ، وما لها في المقابل من شديد الخطر على إفساد المجتمع ، إن هي سارت في طريقه ، فاتخذها جندياً رئيساً من جنوده حيث استغل ما لها من فتنة ، وقدرة على الإغواء إذا بعدت عن منهج الله فعن الحسن بن صالح (3) قال : " سمعت أن الشيطان قال للمرأة : أنتِ نصف جندي ، وأنتِ سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ ، وأنتِ موضع سرِّي ، وأنتِ رسولي في حاجتي " (4) .

وقد كانت هذه الفتنة العظيمة هي أول ما ضل به بنو إسرائيل كما أخبر الصادق المصدوق - عليه الصلاة والسلام - حيث يقول : " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة

1 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 193 .

2 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 3 - ص 1279 .

3 - هو : الحسن بن صالح بن حي ، وهو حيان بن شُفَّيِّ الهمداني ، ثقة فقيه عابد ، رُمي بالتشيع ، من الطبقة السابعة - تقريب التهذيب - لابن حجر - ترجمة 1250 - ص 161 .

4 - تلبس إبليس - ص 39 .

بنى إسرائيل كانت في النساء ، وفي حديث بن بشار⁽¹⁾ لينظر كيف تعملون " ⁽²⁾ ، فلما وقعت فيهم هذه الفتنة انغمسوا فيها انغماساً شديداً ، فصاروا رجالهم ونساءهم عوناً لإبليس في نشرها في بني آدم ، وتشبعت حياتهم بها فملأت كل زاوية من زوايا حياتهم ، حتى كتابهم المقدس في نظرهم لم يخل من ذكر تلك الفضائح والهتك للعورات بما يندى الجبين لسماعه ، وخذ لذلك مثلاً " يقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر ، لرائحة أدهانك الطيبة ، اسمك دهن مهراق ، لذلك أحبتك العذاري ، اجذبني وراءك فتجري ... أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار ، كشقق سليمان ... " ⁽³⁾ ، ومن ذلك " ما أجمل رجلك بالنعلين يا بنت الكريم ، دوائر فخذيك مثل الحلبي ، صنعة يدي صناع ، سرتك كأس مدور لا يعوزها شراب ممزوج ، بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن ، ثدياك كشفتين توأمي طيبة ، عنقك كبرج من عاج ... ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات ، قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد ، قلت إني أصدع إلى النخلة وأمسك بعذوقها وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ... " ⁽⁴⁾ ولقد انطبعت هذه النقيصة الحاخامية على نهج اليهود على مرّ العصور حتى يومنا هذا ، ويبرز هذا في بروتوكولاتهم الماكرة ، ومن ذلك " إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تنحط قوى كل ملوك أوروبا، أي حينما تكون الأزمات الاقتصادية ودمار تجارة الجملة قد أثرا في كل مكان، هناك ستمهد السبيل لإفساد الحماسة والنخوة والانحلال الأخلاقي وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات في صور الفرنسيات والإيطاليات ... إن هؤلاء النساء أضمن ناشرات للخلاعة والتهتك في حيوات Lives المتزعمين على رؤوس الأمم ، والنساء في خدمة صهيون يعملن كأحاييل ومسايد لمن يكونون بفضلهن في حاجة إلى المال على الدوام. فيكونون لذلك دائماً على استعداد لأن يبيعوا ضمائرهم بالمال ، وهذا المال ليس إلا مقترضاً من اليهود، لأنه سرعان ما يعود من طريق هؤلاء

1 - هو : محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري أبو بكر بُندار ، ثقة ، توفي وله بضع وثمانون سنة - تقريب التهذيب - لابن حجر - ترجمة 5791 - ص 828 .

2 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح مسلم - كتاب الرقاق - باب : أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان فتنة النساء - ح 6948 - ص 1153 .

3 - الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر نشيد الأنشاد - الأصحاح الأول - الآيات 1 - 5 .

4 - الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر نشيد الأنشاد - الإصحاح السابع - الآيات 1

الشیطان خطواته وغاياته الإسلامية

النسوة أنفسهن إلى أيدي اليهود الراشدين، ولكن بعد أن اشترى عبداً لهدف صهيون من طريق هذه المعاملات المالية " (1) .

والشیطان لا يبوح جهاراً نهاراً بغوايته هذه ، بل هو يروّج لها عن طريق تغليفها بأزياء فكرية قشبية تجذب الأنظار ، وتسلب النساء عقولهن ، وتدعي أنها معهن تبغي لهن الخير ، ومن تلك الحيل الماكرة التي روّج لها الشيطان وجنده من اليهود تحرير المرأة ، فلقد نجح أتباع الشيطان في غرس وتربية نواة أثمرت شكلاً جديداً للحياة ، استتبع بالتالي ضرورة إيجاد مفاهيم جديدة تساير الحياة كما صوّرها الآن ، ولعل قضية تحرير المرأة تُبرز بشكل حاد ذلك التغيير الذي استتبع الإيمان بمفاهيم شيطانية تحمّس لها الناس ، وفُتِنُوا بها ، وما لبثوا أن باتوا في دوامة لا مفر منها ، لقد أخرجوا المرأة من بيتها بلا ضبط أو ربط ، وكشفوا عروتها وتفنّنوا في إبراز مفاتها ، وعمّموا الاختلاط ، وطالبوها بالعمل مثل الرجل ، وفرضوا عليها أن تكتسب بعملها ، واستدرجوها إلى حيث طالبت بممارسة أي عمل حتى ولو كان يخالف طبيعتها وتكوينها ، فماذا كانت النتيجة ؟ ثورة ورفض لأحكام الله ومطالبة بأحكام مخالفة تتناسب مع الأوضاع الجديدة . (2)

واقع المسلمين في ظل هذه الغاية :

لقد أخذت هذه الغاية البغيضة من المسلمين كل مأخذ وغمرتهم في ضياع وتمزق رديحاً طويلاً من الزمان ، ولقد مرّ على أمة الإسلام زمان ما كدت ترى فيه امرأة تتحلّى بالرّي الشرعي الذي ارتضاه الله لها ، بل تعدى الأمر أكثر من هذا الحد، فلم يقتصر الأمر على مجرد كشف بعض ما أمر الله بستره ، بل تمادت بعض ربيبات الغواية ، والمُغرّرات في كشف عوراتهن

1 - بروتوكولات حكماء صهيون - ترجمة عباس محمود العقاد - ص 125 .
2 - انظر: حزب الله في مواجهة حزب الشيطان - وائل عثمان - ص 33 ، 34 .

إلى درجات صار الأمر فيها سباقاً إلى الرذيلة ، سباقاً يجني على كثير من شباب الأمة فيوقعهم في حماة الرذيلة والانحلال ، فلا يصبحون يفيدون الأمة في شيء .

أما اليوم فقد بدأت هذه الرذيلة تنحسر شيئاً فشيئاً ، بما منّ الله به على أمة الإسلام من الدعاة الصادقين الذين يحاربون الشيطان ، ولذا وكردة فعل على هذه الهداية ، استشرّ إبليس وجنده في نشر هذه الفاحشة ، ففتحوا باب العُري على مصراعيه ، ونشروا الإباحية البغيضة بين الشباب والشابات ، وجندوا من شياطين الإنس من قام بهذه المهمة على أتم وجه ، فبرز السفلة من المغنّين والمغنّيات ، والراقصين والراقصات ، وحاول هؤلاء وأذناهم أن يرفعوا من شأن هذه الشياطين في عالمنا العربي والإسلامي فأقاموا لهم الحفلات ، وسلطوا عليهم أضواء الإعلام وملأوا بهم الفضائيات ، حتى يحاولوا أن يئسوا الدعاة من إمكانية الإصلاح ، ولكن الله والحمد له دائماً وأبداً لهذه الشردمة القليلة بالمرصاد وهو إن شاء ناصر جنده ودعاه الصادقين .

خامساً : الزنا والتبّي :

وكنتيجة طبيعية للخطوة السابقة ، يسقط المٌضللون من شباب وشابات هذا العالم في مراتع الرذيلة والفاحشة الكبرى ، ألا وهي الزنا ، وقد توعد اللعين بإيقاع أعدائه في هذه الفاحشة ، ويذكر الله عنه ذلك بما أتاح له من سبل الغواية حيث يقول : ﴿ **وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ ⁽¹⁾ قال مجاهد :

(وشاركهم في الأموال والأولاد) أولاد الزنا ، وكذا ابن عباس ، ويقول الطبري : وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : كل ولد ولدته أنثى عُصي الله بتسميته ما يكرهه الله وبإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو قتله ووأده ، أو غير ذلك من الأمور التي يُعصى الله بها فقد دخل في مشاركة

¹ - سورة الإسراء - ، الآية 64 .

إبليس فيه مَنْ وُلِدَ ذلك المولود له " (1) ، وقد لخص الألووسي تلك المشاركة في الأولاد بقوله : " بالحثّ على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة وارتكاب ما لا يُرضي الله تعالى فيهم " (2) .
إذا فالشيطان يريد لأعدائه أن يرتعوا في عيشة الرذيلة فيبدأوا حياتهم بالزنا ، وينجبوا أولاداً على غير فطرة الله ، وتستمر حياتهم على الحرام ، كي تنتهي عليه أيضاً ليصبحوا من حزبه في نهاية المطاف .

وقد أفسد الشيطان فطر كثير من البشر فنشر الزنا بين شعوبهم وخذ لذلك مثلاً يسوقه أبو الأعلى المودودي في حق الشعب الفرنسي حيث يقول : " ولك أن تقدر تهاون الفرنسيين بالزنا وكيفية كونه غير معيب في أخلاقهم ... ففي يوم 3 - مايو - 1919 م نشر قائد بعض الفرق العسكرية إعلاناً للجنود التابعة له ، فيه : (قد بلغنا أن عامة الرّجال والخيّالة يشكون من تراحم رجال البنادق على دور البغاء الجندية فيقولون إنهم قد كانوا يستبدّون بها ولا يدعون غيرهم يتمتعون بها ، وإن مكتب القيادة لا يزال يسعى إلى زيادة عدد النساء ، حتى يكفين لجميع الجنود ، ولكن قبل أن يتم ذلك نوصي رجال البنادق ألا يطيلوا مكثهم داخل تلك الدور ، ويتعجلوا بقضاء شهوتهم ما استطاعوا ...) ليتأمل القارئ هذا الإعلان الذي ينشره رسمياً قسم الدفاع لدولة من أرقى دول العالم ثقافة وتهذباً ، أفلا يستنتج منه أنه لم يبقَ في قلوبهم حبة خردل من الاعتقاد بشناعة الزنا وكونه عيباً خلقياً ، وأنه قد خلا من هذا التصوّر عند كل من المجتمع والقانون والحكومة " (3) هذه القصة الشيعة حصلت في عام 1919 ، أي قبل ما يقرب من خمس وثمانين سنة ، فما بالك بحال العالم اليوم في ظل هذه الغاية الفظيعة للشيطان ، لقد أصبح الزنا في كثير من دول الغرب ضرورياً لكل شاب وشابة قبل أن يبدأ حياتهما الزوجية ، فإنك ترى الشاب الغربي اليوم يستحي من أصدقائه إن هو لم يخض حياة الزنا مع عشيقته قبل الزواج ، لا بل إن أمر الانحطاط الخلقي وصل إلى حدّ رُخصت فيه رسمياً في بعض دول العالم ، العلاقات الجنسية الشاذة (الزواج المثلي) نسأل الله العفو والعافية .

هذا على مستوى الزنا ، وجلب الأولاد بالحرام ، أما من لم يقدر له الله أن ينجب ، فإن الشيطان يواصل معه الغواية فيدفعه

1 - جامع البيان - للطبري - م 9 - ج 15 - ص 150 ، 151 .

2 - روح المعاني - للألووسي - م 9 - ج 15 - ص 162 .

3 - الحجاب - للمودودي - ص 41 .

إلى ارتكاب محرّم آخر هو التّبني ، وهو نسبة الولد إلى غير أبيه وأمه ، وهذا استمرار في مخالفة حكمة تحريم الزنا ، فالزنا خلط للأنساب والأولاد ، والتّبني كذلك قلب الحقائق وخلط للأنساب ، وقد وصل الحدّ ببعض الضالين في هذه الأرض أن يستنكفوا طوعاً عن الإنجاب ، لما يسببه للمرأة - بحد زعمها - من إرهاب وإفساد لهيئتها وذهاب لرونق بشرتها ، واستبدال ذلك بالتّبني ، بل إنني - ولعجيب هذا الزمان - رأيت رجلاً وامرأة في باريس يرفضان الإنجاب بالكلية ، ويستعيضان عن هذه النعمة العظيمة بتبني كلبه تخرّجت من إحدى كبريات مدارس الكلاب في فرنسا ، نعم هي كلبه عزيزة بلغ ثمنها - على ما أذكر - خمسة وعشرين ألف دولار أمريكي !! .

والحق أن المشاركة في الأولاد غير مقتصرة على الإنجاب بالزنا أو التبني ، بل تتعداهما إلى كل ما يُفعل بالأولاد أو لهم على غير مرضاة الله يقول الطبري : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : كل ولدٍ ولدته أنثى عُصي الله بتسميته ما يكرهه الله ، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو قتله ووأده ، أو غير ذلك من الأمور التي يُعصى الله بها بفعله به أو فيه ، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له ، أو منه ، لأن الله لم يخصّ بقوله وشاركهم في الأموال والأولاد معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى ، فكل ما عُصي الله به أو فيه إبليس فيه " (1) .

سادساً : التناجي بالإثم :

وتلك غاية أخرى من غايات إبليس ، تفضي إلى خطر كبير على أمة الإسلام ، وتساهم أيّما مساهمة في تفكيكها ، وتخذيل أهل الإسلام عنه ، وإلقاء الحزن والضعف والخور في قلوب الكثير منهم ، وقبل أن نتحدث عن النجوى وأثرها على المجتمع نتعرف على معنى هذه الكلمة ومفهومها في لسان العرب : النجوى : النون والجيم والحرف المعتل أصلاً ، يدل أحدهما على كسّط وكشف ، والآخر على ستر وإخفاء ، فالأصل الثاني النجو والنجوى : السرّ بين اثنين (2) .

إذا فالنجوى والتناجي هي المسارة بالحديث بين اثنين أو أكثر ، وهي تأخذ المعنى الثاني من المعنيين المتضادين ، معنى الستر والتغطية ، وقد خصّ سبحانه التناجي بالإثم بتلك النجوى

1 - جامع البيان - م 9 - ج 15 - ص 150 ، 151 .

2 - معجم المقاييس في اللغة - لابن فارس - ص 1014 ، 1015 .

المرتطبة بالشیطان حيث يقول : **إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ⁽¹⁾ " أي إنما النجوى - وهي المسارة - حيث (يتوهم منها المؤمن) سوءاً ، من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، أي ليسوءهم ، وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ، ومن أحس من ذلك شيئاً فليستعذ بالله ، وليتوكل على الله ؛ فإنه لا يضره شيء ، بإذن الله " ⁽²⁾ .

والآية مع ما قبلها من آيات نزلت في يهود فعن مقاتل بن حيان : " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ...** " ⁽³⁾ قال اليهود ، كان بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين اليهود مودة ، وكان إذا مرّ بهم رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - جلسوا يتناجون بينهم ، حتى يظنّ المؤمن أنّهم يتناجون بقتله ، أو بما يكره المؤمن ، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيمهم ، فترك طريقه عليهم ، فنهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن النجوى ، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى فأنزل الله الآية " ⁽⁴⁾ .

نعم ، أولئك هم اليهود ، وهذا هو دينهم في كل زمان ومكان ، وهذا هو دأب المنافقين أعوانهم ، فهذه النجوى بالإثم هي التي تثير الضعف في قلوب أفراد المجتمع المسلم ، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية قصة أخرى تتعلق بالمنافقين ، أتباع اليهود ، وهي في نفس معنى القصة الأولى ، وقد تجتمعان في سبب النزول تحت باب تعدد السبب والنازل واحد ، فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : " كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا بعث سرية وأغزاها التقى المنافقون فأغضوا رؤوسهم إلى المسلمين ، ويقولون : قُتِلَ القوم ، وإذا رأوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - تناجوا وأظهروا الحزن ، فيبلغ ذلك من النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن المسلمين ، فأنزل الله الآية " ⁽⁵⁾ .

وقد حذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذا الإثم ، ونهى عن التناجي بين اثنين في حضور مؤمن ثالث ، كي لا يأخذ هذا الأمر من نفسه مأخذاً ، وقد احترز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نهيه فصرف كل شك ، فنهى عن مطلق التناجي

¹ - سورة المجادلة ، الآية 10 .

² - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 13 - ص 455 .

³ - سورة المجادلة ، الآية 8 .

⁴ - تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم - ج 10 - ص 3343 .

⁵ - الدر المنثور - للسيوطي - ج 8 - ص 82 .

بين اثنين في حضور صاحب ثالث لهم يقول - صلى الله عليه وسلم - : " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس أجل أن يحزنه " (1) ، ويبيِّن لنا البخاري في ترجمة هذا الحديث أن التناجى يجوز في حال كان العدد أكثر من ثلاثة ، لأن الأمر يصبح فيه بحبوحه أن يتكلم كل واحد مع أخ له ، أما النهي فيقع على ترك واحد دون الجميع فيكون لقمة سائغة للشيطان يلقي في قلبه الوسوس السيئة .

وقد طمأن الحق سبحانه المؤمنين بأن هذه النجوى التي تقع من اليهود والمنافقين والظالمين في كل مكان لن تضرهم شيئاً إلا بإذنه سبحانه ، وقد عقب تعالى على كون النجوى من الشيطان بأنها لا تضرهم شيئاً ليطمئن المؤمنين بأن الله حافظهم من ضرِّ الشيطان ، والمعنى أن الشيطان لا يضر المؤمنين بالنجوى أكثر من أنه يحزنهم (2) .

التناجى بالإثم في عصرنا الحاضر :

تنخر هذه الغاية الشيطانية في عضد أمة الإسلام ، وتفتتها أيما تفتت ، فهي التي تلقي اليأس ، وتزرع القنوط في قلوب كثير من أبناء هذه الأمة ، ولا يقتصر أمر التناجى بالإثم في هذا الزمان على الصورة المبسطة لهذا الإثم ، وهو أن يتسارَّ اثنان دون ثالث ، أو أن تجلس مجموعة تتخافت بالحديث أمام المسلمين ، بل يأخذ هذا التناجى شكلاً آخر منمقاً في عصر النفاق والخداع والتزييف للحقائق ، فتلك الاجتماعات السرية التي يعقدها أعداء الله في شرق الأرض وغربها ، ثم يخرجون على وسائل الإعلام يتحدثون عن توصيات سرية وخطيرة وهامة لعلاج الوضع الراهن في الشرق الأوسط مثلاً ، إنما هي نجوى بالإثم بين آثمين يهدفون بالدرجة الأولى إلى ترهيب المسلمين منهم ، فيظن المسلم أن الخطر قد أحدق به ، وأنهم سيضربون بيد من حديد على كل من واجههم أو وقف في طريقهم ، وأن العالم كله معهم

1 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب الاستئذان - باب : إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس في المسارة والتناجى - ح 6290 - ص 530 .

2 - انظر : التحرير والتنوير - لابن عاشور - م 13 - ج 28 - ص 34 ، 35 .

وهكذا فيتسرب الضعف والخور إلى أنفس الكثير من الناس ويستسلموا لإرادة أعداء الله .

وقد تحدث سيّد قطب عن نوع ثانٍ من النجوى في عصرنا الحاضر ، تلك هي النجوى الارتجالية بين أفراد الجماعة المؤمنة بعيداً عن قيادتها حيث يقول : " ويبدو أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد بحاسة التنظيم الإسلامي ، كانوا يجتمعون عندما تحزب الأمور ، ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيداً عن قياداتهم ، الأمر الذي تقرّه طبيعة الجماعة الإسلامية ، وروح التنظيم الإسلامي ، التي تقتضي عرض كل رأي وكل فكرة وكل اقتراح على القيادة ابتداءً ، وعدم التجمّعات الجانبية في الجماعات ، كما يبدو أن بعض هذه التجمّعات كان يدور فيها ما قد يؤدي إلى البلبلة ، وما يؤذي الجماعة المسلمة – ولو لم يكن قصد الإيذاء قائماً في نفوس المتناجين – ولكن مجرد إثارتهم للمسائل الجارية وإبداء الآراء فيها على غير علم ، قد يؤدي إلى الإيذاء ، وإلى عدم الطاعة " (1) .

سابعاً : الاستهزاء بالمؤمنين :

وتلك غاية أخرى من غايات الشيطان تنتظم في سلسلة الغايات الممزقة للمجتمع الإسلامي ، فالأصل في المؤمنين التواؤم والتعاطف والتراحم ، والمؤمن مرآة أخيه يسدي إليه النصيحة الصادقة بعيداً عن أعين الناس ، غرضه في ذلك الإصلاح والتقويم ، أما الشيطان وأولياؤه فيسعون إلى فضح المؤمنين ، والتهكم منهم ، وإبراز معائبهم ، لتشيع الفاحشة في المجتمع ، وينتشر الكلام السيء فيؤثر على نفوس العامة .

والاستهزاء من المؤمنين يأخذ أشكالاً متعددة كما بيّنها الألووسي : " الاستهزاء : الاستخفاف والسخرية ، واستفعل بمعنى

¹ - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 6 - ص 3510 ، 3511 .

فعل ، تقول هَرَأْتُ به واستهزأت بمعنىً ، كاستعجب وعجب ، وذكر حجة الإسلام الغزالي أن الاستهزاء الاستحقار ، والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجهٍ يُضْحَكُ منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول والإشارة والإيماء ، وأصل هذه المادة الخفة ، يقال : ناقتة تهزأ به أي تُسرع وتُخِفُ " (1) .

ويظهر الارتباط بين الشيطان والاستهزاء في قوله تعالى : □

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى

شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ □ (2) ، "

أجمع أهل التأويل على أن معنى قوله (إنما نحن مستهزءون) : إنما نحن ساخرون ، فمعنى الكلام إذاً : وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مردتهم من المنافقين و المشركين قالوا : إِنَّا مَعَكُمْ على ما أنتم عليه من التكذيب لمحمد - صلى الله عليه وسلم -

وبما جاء به ، ومعاداته ومعاداة أتباعه ، إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد في قيلنا لهم إذا لقيناهم : (ءامننا بالله وباليوم الآخر) " (3) ، فهذا الإقرار منهم لشياطينهم بحقيقة مقاتلتهم للمؤمنين إنما هو طلب للرضا من أسيادهم ، إذ هم يعملون ما يأمرونهم به من الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين .

والاستهزاء هنا يحمل معنى الاستخفاف ، إذ هو قول كاذب يستخف قائله فيه بمن يخاطبه ، كي يصرفه عنه ، وهو في حقيقته استهزاء بالمقول ، وهو هنا الإيمان بالله واليوم والآخر ، وقد يقع الاستهزاء علانية ، فيستخف وليُّ الشيطان بالمؤمن ، فيذكره بصفة ، ثم يأخذ في التقليل من شأن هذه الصفة بل ودمها ، كما وقع من المنافقين يوم تبوك لما استهزأوا بقراء كتاب الله ، فنعتوهم بمعاييب ومناقص على رؤوس الأشهاد ، كي ينفروا منهم ،

¹ - روح المعاني - للألوسي - ج 1 - ص 255 .

² - سورة البقرة ، الآية 14 .

³ - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 170 ، 171 .

ويوقعوا الشكَّ تجاههم في قلوب الآخرين ، لكن الرد الرباني على هذه الجريمة كان قاسياً حيث أنزل فيهم قرآناً يتلى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (1) .

¹ - سورة التوبة ، الآيتان 65 ، 66 .

الفصل الخامس عواقب اتباع الشيطان ووسائل محاربته

وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : عواقب اتباع الشيطان

المطلب الأول : عواقب اتباع الشيطان في الدنيا

المطلب الثاني : عواقب اتباع الشيطان في الآخرة

المبحث الثاني : وسائل محاربة الشيطان

المطلب الأول : وسائل الوقاية من خطوات الشيطان

وغاياته

المطلب الثاني : وسائل محاربة الشيطان وولايته

المبحث الأول عواقب اتباع الشيطان

تقتضي سنة الله في خلقه ، وحكمته البالغة في تقديره أن يجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ولو بعد حين ، وهذا ما تبرزه آيات الكتاب العزيز في سياق آيات موضوعنا ، فالتمرد والعتو والطغيان ، والإغواء والإضلال ، واتباع الشيطان وولايته ، والسير في خطواته ، والوقوع في غاياته ، كل ذلك مما ذكرنا على طول صفحات هذا البحث لا بد له من عاقبة تغشى أصحابه ، وجزاء يُدانون به ، سواء كانت تلك العاقبة في عاجلة أمرهم أو في عاقبته ، وسواء كان ذلك الجزاء في الدنيا ، أو في الآخرة ، وسنبداً بذكر عاقبة الشياطين وأتباعهم في الدنيا ، ثم نثني بمآلهم في الآخرة :

المطلب الأول : عواقب الشيطان وأتباعه في الدنيا :

لقد خصَّ الله تعالى إبليس أبا الشياطين بعقوبة دنيوية تختلف عن بقية الشياطين ، إذ هو أصل كل شرٍّ ومبدؤه ، فقد ضرب الله عليه اللعنة والغضب مُذ رفض السجود لما خلق الله بيديه استكباراً ، إلى أن يلقي الله يوم القيامة مدحوراً في النار خالداً فيها ، وهذا ما وضحته كثير من الآيات القرآنية في سياق الحديث عن إبليس وأدم ، ومن ذلك قوله تعالى : **وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ⁽¹⁾ ، وقوله : **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا ...** ⁽²⁾ ، وغيرها من الآيات .

أما بقية شياطين الجن والإنس ومن تبعهم في الدنيا ، فقد توعدَّهم الله بعواقب تصيبهم جراء جرمهم ، فهذا من قبيل ترتيب الأسباب على المسببات ، وليس من قبيل لعنة حلت عليهم ، أو غضب نزل بهم ، فباب التوبة مفتوح لهم أجمعين إلى أن تخرج أرواحهم من أجسادهم ، وتلك العواقب هي :

أولاً : الشقاء وخسران الدنيا :

يرد الشقاء في كتاب الله على معنيين : أولهما شقاء عام أصاب كل بني آدم نتيجة خروج أبيهما من الجنة ، وثانيهما شقاء خاصٌّ بأولئك الذين اتبعوا نهج إبليس فوقعوا في تلك العاقبة .

أما العام فيتحدث عنه قوله تعالى مخاطباً آدم وزوجه : **إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** ⁽³⁾ ، " أي إياك أن يسعى في إخراجك منها فتتعب

1 - سورة الحجر ، الآية 35 .

2 - سورة الأعراف ، الآية 18 .

3 - سورة طه ، الآية 117 .

وتعنى وتشقى في طلب رزقك ، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنيء لا كلفة فيه ولا مشقة " (1).

أما الشقاء المقصود هنا فهو الشقاء بمعناه الخاص ، والذي هو نصيب الشيطان وأوليائه ، أولئك الذين أعرضوا عن منهج الله ، وتركوا هداه ، وانسلوا في طرائق الشر والطغيان ، يكيدون ويمكرون ويغوون ويضلون ، أولئك هم الذين يذكرهم رب العزة في سياق آيات طه بعد الآية السابقة حيث يقول : ﴿... فَأَمَّا يَا تِيبِكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (2) فهذا بيان من الحق سبحانه لطريقين لا ثالث لهما : إما طريق هدى الله ، أو طريق إبليس الذي أخرج أبوي البشر من الجنة حيث لا شقاء ولا تعب ولا ضلال ، ويبين ابن كثير هذا الشقاء المذكور في الآية فيقول : " (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي) أي خالف أمري وما أنزلت على رسولي ، أعرض عنه وأتأساه ، وله معيشة ضنك في الدنيا ؛ فلا طمأنينة له ولا أنشراح لصدره ، بل صدره ضيق حرج لضلاله ، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء ، فإن قلبه ما يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبه يتردد ، فهذا من ضنك المعيشة ... فعن ابن عباس (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) : الشقاء ، وقال الضحاك : هو العمل

السيء والرزق الخبيث ، وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار " (3) . هذا هو الشقاء الذي توعد به الله أتباع الشيطان ، ولصاحب الضلال في وصف هذا الشقاء - وهو يعبر عما يرى في عصرنا الحاضر - كلمات طيبة جميلة أسوقها هنا مكتفياً بها عن غيرها فجزى الله كاتبها خير الجزاء : " ومن اتبع هدى الله فهو نجوة من الضلال والشقاء في الأرض ، وفي ذلك عوض عن الفردوس المفقود حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود ، والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع ، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال ، بالله والاطمئنان إلى حماه ، ضنك الحيرة والقلق والشك ، ضنك الحرص والحذر الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت ، ضنك الجري وراء بريق المطامع ، والحصرة على كل ما يفوت ، وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله ، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك

1 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 9 - ص 373 . .

2 - سورة طه ، الآيتان 123 ، 124 .

3 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 9 - ص 377 .

بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضاً ، وعمقاً وسعة ، والحرمان منه شقوة لا تعادلها شقوة الفقر والحرمان " (1) .

هذا هو الشقاء والضنك ، أما الخسران الذي يجنيه الشيطان وأتباعه فيقرره تعالى في غير آية فيقول : ﴿ ... وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ (2) ، ويقول أيضاً : ﴿ اسْتَخْوَدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (3) ، ويفسر البغوي هذا الخسران في الدنيا بأنه الذل حيث يقول : " أي هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة " (4) ، وهذا الخسران ظاهر في دنياه وأخرته بسبب تولي الشيطان باتباع أوامره واتخاذ إماماً يُقتدى به (5) .

ثانياً : الحيرة والتخبط :

وكما ألقى الشيطان أولياءه في مراتع الشقوة ، فأنهك أبدانهم في إدراك ما لا يدرك ، فهو أيضاً لم يترك عقولهم وأرواحهم في معزل عن كيده ، فاتباع الشيطان ، والانخراط في جند إبليس ، يؤول بالمتبع إلى حيرة تهوي به في غيابة الشك والتمزق النفسي ، وهذا ما يصوره كتاب الله - عز وجل - في قوله : ﴿ قُلْ أَتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ خَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنَبِّئُكُمْ فَلَوْلَا أَنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرَنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (6) " هذا الإيقاع القوي بحقيقة الألوهية وخصائصها ، واستنكار الشرك والعودة إليه بعد الهدى ، ومشهد الذي يرجع القهقري مرتداً عن دين الله وحيرته في التيه بلا اتجاه ، وبتقرير أن هدى الله وحده هو الهدى ، هذا الإيقاع يُختم برنة عالية عميقة مدوية عن سلطان الله المطلق في الأمر والخلق ... إنه مشهد حيُّ شاخص متحرك للضلالة والحيرة التي تتاب من يشرك بعد التوحيد ، ومن يتوزع قلبه بين الإله الواحد والآلهة المتعددة من العبيد ، وتفرق إحساسه بين الهدى والضلال فيذهب

1 - في ظلال القرآن - ج 4 - ص 2355 .

2 - سورة النساء ، الآية 119 .

3 - سورة المجادلة ، الآية 19 .

4 - معالم التنزيل - للبغوي - ج 5 - ص 355 .

5 - انظر التفسير المنير - ج 5 - ص 277 .

6 - سورة الأنعام ، الآية 71 .

بالتيه ، إنه مشهد ذلك المخلوق التعيس الذي استهوته الشياطين في الأرض ، ولفظ الاستهواء لفظ مصوّر بذاته لمدلوله ، وبالتيه يُتبع هذا الاستهواء في اتجاهه فيكون له اتجاهاً ولو في طريق الضلال ، ولكن هناك من الجانب الآخر أصحاب له مهتدون يدعون وينادونه أئتنا ، وهو بين هذا الاستهواء وهذا الدعاء حيران ، لا يدري أين يتجه ، ولا أي الفريقين يجب ، إنه العذاب النفسي يرتسم ويتحرك حتى ليكاد يُحسُّ ويُلمَس من خلال التعبير ، ولقد كنتُ أتصور هذا المشهد وما يفيض به من عذاب الحيرة والتأرجح والقلقلة كلما قرأت هذا النص – ولكن مجرد تصور – حتى رأيت حالات حقيقية يتمثل فيها هذا الموقف فيفيض منها هذا العذاب : حالات ناس عرفوا دين الله وذاقوه – أياً كانت درجة هذه المعرفة وهذا التذوق – ثم ارتدوا عنه إلى عبادة الآلهة الزائفة تحت قهر الخوف والطمع ، ثم إذا هم في مثل هذا البؤس المرير وعندئذٍ عرفت ماذا تعني هذه الحالة وماذا يعني هذا التعذيب ... " (1) .

سقت هذا النص الطويل لصاحب الضلال لما فيه من بيان جميل لهذه الحالة من الحيرة والتخبط ، تلك الحالة التي لا تزال تلازم أصحابها ما لازموا طرائق الشيطان وساروا في دروبه ، والشيطان يرمي من وراء هذا التخبط إلى بلوغ غايته من أعدائه وهي الموت على الكفر " واللعين لا غاية له إلا إيقاع المؤمن في وهدة الضلال والحيرة وتكدر العيش وظلمة النفس وضجرها إلى أن يخرج من الإسلام وهو لا يشعر " (2) .

المطلب الثاني : عاقبة الشيطان وأتباعه في الآخرة :

العذاب الأكبر ، ذاك ما وصف الله به تلك العاقبة الوخيمة ، والمآل الأليم فالعذاب الأدنى كان في الدنيا ، وهاهم يذوقون وبال أمرهم وتكون عاقبة أمرهم خسراً ، ومشهد يوم القيامة – كما تصوره آيات الكتاب العزيز – يُنبئ عن تلك العاقبة : اجتماع إبليس وأتباعه في المحشر ، تبرؤ المّضلين المّغوين ممن أضلوهم وأغوّوهم ، خلود في النار لإبليس وأتباعه .

أولاً : أتباع الشيطان يُحشرون معه يوم القيامة :

ساروا في دروب إبليس في الدنيا ، اتخذوا الشياطين أولياء ، غرّتهم الحياة الدنيا ، ماتوا على غير فطرة الإسلام ، ثم النتيجة الطبيعة لكل ما كان منهم في الدنيا ، اجتماعهم مع بعضهم البعض حول جهنم يوم القيامة ، وهذا ما يقسم المولى سبحانه عليه في

1 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 2 - ص 1131 ، 1132 .

2 - إصابة السهام - لمحمود السبكي - ص 157 .

الشیطان خطواته وغاياته الإسلامية

محکم آیاته : ﴿ فَوَرَّبُّكَ لَنُحْشِرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (1) " أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ، (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) قال العوفي عن ابن عباس : يعني قعوداً كقوله : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ (2) ، قال السدي : يعني قياماً . وروي عن مرة عن ابن مسعود مثله " (3)

ثانياً : تبرأ إبليس من أتباعه يوم القيامة :

وهذا دأب المبطلين والغاوين - وإن كانوا يخفون هذه السجية في الدنيا - فهي تبرز الآن بكل قوة ، فالمشهد يومئذ عظيم ، والخطب جلل ، فالشياطين والطغاة يومئذ ينوءون بأوزارهم ، فلم تعد تلك الكلمات المعسولة تخرج من أفواههم لأتباعهم ، كان الكلام في الدنيا لا تظهر عواقبه ، أما اليوم فالكلمة تجلب الأوزار ، والأتباع كثير ، ولسان الحال قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ (4) فعن السدي " أما الذين اتَّبَعُوا فهم الشياطين ، تبرأوا من الإنس " (5) ، وهنا تزداد حسرة المتبعين الضالين ، فيطلبون من الله كربة أخرى لينتقموا فيها ممن أغووههم ولكن هيهات ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (6)

ومما يزيد حسرة المتحسرين ، وندم النادمين ، قيام كبير الشياطين إبليس - عليه لعائن الله - فيهم خطيباً يعلن لهم تلك البراءة على رؤوس الأشهاد ، ويخبرهم أن أوزارهم لن يحملها إلا هم ، يقول تعالى مصوراً هذا المشهد العصيب على أتباع الشيطان يوم القيامة : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنفُسُكُمْ مَا آتَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ

1 - سورة مريم ، الآية 68 .

2 - سورة الجاثية ، الآية 28 .

3 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 9 - ص 278 .

4 - سورة البقرة ، الآية 166 .

5 - تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم - ج 1 - ص 278 .

6 - سورة البقرة ، الآية 167 .

الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ⁽¹⁾ "أي وقال إبليس (لما قضي الأمر) أي فُرع منه ، ودخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يقول مقاتل : يُوضع له منبر في النار ، فيرقاه فيجتمع عليه الكفار بالأئمة فيقول لهم : إن الله وعدكم وعد الحق فوقى لكم ، ووعدتكم فأخلفتكم ... (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) أي كفرت بجعلكم إياي شريكاً في عبادة الله ، وتبرأت من ذلك " ⁽²⁾ .
ثالثاً : دخول الشيطان وأولياؤه النار :

وهذه الخاتمة التعسة هي التي حذر المولى منها العالمين أجمعين مذ رفض إبليس السجود لآدم ، يقول تعالى مخاطباً إبليس : **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ** ⁽³⁾ ، " فهذا قسم من الله - جل ثناؤه - أقسم أنه من اتبع من بني آدم عدو الله إبليس وأطاعه وصدق ظنه عليه ، أن يملأ من جميعهم - يعني من كفره بني آدم تتباع إبليس ، ومن إبليس وذريته - جهنم ... " ⁽⁴⁾ ، وقد ورد هذا التحذير الرباني في غير موضع في كتابه تعالى فمن ذلك : **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ** ⁽⁵⁾ .

وقد نقر القرآن من اتباع الشيطان ميئاً أن هذا الاتباع إنما يقود إلى خاتمة بئسة ، يقول تعالى **... أَوْلُو كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ⁽⁶⁾ "أي أيبتعونهم بلا دليل ! ولو كان اعتقادهم قائماً على الهوى وتزيين الشيطان الذي يدعوهم إلى عذاب جهنم ، والله يدعو إلى النجاة والثواب والسعادة " ⁽⁷⁾ .

ويصور لنا الحق سبحانه مشهد دخول إبليس وأولياؤه في جهنم ، وتلاوومهم فيها ، وندمهم إذ لا ينفع الندم : **فَكَتَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ * وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ⁽⁸⁾ " يقول : فرمى بعضهم في الجحيم على بعض ، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم ...

1 - سورة إبراهيم ، الآية 22 .

2 - معالم التنزيل - للبيهقي - ج 3 - ص 375 .

3 - سورة الأعراف ، الآية 18 .

4 - جامع البيان - للطبري - م 5 - ج 8 - ص 178 .

5 - سورة الحجر ، الآية 43 .

6 - سورة لقمان ، الآية 21 .

7 - التفسير المنير - للزحيلي - ج 21 - ص 160 .

8 - سورة الشعراء ، الآيات 94 - 102 .

وعن قتادة (الغاوون) : الشياطين ، فتأويل الكلام على قول
قتادة : فكذب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله
الأصنامَ والشياطينُ ، وقوله (وجنود إبليس أجمعون) يقول :
وكذب فيها مع الأنداد والغاوين جنودُ إبليس أجمعون ، وجنوده :
كل من كان من أتباعه من ذريته كان أو من ذرية آدم " (1) .
وكما اتبع المجرمون الشيطان في الدنيا ، وكما حشروا معه
في الآخرة ، ها هم الآن يرافقونه نفس المصير : خلودٌ في نار
جهنم جزاءً بكفرهم الذي كان في الدنيا : **فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا
أَنَّهِنَّ فِي النَّارِ خَالِدَتَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ** (2) .
أما الموحدون ، ممن استمالهم الشيطان في الدنيا ، ولكنه
لم يقدر في توحيدهم وإيمانهم بالله فلم يوقعهم في شرك أكبر ،
أو كفر ، فلا يتبعون إبليس في الآخرة ، بل تنالهم رحمة الله ، وإن
كانوا وقعوا في بعض غايات الشيطان ، ولكنها لم تطغ على
إيمانهم فتفسده ، بل كانوا في دنياهم أوابين لله يعودون إليه
مستغفرين كلما أذنبوا ، وإن دخلوا النار لعقوبة عليهم ، فلا يُعدوا
من أتباع الشيطان ، إذ إنَّ مآلهم إلى جنة الرحمن .

1 - جامع البيان - للطبري - م 11 - ج 19 - ص 104 .

2 - سورة الحشر ، الآية 17 .

المبحث الثاني وسائل محاربة الشيطان

ها نحن - أخي القارئ - نخط عصا الترحال عند غاية سفرنا ، ومقصد بحثنا ، حيث بيت القصيد ، وغاية النشيد ، كي نقف أنفسنا عند سؤال ، هو منتهى الطريق لمن أراد النجاة من كل ما سبقت قراءته في ثنايا هذا البحث ، هذا السؤال هو : إذا فكيف يرشدنا الحليم الودود ، من خلال آيات كتابه المجيد ، إلى تلك الوسائل الوقائية والأسلحة التي ينبغي أن يتسلح بها كل من أراد النجاة من برائن الشيطان ، والنجاة من خطواته ؟

تقتضي حكمة الحكيم الخبير دائماً وأبداً ألا يظهر الداء إلا وقد قرنه بالدواء حتى تقوم الحجة على العباد فلا يأتيه آت يوم التناد يقول : ما أتانا من نذير ، أو ما عرفنا السبيل ، ولقد بث المولى سبحانه طرائق النجاة من الشيطان وخطواته وغاياته ، بين آيات كتابه مقترنة على الأغلب ببيان خطوات الشيطان وغاياته ، فهو لا يؤخر عليك - أخي القارئ - وسيلة النجاة لشدة خطورة المسألة ، أما نحن - بضعفنا البشري وقلة حيلتنا - فأخرنا عليك الوسيلة دون المسألة لنفصل ما أجمل ، ونبين القول فيه .

وقد تبين ، من خلال استقراء آيات القرآن ، أن المرض الذي يلحقه الشيطان بأعدائه هو على مستويين : الأول مرضٌ خفيف الوطئة ، لكنه لا ينفك يلزم الإنسان في أكثر أوقاته حتى يصير عند البعض عادةً أو سلوكاً ، وهو ما يكون من خطوات الشيطان والسقوط في بعض غاياته ، والثاني مرضٌ خطيرٌ شديد الوطئة ، يُلحق بحامله الشرك والكفر بالله ، ويجعله غويّاً مُضلاً عاتياً ، متمرداً ، وهذا ما عرفناه من خلال بحثنا باسم " الشيطان ، أو أولياء الشيطان " ،

أما المرض الأول فيحتاج إلى علاج خفيف يمنعه ، ووسيلة مستمرة تبعده وتقي منه وهو المستوى الأول من الوسائل ، وأما المرض الثاني فيحتاج إلى علاج قويٍّ يضاده ، ووسيلة محكمةٍ تدمغه وهذا هو المستوى الثاني.

المطلب الأول : وسائل الوقاية من خطوات الشيطان وغاياته :

هذا هو المستوى الأول للمرض الشيطاني ، مستوى لا يظهر كثيراً للعيان بل يتسلل تحت جنح الظلام ، ليوقع فريسته في الغواية من حيث لا تدري ، تلك هي خطوات الشيطان من تزيين

وتمنية ووعد كاذب وإنساء وتخويف ومس ، ثم الانزلاق في بعض غاياته مما لا تخرج صاحبها عن الإسلام ، أما إن هو استمر على تلك الغايات - وإن كانت مما لا يُخرج من الملة - فصارت له ديدناً في الحياة ، دون أن يعالجها فيخرج منها إلى طريق الصواب ، فقد وقع في المستوى الثاني من المرض الشيطاني ، فصار عاشقاً للإثم ، ربيباً للمعصية ، فنحن نسعى إذا في هذا المطلب لبيان تلك الوسائل الربانية التي تحمي العبد من هذا المرض ، فتمنعه من السقوط فيما هو أكبر منه .

وقبل أن نوضح هذه الوسائل ، نود أن نبين صفة مهمة تجمعها ، وتمييزها فهذه الوسائل تتسم بصفة الديمومة واللزوم لصاحبها ما حي ، شأنها شأن المرض الذي تحاربه ، إذ هو كذاك لا يفارق الإنسان ما حي ، وسنلاحظ هذه الملازمة في تفصيلنا لتلك الوسائل إن شاء الله .

أولاً : الاستعاذة بالله :

الاستعاذة : طلب العوذ ، وهذا الطلب يتوجه صاحبه به إلى الله ، فإراً من الشيطان وعلى ذلك يكون معنى الاستعاذة :

الاستعاذة : الاستجارة ، ومعنى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أستجير بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يضرني في ديني ، أو يصدني عن حق يلزمي لربي ⁽¹⁾ .

وقد ربط الحق سبحانه وتعالى الاستعاذة بالوسواس الخناس ، فأينما وجد الإنسان وسوسة لجأ إلى الله يذكره ، فالشيطان والرحمن لا يجتمعان في نفس امرئ ، وهذا ما تبينه سورة الناس ، والتي تُسمى هي وأختها (الفلق) المعوذتان وغرض هاتين المعوذتين " تعليم النبي - صلى الله عليه وسلم - كلمات للتعوذ بالله من شرِّ ما يُتقى شرُّه من المخلوقات الشريرة ، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشرِّ ، والأحوال التي تُستتر أفعال الشرِّ من ورائها ، لئلا يُرمى فاعلها بتبعثها ، فعلم الله نبيه هذه المعوذتين ليتعوذ بهما ، وقد ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتعوذ بهذه السور ، ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما ، فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين " ⁽²⁾ .

استمرارية هذا الدواء :

يأتي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم في كتاب الله على هيئة تدل على استمرارية هذا السلاح الرباني ، ووجوب ملازمته للمسلم كلما نخسه الشيطان بوسوسة ، يقول

¹ - جامع البيان - للطبري - م 1 - ج 1 - ص 61 .

² - التحرير والتنوير - لابن عاشور - م 15 - ج 30 - ص 625 .

تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1) ، وكذا في فصلت : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (2) ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (3) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (4) ، فهذه الآيات تأتي كلها بأسلوب الشرط (إما ، إذا) ، والذي يفيد لزوم وقوع جواب الشرط لوقوع فعله ، فمتى أحس الإنسان بنزع الشيطان ومسه ، لجأ إلى ربه يدفع تلك الوسواس والهمزات الحاملة لخطوات الشيطان ، فيخنس الشيطان بهذه الاستعاذة ، وتأتي آيات أخرى على هيئة أخرى تفيد تلك الاستمرارية أيضاً ، يقول تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ (5) ، ويقول : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (6) ، ويقول : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (7) ، ويقول : ﴿ وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (8) ، فالاستعاذة في هذه الآيات تأتي على صيغة المضارعة التي تفيد الاستمرارية في حدوث الفعل ، فالخطاب يقول : كن دائم العوذ بربك من همزات الشياطين ، ومن شر الوسواس الخناس ، ومن الشيطان الرجيم ، لا تفتقر عن ذلك يقول ابن القيم : " فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد ألا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى ، وألا يزال لهجاً بذكره ، فإنه لا يُحَرِّز نفسه من عدوه إلا بالذكر ، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده ، فإذا غفل وثب عليه وافترسه ، وإذا ذكر الله تعالى انخس ... " (9) .

مواطن الاستعاذة :

وقد ذكر الكتاب العزيز مواطن معينة يجدر بكل مسلم أن يلجأ فيها إلى ربه لجوءاً شديداً وهذه المواطن هي :

- 1 - سورة الأعراف ، الآية 200 .
- 2 - سورة فصلت ، الآية 36 .
- 3 - سورة الأعراف ، الآية 201 .
- 4 - سورة النحل ، الآية 98 .
- 5 - سورة المؤمنون ، الآيتان 97 ، 98 . .
- 6 - سورة الفلق ، الآية 1 .
- 7 - سورة الناس ، الآية 1 .
- 8 - سورة آل عمران ، الآية 36 .
- 9 - الوابل الصيب - لابن القيم - ص 50 .

1- **الاستعاذة عند قراءة القرآن** : يقول تعالى : **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** (1)

2- **الاستعاذة عند الغضب** : يقول تعالى : **وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَرْغُ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (2)

3- **الاستعاذة عند تكاثر الوسوس على العبد** : يقول تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** (3)

4- **تعويذ المولود** : يقول تعالى علي لسان مريم بنت عمران - رضي الله عنها - : **... وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** (4)

فهذه أهم المواطن التي ينبغي على العبد أن يستجير بربه عندها ، وإن كانت المواطن أكثر من أربع ، ولكن القرآن أتى منها بجماعها : فقراءة القرآن تمثل الطاعات التي ينبغي على العبد أن يستجير من الشيطان عند الإقدام عليها ، والغضب (النزغ) تمثل المعاصي وطرقها التي يجب على المرء أن يتحصن منها بالله ، والوسوسة تمثل دواعي المعصية وممهداتها والتي ينبغي على المسلم أن يطردها بالاستعاذة ، أما تعويذ المولود فهو يمثل حفظ الله وبركته لكل رزق يهبه الله للعبد ، فهذه أربع : الطاعة ، والمعصية ، والهَمُّ بالشرِّ ، والرزق ، لا يكاد يخلو عبد عن واحدة منها ، فهو في لجوء دائم إلى الله عز وجل .

وقد فصلت السنة النبوية مواطن الاستعاذة من الشيطان بما يجعل العبد دائم اللجوء إلى ربه ، وأسوق هذه المواطن على سبيل الاستشهاد بها دون تفصيلها ، فمطائنها وتفصيلها عند شرح حديث رسول الله - عليه الصلاة والسلام - :

1- **الاستعاذة عند دخول الخلاء** : فعن أنس قال : " كان نبي الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل الخلاء قال اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث " (5)

2- **الاستعاذة عند الجماع** : فعن ابن عباس يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال

1 - سورة النحل ، الآية 98
2 - سورة الأعراف ، الآية 200 .
3 - سورة الأعراف ، الآية 201 .
4 - سورة آل عمران ، الآية 36 .
5 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب : الدعاء عند الخلاء - ح 6322 - ص 532 .

- بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فقضي بينهما ولد لم يضره " (1) .
- 3- **الاستعادة عند سماع نهيق الحمار** : فعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت
ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان ،
فإنه رأى شيطاناً " (2) .
- 4- **تعويذ الأبناء والأهل** : عن بن عباس رضي الله عنهما
قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن
والحسين ويقول إن أبكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق
أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين
لامة " (3) .
- 5- **عند النوم والاستيقاظ منه** : فعن جابر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أوى الرجل إلى فراشه أتاه
ملك وشيطان ، فيقول الملك أختم بخير ، ويقول الشيطان
أختم بشر ، فان ذكر الله ثم نام باتت الملائكة تكلؤه ، فان
استيقظ قال الملك افتح بخير ، وقال الشيطان افتح بشر ،
فان قال الحمد لله الذي رد على نفسي ، ولم يمتها في منامها
(الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا) إلى
آخر الآية ، (الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على
الأرض إلا بإذنه) ، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة " (4)

تعليق على هذا الدواء :

تُظهر الآيات القرآنية في سياق ما بيّننا قبلُ قوة هذا السلاح
في طرد وساوس الشيطان ، ودرء مكائده عن الإنسان ، بحيث
تجعل الاستعادة العبدَ دائم الصلة بربه ، حصيناً به ، ولكننا نرى
اليوم أناساً لا يفترون عن قولهم (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
) و ما يشابهه من كلمات العوذ بالله وذكره ، إلا أن لسان حالهم
يخالف مقالهم فلماذا ؟

1 - المرجع السابق - كتاب الوضوء - باب : التسمية على كل حال وعند الوقاع - ح 141 - ص 15 .
2 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب : خير مال المسلم غنم يتبع به شعف الجبال - ح 3303 - ص 267 .
3 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب : (يرفون) النسلان في المشي - ح 3371 - ص 274 .
4 - صحيح ابن حبان - كتاب الزينة والتطيب - باب : ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء عند استيقاظه من النوم دخل الجنة بقوله - ح 5533 - ج 12 - ص 343 .

ليس المطلوب من المستجير بالله أن يردد كلمات الاستعاذة بحيث لا تتجاوز لسانه فقط ، فهذا إنسان فقد معنى هذه الاستعاذة ، فالاستعاذة - كما بيّنا قبل - طلب الحماية من الله ، واللجوء إليه ، وهذا لا يكون إلا إذا طابق لسان مقال المستعيز لسان حاله ، ذلك أن المطلوب من المستجير بربه أن يملأ ذكر الله صدره وقلبه وكيانه بحيث يضيق على الشيطان مجراه في العبد ، فيربطه ويمنعه من الوسوسة بالباطل ، فإذا طلب العبد من ربه أن يجيره من الشيطان الرجيم بقوله (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فعليه أن يلبي طلب من يجيره بالتزام أوامره واجتناب نواهيه وهذا ما تبينه الآيتان الكريمتان : **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** (1) ، فالاستعاذة يجب أن تقود بدورها إلى السلاح الأقوى الذي سنذكر في أدوية محاربة الشيطان وولايته ، وقد ارتبطت حرب الشيطان بلزوم الاستغفار المذهب للذنوب كما في الحديث فعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن إبليس قال لربه بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم ، فقال الله فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني " (2) .

الاستعاذة وذكر الله :

لا يقف هذا السلاح الرباني عند حدّ لفظة الاستعاذة بالله من الشيطان ، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى دائرة أوسع تضم كل لفظ من شأنه أن يجلب رحمة الله وحفظه وبركته على العبد ، فالذكر بابٌ واسع في شريعة الإسلام ، وألفاظه كثيرة تتنوع بين تسبيح ، وتهليل ، وحمد ، وتكبير ، وحوقة ، واستغفار ، وغيرها ، فهذه كلها ألفاظ وهيئات قولية يحقق قائلها معنى الاستعاذة ، إذ يحصل بقولها اللجوء إلى الله والاحتماء به ، ويقرر المولى عز وجل أن أحد أهداف الشيطان إنساء العبد ذكر الله تعالى ، فيفتخ عليه بهذا الإنساء أبواب الشيطان ، يقول تعالى **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ...** (3) ، فالذاكر لربه - بأي من الأذكار المسنونة - هو طارد للشيطان عن قلبه ، مستعيز بربه من وساوسه .

1 - سورة النحل ، الآيتان 98 ، 99 .

2 - مسند الإمام أحمد - ج 3 - ص 29 - ح 11262 .

3 - سورة المجادلة ، الآية 19 .

ثانياً : قول الحق والخير :

يحاول الشيطان دوماً دفع أعدائه إلى الإثم عن طريق
مكامن ضعفهم ، فهو يتسلط على لسان المرء المتصف بالانزلاق
وسرعة الخطأ ، فيُجري عليه السوء والفحش من القول ، يُغذي
من خلاله ثورة الغضب فيشعلها ، والحق سبحانه في مقابل هذا
يركز على سلاح مضاد لهذا الداء ، فيأمر عباده دوماً بلزوم تزكية
هذا اللسان بقول الخير ، ويحذرهم من قول الزور ، يقول تعالى :
﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ
بَيْنَهُمْ ... ﴾ (1)

" يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ليأمر
عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام
الأحسن ، والكلمة الطيبة ؛ فإنهم إذا لم يفعلوا ذلك نزع
الشیطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ، ووقع الشرّ والمخاصمة
والمقاتلة ، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من
السجود لآدم ، فعداوته ظاهرة بيّنة ؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل
إلى أخيه المسلم بحديدة ؛ لأن الشيطان ينزع في يده ، أي ربما
أصابه بها فعن النبي - صلى الله عليه وسلم - " لا يشير أحدكم
إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده
فيقع في حفرة من النار " (2) . (3)

وهذا فقه جميل من ابن كثير حيث لم يقصر قول التي هي
أحسن على الكلمة ، وكف اللسان ، بل عداها إلى كف اليد وما
تحمل من أداة سوء ، فالشيطان لا يُجري الغضب فقط على
اللسان ، بل يُجره على اليد أيضاً بالسلاح وغيره ، وقد ربط الإمام

¹ - سورة الإسراء ، الآية 53 .

² - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب الفتن - باب
: قول النبي صلى الله عليه وسلم (من حمل علينا السلاح فليس منا) - ح 7072 -
ص 590 .

³ - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 9 - ص 28 ، 29 .

مالك بن دينار بين القول الطيب والعمل الصالح فهما صنوان لا
ينفصمان حيث يقول : " يا هؤلاء : فجاركم كثير ، صغاركم
وكباركم فرحم الله من لزم القول الطيب ، والعمل الصالح ،
والمداومة " (1) .

والله سبحانه وتعالى يأمر بلزوم القول الحسن وإظهاره
للناس درءاً لنزع الشيطان ففي الأعراف يقول : **خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ
الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ...** (2) ، وفي فصلت يقول : **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...
وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (3) ، ولذلك كان منهج النبي - صلى الله عليه
وسلم - درء أي شبهة أو ظن يحيك في النفوس بقوله الحق ، وهذا
ما كان منه لما قلب زوجته صفية ليلاً ، فعن علي بن حسين أن
صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته " أنها جاءت رسول
الله صلى الله عليه وسلم تزوره وهو معتكف في المسجد في
العشر الأواخر من رمضان ، ثم قامت تنقلب فقام معها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا بلغ قريباً من باب المسجد عند
باب أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مر بهما رجلان من
الأنصار ، فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نفذاً
فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلكما ، قال
سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما ذلك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، وإني
خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً" (4) ، يقول الخطابي تعليقا على
هذا الحديث : " في هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر
الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون ، ويخطر
في القلوب ، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من
الريب " (5) .

1 - مواظ الإمام مالك بن دينار - جمع صالح الشامي - ص 36 .

2 - سورة الأعراف ، الآيتان 199 ، 200 .

3 - سورة فصلت ، الآيات 34 - 36 .

4 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة ت - صحيح البخاري - كتاب فرض
الخمسة - باب : ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - ح 3101 - ص
250 .

5 - عالم الجن والشياطين - لعمر الأشقر - ص 166 .

وكما أن المؤمن مطالب بقول الحق، فهو مطالب أيضاً بالكف عن قول الباطل، أو ما لا يلزم من الكلام، " ففضول الكلام والثرثرة بلا داعٍ فهما من منافذ الشرّ التي يسلكها الشيطان إلى صدر الإنسان، وإمساك اللسان عن القول إلا عند اللزوم وبعد تفكير وتدبر يغلق هذا المنفذ في وجه الشيطان، فكم من حرب ضروس سببتها كلمة واحدة، ولقد كان البيت الواحد من الشعر في الجاهلية يُشعل الحروب، ويوقظ الفتن بين القبائل العربية، وحقّ للمؤمن أن يتدبر قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لسيدنا معاذ بن جبل: (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم) (1) " (2).

المجتمع وهذه الوسيلة :

لقد ساهم غياب هذا السلاح الرباني من بين ظهرانينا أيما مساهمة في انتشار غايات الشيطان ومآربه، ومن ثم فساد المجتمع وتفككه وسهولة اختراقه من أعداء الإسلام، فكم من كلمة خبيثة ما كان لها أن تخرج، خرجت فأفسدت وتفاقم شرّها حتى أودى بحياة الكثير، وقطع أواصر الأخوة بين كثير، وكم من شخص استهان بإخراج الكلام ونقله وإشاعته، فكان سهماً في يد أعداء هذا الدين يطعنون به قلب الأمة يقول صاحب الظلال: " **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** " (3) على وجه الإطلاق، وفي كل مجال، فيختارون أحسن ما يقال ليقولوه وبذلك يتقون أن يُفسد الشيطان ما بينهم من مودة، فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخبيثة تفلت، وبالرد السيء يتلوها، فإذا جُوّ الود والمحبة

¹ - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - جامع الترمذي - أبواب الإيمان - باب ما جاء في حرمة الصلاة - ح 2616 - ص 1915، وهو جزء من حديث معاذ الطويل وقال عنه أبو عيسى: حسن صحيح.

² - مجلة هدى الإسلام - منافذ الشيطان إلى صدر الإنسان - أحمد حسنين القفل - العدد الأول - محرم صفر - 1412 هـ.

³ - سورة الإسراء، الآية 53.

والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء ، والكلمة تأسو جراح القلوب ، وتندّي جفافها ، وتجمعها على الود الكريم ، فالشیطان يتلمس سقطات فم الإنسان وعثرات لسانه فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه ، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات ، وتقطع عليه الطريق ، وتحفظ حرم الأخوة آمناً من نزغاته ونفثاته " (1).

ومما يُضاف إلى منع عثرات اللسان - كما سبق - منع عثرات اليد ، وتجنب تواجد علامات الشرّ عليها ، فكم من حادثة قتل سمعنا بها في مجتمعنا ، كان مبدأها تسارع المرء إلى القذف بسلاحه بما ينخس الشيطان فيه ، فلو أننا أمسكنا ألسنتنا وأيدينا عن الشرّ والسوء ، وبادرنا أبدأً إلى الخير والحق لكان هذا مفتاحاً حقيقياً لتغيير المجتمع ، وأجمل ما قيل في هذا المجال حديث الصادق المصدوق - عليه الصلاة والسلام - فعن أبي هريرة قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " (2).

ثالثاً : اجتناب كل ما يجلب الشيطان

وبعد أن يتحلى العبد بكل سلاح يقيه غوائل الشيطان ، يجب عليه أن يتم هذه الحماية الربانية المتكاملة بترك كل ما يجلب الشيطان من ذنوب ومعاصٍ وآثام ، فإن الشيطان يلازم من تقرب إليه بشيء مما يحب ، وسنذكر هنا ما ذكر القرآن العظيم من هذه الأمور :

1- اجتناب الإفك والإثم :

1 - في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 4 - ص 2234 .
2 - موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة - صحيح البخاري - كتاب الآداب - باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره - ح 6018 - ص 509 .

يبين الحق سبحانه أن الشيطان ينجذب لأولاء الذين يتصفون بالإفك المبين والإثم الكبير ؛ فيصبح لهم عوناً وسنداً ، يقول تعالى : **هَلْ أَتَبْتُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ** ⁽¹⁾ " وقوله تعالى (**تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**) قصرٌ لتنزُّلهم على كل من اتصف بالإفك الكثير والإثم الكبير من الكهنة والمنتبهة ، وتخصيصه له بهم بحيث لا يتخطاهم إلى غيرهم " ⁽²⁾ ، ⁽³⁾ ولكننا هنا نتحدث عن خطورة مثل هذه الصفات في جلب الشياطين وحضورها ، والإفك والإثم بابان كبيران يضويان تحتها كل معصية ، فالإفك هو الافتراء والكذب ، وهو منشأ كل كفر وعناد وجدال بالباطل وفساد للعقل ، والإثم هو ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ، وهو منشأ كل رذيلة وفاحشة ومنكر وفساد للقلب .

إذا فهذا سلاح يطهر العقل والقلب من غواية الشيطان ، وهو سلاح تابع في حقيقته لما قبله من أسلحة ، ولما بعده مما سنذكر ، فالمرء لا يستطيع أن يسليخ نفسه عن الإفك والإثم دونما لجوء إلى الله ، وتوبة واستغفار له ، وتحصن بالإيمان ، وغيرها من الأسلحة الربانية .

2- اجتناب قرناء السوء :

وبعد أن ينأى العبد بنفسه عما يحيل عقله وقلبه إلى الضلالة مما تكسب يداه ، يأتي دور السلاح الثاني في ما يجب عليه أن يتجنبه ، وهو أن ينأى بنفسه عن ما يفسد عقله وقلبه ممَّن يحيطون به من رفاق وإخوان ، وهذا سلاح ذو أهمية كبيرة ، فكم للقرين والصاحب من أثر كبير على الإنسان ، وكم هو تعيس إن أطاع قرين السوء فأرداه يوم القيامة ، وهذا ما يصوره لنا الحق سبحانه في مشهد واقع لا محالة تدور أحداثه يوم المحشر بين

¹ - سورة الشعراء ، الآيات 221 - 223 .

² - إرشاد العقل السليم - لأبي السعود - ج 6 - ص 268 .

³ - وقد سبق لنا الحديث عن هذه الآية وعن الكهنة عندما تحدثنا عن أولياء الشيطان في الفصل الثاني من هذا البحث .

عبد بئیس و بین شیطان من شیاطین الإنس - إن كان هذا العبد
إنسیاً - أو الجن - إن كان هذا العبد جنیاً - یقول تعالیٰ : ﴿ **وَيَوْمَ
يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ
الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا *
لَقَدْ أَصَلَّنِي عَنِ الذُّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا** ﴾ (1) ، من المشهور عند علماء التفسیر أن
الظالم الذي نزلت فيه هذه الآية هو عقبة بن أبي معيط وأن فلانا
الذي أضله عن الذكر أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف وذكر
بعضهم أن في قراءة بعض الصحابة ليتني لم أتخذ أبا خليلا وهو
على تقدير ثبوته من قبيل التفسیر لا القراءة وعلى كل حال
فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب فكل ظالم أطاع خليه
في الكفر حتى مات على ذلك يجري له مثل ما جرى لابن أبي
معيط وما ذكره جلّ وعلا في هذه الآيات الكريمة جاء موضحا في
غيرها فقوله ويوم يعض الظالم على يديه كناية عن شدة الندم
والحسرة لأن النادم ندما شديدا يعض على يديه وندم الكافر يوم
القيامة وحسرتة... وما ذكره جلّ وعلا هنا من أن أخلاء الضلال من
شیاطین الإنس والجن یضلون أخلاءهم عن الذكر بعد إذ جاءهم
ذكره في غير هذا الموضع كقوله تعالیٰ ﴿ **وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ
فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ** ﴾ (2) وقوله تعالیٰ ﴿ **وَقَيْضًا لَهُمْ
فُرْنَاءَ فَرَزَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ (3) وقوله
تعالیٰ ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْتَرْتُمْ
مِنَ الْإِنْسِ** ﴾ (4) وقوله تعالیٰ ﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا
وَكُبَرَاءَنَا فَأَصَلُّنَا السَّبِيلَا** ﴾ (5) وقوله تعالیٰ ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا**

1 - سورة الفرقان ، الآيات 27-29.

2 - سورة الأعراف ، الآية 202 .

3 - سورة فصلت ، الآية 25 .

4 - سورة الأنعام ، الآية 128 .

5 - سورة الأحزاب ، الآية 67 .

ادَّارِكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ
 أَصْلُونَا فَايْتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ ⁽¹⁾ وقوله تعالى ﴿ وَلَوْ
 تَرَىٰ إِذِ الطَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى
 بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا
 أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ⁽²⁾ الآيات إلى غير ذلك من الآيات وقوله
 تعالى هنا ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴾ الأظهر أنه من
 كلام الله وليس من كلام الكافر النادم يوم القيامة والخدول صيغة
 مبالغة والعرب تقول خذله إذا ترك نصره مع كونه يتربص النصر
 منه " ⁽³⁾ .

ضرورة هذا السلاح :

تبرز ضرورة هذا السلاح في زمان تكاثر الفتن ، وانتشار
 أعداء الله في كل مكان ، وحيازتهم على القوة الدنيوية ، في
 مقابل ضعف المؤمنين وتشنت قواهم ، ففي هذه الحالة يعتز
 الكافر بكفره ويرقى الدعوى ويصبح أصيلاً شريفاً ويشار إليه
 بالبنان ، فيتهافت عليه الخلان من كل مكان طلباً لما لديه من مال
 ومكان ، فيأتي دور هذا السلاح ، سلاح الرفقة المؤمنة ، واجتناب
 قرناء السوء ، كي تكون حمىً لأهل الإيمان من براثن الأشرار ،
 فالمرء بإخوانه يتقوى ، وإنما تأكل الذئب من الغنم القاصية ،
 فنوصي هنا كل عبد مؤمن بالله ، كافر بالشیطان أن لا ينأى بنفسه
 عن إخوانه فيسيح في طرائق إخوان الشياطين ، بل عليه أن
 يعتصب ويعتصم به ، فالوحدۃ قوة والتفرق ضعف .

المطلب الثاني : وسائل محاربة الشيطان وولايته :

قلنا إن الشيطان هو كل عاتٍ متمرد على أوامر الله من
 الجنِّ والإنس ، وكذا الطاغوت يندرج في معنى الشيطان إلا أنه

¹ - سورة الأعراف ، الآية 38 .

² - سورة سبأ ، الآية 31 .

³ - أضواء البيان - للشنقيطي - ج 6 - ص 46 ، 47 .

يختص بالتمرد على ألوهية الخالق عز وتعالى ، ثم قلنا إن أولياء الشيطان هم كل من سار على دربه ، ونهج نهجه ، واتبع أمره في خلاف أمر الحق سبحانه ، ومنهم من يبقى له ولياً ذليلاً ، ومنهم من يرتقي ليصبح شيطاناً عتياً ، ومن خلال هذه التعريفات ندرك أن محاربة مثل هذه الأمراض لا يكون إلا بإقامة شرع الله والاستقامة عليه ، ومحاربة كل من دعى إلى تلك الولاية والتمرد على أوامر الله ، وسنذكر تلك الوسائل - كما بينها كتاب الله - فيما يلي :

أولاً : التبرؤ من الشيطان والإيمان بالرحمن :

يعلن المولى سبحانه وتعالى أن هذه الوسيلة هي عروة الله الوثقى ، وحبله المتين الذي لا ينقطع بمن تمسك به ، فهو أقوى الأسلحة لمن أراد النجاة وطلب السلامة يقول تعالى : ﴿ ... فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1) وقد مررنا ببيانها في غير موضع في ثنايا البحث . إذا فأول خطوات محاربة الشيطان هي التبرؤ من ولايته ، ثم تولي الله سبحانه وتعالى ، فالإيمان عاصم للعبد من الزلل في الشرك وغيره من أمراض القلوب كالرياء وعدم إخلاص النية لله " فالشيطان يوسوس للمسلم حتى يشرك في عمله وفي قوله وفي عبادته ، والإخلاص يعصم المسلم من وساوس الشيطان ويطارده ، ليفوت عليه غرضه في الإغواء والإغراء والرياء ، لأنه يوجه صاحبه إلى معاداة الشيطان والتمرد على أوامره وهواه ، ويعمل قاصداً بعمله وجه الله ورضوانه مرغماً أنف الشيطان وطارداً له ، ويوم يغفل المسلم عن الإخلاص يتسلط الشيطان عليه فتضعف إرادة المقاومة عنده ، ويتغلب الشيطان عليه ، لأن الإخلاص لله يقوي صاحبه على الشيطان فلا يقدر عليه ... بل إن الشيطان - أعاذنا الله منه - أعلن أنه لا قدرة له على إغواء المؤمنين المخلصين ، قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ يَا أَعْوَيْتَنِي لِأَرَيْتَنِي لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (2) " (3) ، وقد بين الحق سبحانه أن الإيمان أقوى من الشيطان وإغوائه ، لمن تسلح به حق التسليح ، حيث يقول : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا

1 - سورة البقرة ، الآية 256 .

2 - سورة الحجر ، الآيتان 39 ، 40 .

3 - تزكية النفس - لمحمد أبو فارس - ص 52 ، 53 .

سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ⁽¹⁾ " يعني بذلك أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (وعلى ربهم يتوكلون) أي فيما نابهم من مهمات أمورهم " ⁽²⁾ فالذين يتوجهون إلى الله وحده مخلصين له لا يملك الشيطان أن يسيطر عليهم مهما أغواهم ؛ لأن صلتهم بالله تعصمهم من الانسياق معه ، وقد يخطئون ولكنهم لا يستسلمون فيطردون الشيطان عنهم ويتوبون إلى الله من قريب ⁽³⁾ .

ويقترن بهذه الوسيلة أمر لا بد للعبد منه كي يستمر على إيمانه ، وهو ما قرنه الله بالإيمان في الآية السابقة : التوكل على الله ، أي طلب العون من الله في حماية الإيمان عليه فلا يتفلت منه ، وهي معية مطلوبة لكل مؤمن لا تنفك عن الإيمان بحال فقد حُكي عن أحد علماء السلف أنه قال لتلميذه : " ما تصنع بالشیطان إذا سؤل لك الخطايا ؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده . قال هذا يطول ، رأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها ، أو منعك من العبور ما تصنع ؟ قال : أكابده جهدي وأرده . قال : هذا أمر يطول ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك " ⁽⁴⁾ .

ثانياً : قتال أولياء الشيطان :

فإذا استقر الإيمان في القلب ، واتصل العبد بربه ، زاد إبليس وأتباعه حربهم على المؤمنين ، وأشهروا لهم كل سلاح ، فوجب على المؤمنين أن يكفوا شر هؤلاء المجرمين ويبتلوا كيدهم بإظهار سلاح هو أقوى من كل أسلحة الشيطان ، وهو سلاح يضاد كيد الشيطان لإيقاع الناس في الكفر وولايته ، هذا السلاح هو قتال أولياء الشيطان ، ودرء شرورهم عن أهل الإيمان ، فكل منهج في الأرض له أتباع يذودون عنه ، ويذبون عنه كيد الكائدين ، يقول تعالى : **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً** ⁽⁵⁾ " فالؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه ، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان ، ثم هيّج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه

¹ - سورة النحل ، الآيات 98 ، 100 .

² - جامع البيان - للطبري - م 8 - ج 14 - ص 212 .

³ - انظر : في ظلال القرآن - لسيد قطب - ج 4 - ص 2194 .

⁴ - تلبس إبليس - لابن الجوزي - ص 48 .

⁵ - سورة النساء ، الآية 76 .

بقوله ﴿ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ
صَعِيفاً ﴾ (1) .

وهذه الوسيلة هي من عزائم الأمور ، لا يقوى عليها إلا من تسلح بالوسيلة السابقة ، ويتحدث صاحب الضلال عن هذه الوسيلة فيقول : ثم لمسة نفسية تطالب باستنهاض الهمم واستجاشة العزائم ، وإنارة الطريق ، وتحديد القيم والغايات والأهداف التي يعمل لها كل فريق (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) فالذين آمنوا يقاتلون في سبيله لتحقيق منهجه ، وإقرار شريعته ، وإقامة العدل بين الناس لا تحت أي عنوان آخر ، اعترافاً بأن الله وحده هو الإله ، ومن ثم فهو الحاكم ، (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) لتحقيق مناهج شتى غير منهج الله ، وإقرار شرائع شتى غير شريعة الله ، وإقامة قيم شتى غير التي أذن بها الله ، ورصد موازين شتى غير ميزان الله ، ويقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية الله وحمايته ورعايته ، ويقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشيطان بشتى آرايتهم وشتى مناهجهم ، وشتى شرائعهم ، وشتى طرائقهم ، وشتى قيمهم ، وشتى موازينهم ... فكلهم أولياء الشيطان ، ويأمر الله الذين آمنوا أن يقاتلوا أولياء الشيطان ولا يخشوا مكرهم ولا مكر الشيطان (2) .

مكانة هذه الوسيلة في يومنا الحاضر :

تحارب هذه الوسيلة غايات محددة للشيطان هي إيقاع الناس في الكفر ، والتحاكم إلى الطواغيت ، وتلكما مصيبتان عمّت بهما البلوى في زماننا هذا ، فإن لم يكن المجتمع كافراً مشركاً بالله ، فهو يتحاكم إلى غير منهجه - إلا من رحم ربي - وما هذا العلو لتلك الغايتين الشيطانيتين إلا لغياب هذه الوسيلة الهامة لحرب الشيطان وأوليائه ، فلما غيب الجهاد عن ساحة أمتنا ، وجد إبليس فيها كل متنسع لينشر مناهجه الكفرية ، وغاياته الطاغوتية في مجتمعات الأرض جمعاء ، دونما رادع يردعه ، أو زاجر يزجره ، أو حق يدمغه ، ولقد كانت إزالة العوائق عن طريق الدعوة أحد مسوِّغات الجهاد في سبيل الله ، فإن وقف الطاغوت أمام الحق لا يريد لدين الله الوصول إلى أهل الأرض ، وجب إزالة هذا الطاغوت كي لا يعم الكفر ، ويرفع غير منهج الله ، ومن ثم ينتشر الظلم ، ويسود الفساد ، فنصل إلى حالة هي شبيهة بما نحن عليه اليوم في عالم سيطر فيه المجرمون ،

1 - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج 4 - ص 160 .

2 - في ضلال القرآن - لسيد قطب - ج 2 - ص 709 .

وعاثوا في مشارق الأرض ومغاربها فساداً ، فنسأل الله أن يعيد هذه الوسيلة الربانية إلى نصابها وبشرطها كي يعم الحق والعدل في عالم اليوم والغد .

ثالثاً : كشف مخططات الشيطان :

يقول الحق سبحانه : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾⁽¹⁾ ، فبعد أن فضّل الحق سبحانه مسالك

الشيطان ، وحذر منها في ثنايا كتابه العزيز ، يجمّل طريقة حسنة في إتمام هذا التحذير ، ألا وهو بيان طريق الحق ، وصراط الله المستقيم ، فمن عرف تلك الطريق وسار عليها اجتنب بالبدية طريق الشيطان ، فبيان سبل الشيطان ، وكشف مخططاته ثم اتباع صراط الله طريقة حسنة - كما ذكرنا - في محاربة غواية إبليس وجنده ، وقد نبه إلى هذه السبيل الدكتور عمر الأشقر حيث يقول : " على المسلم أن يتعرف على سبله ووسائله في الإضلال ، ويكشف ذلك للناس ، وقد فعل ذلك القرآن ، وقام بهذه المهمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - خير قيام ، فالقرآن عرفنا الأسلوب الذي أغوى الشيطان به آدم ، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - كان يعرف الصحابة كيف يسترق الشيطان السمع ، ويُلقي بالكلمة التي سمع في أذن الكاهن أو الساحر ومعها مائة كذبة ، يبين ذلك لهم كي لا ينخدعوا بأمثال هؤلاء ، ويبين لهم كيف يوسوس لهم ويشغلهم في صلاتهم وعبادتهم ، وكيف يحاول الشيطان أن يوهمهم بأن وضوءهم قد فسد ، والأمر ليس كذلك ، وكيف يفرّق بين المرء وزوجه ، وكيف يوسوس للمرء ، فيقول له : من خلق كذا ؟ ومن خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ " ⁽²⁾ .

ولعل هذا السبيل - الذي هو كشف مخططات الشيطان - هو ما أطمح إلى تحقيقه من خلال هذا الجهد المتواضع، الذي حاولت فيه - قدر استطاعتي - كشف تلك المخططات، وتوضيحها كما بيّنها الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، كي يكون هذا البحث - إن شاء الله - نبراساً يُبرز طرائق الشيطان، ويكشف حائله، في قالب علمي بين المعالم، واضح الأركان .

¹ - سورة يس ، الآيتان 60 ، 61 . .

² - عالم الجن والشياطين - لعمر الأشقر - ص 161 .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وتُسرح بنور علمه
الظلمات ، الحمد لله الذي هدانا بنوره ، وفتح علينا من بركات
رحمته ؛ فيسّر لنا تمام هذا البحث وكتابه ، وأسبغ علينا من نعمه
ظاهرة وباطنة ، فها نحن أولاء نسطر كلماته الأخيرة ، ونخلص
منه بعد البيان بالنتيجة ، فهذا أوان نظم ما انتشر في بيئات من
الدُّرر ، وطيبات من الثمر مما خلص إليه الباحث بعد طول السفر
بين الكتب والنصائح والفكر ، أما بعد فقد انتظم هذا البحث في
خمسة فصول اجتمعت كلها تحت لوائه المسمّى : **الشیطان ،
خطواته وغاياته - دراسة قرآنية موضوعية ،**
وقد جاءت الفصول والنتائج على النحو التالي :

**الفصل الأول : وهو بعنوان الشيطان تعريفه
ونظائره وصفاته :**

- وقد بحثت فيه حول تعريف لفظة الشيطان ونظائرها ،
وورودها في سياق آيات القرآن ، وحول أصناف الشيطان
وصفاته وقد كانت نتائجها على النحو التالي :
- 1- وردت لفظة الشيطان ونظائرها (الطاغوت ، إبليس) مائة
وثماني مرات في كتاب الله العزيز مما يدل على أهمية
الموضوع الذي يندرج تحت لواء هذه الألفاظ .
 - 2- تم تعريف لفظة الشيطان ونظائرها من منظور قرآني .
 - 3- يختص الطاغوت من الشياطين بتمرده وتعديه على أخصّ
خصائص الألوهية ألا وهي الحاكمية والتشريع .
 - 4- ورود لفظة الشيطان ونظائرها بنسبة أكبر في القرآن
المكي مما يدل على أهمية هذا الموضوع في جانب التربية
الإيمانية والبناء العقائدي للمسلم .
 - 5- الشياطين تتصنف في درجات ، منها العاتي المتمرد عموماً
، ومنها من يعتو على حكم الله خاصة ، ومنها من وكل بكل
إنسان لا يفارقه ما حيّ .
 - 6- الشياطين منهم الإنسي كما أن منهم الجنّي على حد سواء .
 - 7- شياطين الجن مخلوقة من نار ، وهذه الطبيعة بخفائها تثير
الرعب والخوف لدى الإنس ، أما شياطين الإنس فمخلوقون
من طين .
 - 8- يقرن الله تعالى صورة الشيطان بالقبيح من الأشياء كي
ينفر العباد منه .

- 9- الكبر هو أول صفات الشيطان ، وهي التي اكتسبها إبليس فدفعته إلى الكفر ، فهو - أي الكبر - رأس كل شر .
- 10- الطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وعصيان الله تعالى ، وتجاوز الحد في المعصية صفات لصيقة بالشياطين ، ولكنها في نفس الوقت ضعيفة أمام الحق خذولة لأتباعها .
- أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان : عداوة الشيطان وأولياؤه :**

- وقد تناولت فيه بالبحث أصل العداوة بين إبليس وأتباعه وشذتها ، وكيف تحصل ولاية الشيطان وعبادته ، ومن هم أولياء الشيطان ، وقد جاءت نتائجه على النحو التالي :
- 1- العداوة بين الشيطان وبين الإنس والجن ممن لا يوالونه ثابتة أصيلة منذ رفض إبليس أبو الشياطين السجود لآدم .
- 2- يخصُّ الشيطان آدم وذريته بعداوة دفيئة إذ إن رفض إبليس أمر ربه بالسجود لأبي البشر كان منشأ تلك العداوة بدافع الكبر والعلو من إبليس .
- 3- ومن بين هؤلاء الإنس يتبوأ الأنبياء المرتبة الأولى في مواجهة عداوة الشياطين ، إذ هم أقوى الناس إيماناً وأكثرهم غيظاً للشيطان لأنهم ينشرون دعوة الرحمن .
- 4- استمرار هذا النوع من العداوة حتى بعد انقضاء فترة الأنبياء ، وذلك مع ورثتهم من حملة العلم ، ومع كتاب الله العزيز .
- 5- أولياء الشيطان هم أحباؤه ونصراؤه على باطله ، وإذا زاد الولي في نصرته للشيطان فعمل عمله من الغواية والإضلال صار شيطاناً .
- 6- عبادة الشيطان وعبدة الشيطان : هذا المصطلح لا يقتصر على فئة صغيرة جداً من البشر - كما أراد له أولياء الشيطان ذلك - بل كل طاعة للشيطان في معصية الرحمن هي عبادة له ، وقد استعمل القرآن هذا المصطلح بشكل واضح في غير آية من كتابه .
- 7- عبادة الشيطان منقصة ذميمة تلتصق بشكل وثيق باليهود ؛ إذ هم أربابها وأهلها منذ القدم ، والله يصفهم بها في كتابه .
- 8- أتباع الشيطان وأولياؤه كُثُر في الدنيا والآخرة ، ويحمل الكفار والمشركون لواء هذه الولاية ، وأقربهم إلى الشيطان ولاية اليهود والمنافقون والكهنة والسحرة والمنجمون .

9- الجدل المذموم ، وإثارة الشبهات حول الحق في عقول الكثير والاعتزاز بالباطل على المؤمنين من جهة ، والخوف من الشياطين من جهة أخرى هي صفات أولياء الشيطان .

أما الفصل الثالث فقد كان بعنوان: خطوات الشيطان :

- وقد ناقشت فيه التعبير القرآني " خطوات الشيطان " من حيث دقة التعريف وبلاغته ، ثم تناولت مداخل الشيطان إلى النفس ووسائله في خطابها ، ثم تحدثت عن تلك الخطوات كما بينها القرآن ، وقد جاءت نتائجه على النحو التالي :
- 1- هذا التعبير القرآني اتخذ مفاهيم غير واضحة عند العلماء في القديم والحديث .
 - 2- خطوات الشيطان تعبير قرآني ذو بلاغة جميلة ، حيث يحمل في ثناياه رسماً واضح المعالم لتدرج الشيطان في غوايته ، بدءاً ببواعث المعصية في النفس حتى السقوط فيها ثم الموت عليها .
 - 3- ضرورة معرفة هذا التعبير القرآني وغيره من التعبيرات على وجهها الصحيح ، حتى لا نسمح بالتهاون بخطوات الشيطان وبواعث المعصية في النفس ، فهي السبب في كل شر بعده .
 - 4- خبت الشيطان حيث يتدرج في غوايته فيأتي أعداءه من حيث لا يشعرون إلا من تحصن منهم بالأسلحة الإيمانية الوثيقة .
 - 5- أثبت البحث أن الوسوسة ليست خطوة من خطوات الشيطان ، بل هي وسيلة خطاب خفية ذات تأثير سريع على النفس ربما لا يشعر به الكثير ويحمل الشيطان من خلالها خطواته إلى نفس الإنسان فهي من أخطر وسائل الشيطان في إلقاء سمومه إلى النفس .
 - 6- حاول شياطين الإنس من علماء النفس الغربيين إيهام الناس أن الوسوسة قهراً نفسي قد لا يستطيع الإنسان مقاومتها ، ليبرروا السقوط في المعصية ، والحق أن الوسوسة لا تسلب الإرادة ، بل هي وسيلة ضعيفة لمن عاجها بالاستعاذة واللجوء إلى الله .
 - 7- الإيحاء بالكلام الخفي أو الكتاب هو من وسائل الشيطان في خطاب أعدائه وهذه من الوسائل الخفية التي لا ينتبه إليها الكثير ، فهي تتسلل عبر الكتب والموروثات عن الأجداد .

- 8- الخطاب الصريح من وسائل الشيطان في خطاب أعدائه ، والأغلب فيه أن يكون بين الإنس بعضهم مع بعض ، وبين الجن بعضهم مع بعض .
- 9- الكبر والعجب ، وحب الخلود ، وحب الملك هي المكامن الضعيفة في النفس والتي يدخل منها الشيطان على النفس .
- 10- أخطر خطوات الشيطان هو تزيين الباطل وإلباسه صورة حسنة في عين أعدائه ، والشيطان يستعمل في ذلك أدوات الكذب ، والحلف ، والوعد الكاذب .
- 11- إنساء الحق وعبادة الله وإشغال الناس عنها بالملهيات خطوة من خطوات الشيطان .
- 12- يركز الشيطان في خطواته على تزيين الدنيا وحب الخلود فيها وطول الأمل لدى العبد .
- 13- يأتي الشيطان أعدائه من زاوية تخويفهم من فقدان ما حببهم فيه ، فيوهمهم بأن الإنفاق يجلب الفقر ، والجهد يجلب الموت وهكذا .
- 14- الغضب خطوة من خطوات الشيطان ، وهي تتمثل في ثلاث مراحل تبدأ بالهمز وهو الغضب اليسير ، ثم النزغ وهو شدة الغضب ، ثم الأز وهو التعصب الأعمى .
- 15- مسّ الشيطان للإنسان ثابت في الشرع وهو في كتاب الله على شكلين : الأول مسّ نفسي بإثارة المخاوف والاضطرابات النفسية حتى توصل إلى الجنون ، والثاني مسّ جسدي وهو ما يحصل للمصروع .
- 16- تعمل شياطين الإنس على الشكل الأول من أشكال المسّ ، فتساهم بشكل كبير في إثارة الضغوط في نفوس أعدائهم .

وأما الفصل الرابع فقد كان بعنوان : غايات الشيطان :

- وقد تحدثت فيه عن غايات الشيطان في أعدائه ، وقسمتها إلى غايات عامة ، وأخرى فرعية ، وقد جاءت نتائجها على النحو التالي :
- 1- غايات الشيطان هي ما يريد الشيطان لأعدائه من وقوع في المعصية واكتساب الإثم وهذا يكون بالزلل الذي هو النقطة الفاصلة بين خطوات الشيطان وغاياته .
- 2- قد تكون الغاية الشيطانية باعتبار غيرها خطوة ، فتؤدي بدورها إلى السقوط في غيرها من غايات .

- 3- يهدف الشيطان بغوايته للناس إلى نشر السوء والفحشاء والمنكر بينهم ، وإلى إيقاعهم في الكفر ، وإلى جعلهم عبيداً له يصدون عن سبيل الله ، ثم في النهاية يصل بهم إلى غاية الغايات وهي إبعادهم عن الجنة وإيلاجهم في النار .
- 4- يسعى الشيطان إلى إيقاع الناس في الكفر عن طريق جعلهم يتحاكمون إلى الطاغوت ، وعن طريق جعلهم يفترون على الله الكذب ، وعن طريق السحر ، وهذه الغايات الثلاثة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باليهود ، وعن طريق التنجيم وطلب معرفة الغيب أيضاً .
- 5- يسعى الشيطان دوماً إلى إبعاد الناس عن الصلاة وعن ذكر الله .
- 6- قتل الناس بغير حق غاية شيطانية ، وكلما زاد القتل في الناس زاد الشيطان رضياً عن أوليائه .
- 7- التلوي يوم الزحف والفرار من المعركة دون محترز شرعي غاية خطيرة للشيطان وخصوصاً في زمان قوة أهل الباطل .
- 8- يستغل الشيطان المال الذي هو عصب الحياة ليحمله غاية من غاياته بكسبه من طريق الحرام وإنفاقه في غير مرضاة الله ، والإكثار من إنفاقه فيما لا يلزم ، والبخل به عن دين الله ودعوته .
- 9- يسعى الشيطان إلى إفساد الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها فأمرهم بتغييرها في كل شأن من شؤون الحياة ، وخاصة في دينهم ، وخلقهم بحيث يأمرهم بالتمرد على هذه الخلقة وتغييرها بما يسمى اليوم بعمليات التجميل التي لم يرخص بها الشارع الحكيم .
- 10- يهدف الشيطان في أخطر غاياته إلى تمزيق لحمة المجتمع الإسلامي ونشر الرذيلة والفحشاء فيه ، بل إن ذلك هدفه في سائر مجتمعات الأرض ، وذلك عن طريق الخمر والقمار ، واستغلال المرأة بكشف عورتها ، والزنا ، والتبني .
- 11- يحاول الشيطان إدخال الخور والخوف على مجموع المسلمين عن طريق غايتين شيطانيتين هما : التناجي بالإثم ، والاستهزاء بالمؤمنين .

أما الفصل الخامس فقد كان بعنوان : عواقب اتباع الشيطان ووسائل محاربهه :

وقد تناولت فيه عواقب اتباع الشيطان في الدنيا والآخرة ، وكيفية محاربة غوايته ، وقد جاءت نتائجه على النحو التالي :

- 1- يبين الحق سبحانه حتمية العقاب لاتباع الشيطان ؛ فهم لا يتركون سدى لا في الدنيا ولا في الآخرة .
- 2- يعيش وليُّ الشيطان في دنياه شقيًّا ، وحياته مملوءة بالضيق والهموم ، وهذا ما ينعكس بدوره على تفكيره في هذه الدنيا فيصيبه القلق والاضطراب النفسي وعدم الطمأنينة ثم لا يأخذ معه من هذه الدنيا شيئاً .
- 3- يُحشر أتباع الشيطان معه يوم القيامة كما كانوا معه في الدنيا ، ثم يزدادون حسرة إلى حسرتهم حين يتبرأ الشيطان منهم ومن ولايتهم ، ثم يُختم هذا المشهد بأن يسوق إبليس أتباعه إلى جهنم ليخلدوا فيها أجمعين .
- 4- خطوات الشيطان وغاياته أمراض تصيب العبد فمنها ما هو الخطير كالكفر والتحاكم إلى الطواغيت ، ومنها ما هو دون ذلك كارتكاب المحرمات التي لا تخرج من الملة ، ومنها ما هو خفيٌّ هيِّن ولكنه ملازم للعبد كتلك الخطوات ما قبل الزلل من تزيين وإنساء وتمنية .
- 5- يبدأ العبد في حربه ضد الشيطان بالعلاج الوقائي من بواعث المعصية فيحاربها بلزوم اللجوء إلى الله بالاستعاذة ، ومداومة الذكر .
- 6- الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فيوسوس بالخطوات من موقع قوة ، والذكر يجري في قلب العبد فيضيِّق على الشيطان مجاربه حتى يمنعه من الوسوسة .
- 7- قول الحق وفعل الخير سلاح قوي في مواجهة الشيطان الذي ما يفتؤ يقف على لسان العبد ليقعه في الزلل ، وعلى يده ليقعها في ارتكاب الجرم .
- 8- من أسلحة محاربة الشيطان اجتناب كل ما يجلبه ، وخاصة المعاصي التي تقرب من طريق الشيطان ، والتزام الرفقة الصالحة .
- 9- الإيمان بالله والتبر من الشيطان سلاح كل من أراد أن يخرج من ولاية الشيطان وعبادته .
- 10- إذا استشرى خطر أولياء الشيطان وزاد بغيهم على أمة الإسلام فيجب أن يُؤخذوا بسلاح القتال لتقطع أصولهم من جذورها وتُعاد الهيئة لأمة الإسلام .
- 11- من الوسائل الطيبة في محاربة الشيطان كشف مخططاته وبيانها للناس كما فعل كتاب الله عز وجل ، وكما فعل نبينا - صلى الله عليه وسلم - وكما يفعل العلماء الأجلاء في كل زمان .

توصيات البحث :

يوصي الباحث :

- 1- علماء الأمة الإسلامية ، ومرَّبِّي الأجيال فيها ، والقائمين على وضع المناهج التعليمية بإبلاء قصة آدم وإبليس اهتماماً أكبر في دروسهم ومناهجهم وذلك سيراً على الطريقة القرآنية ، ولما في هذه القصة من أهمية بالغة في إبراز أصل العداوة القائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بين إبليس وجنده من جهة وبين آدم وذريته من جهة أخرى ، فإن إدراك عمق هذه العداوة يدفع إلى شدة اجتناب الشيطان على شتى المستويات .
- 2- علماء الأمة ومفكرها باستقاء مصطلحاتهم من النص القرآني وأخذها كما أرادها الله - على قدر جهدهم - فقد أبرز هذا البحث أن عبادة الشيطان بمفهومها القرآني تنتشر بشكل كبير في عالمنا اليوم ، ولا غضاضة في استعمال ما استعمله الله عز وجل ، فلا يخجل الواحد منا بوصف اليهود مثلاً أو النصارى بأنهم عبدة الشيطان ، فليس عبدة الشيطان طائفة صغيرة محدودة تقتصر على بضعة أشخاص في عالمنا العربي كما سمعنا منذ سنوات وعلى لسان بعض علماء الأمة .
- 3- بالاعتناء الشديد من قبل الدعاة بالتعبير القرآني " خطوات الشيطان " وبيان أن تلك الخطوات التي حذر الله منها وتوعد متبعيها لا تقتصر على ارتكاب المعصية ، بل هي تبدأ من دواعي تلك المعصية ، فلا يجب أبداً الاستهانة بدواعي المعصية ومقدماتها فهي في الخطورة سواء .
- 4- بسلوك الطريقة القرآنية في التنفير من الكفار والمجرمين والطغاة حيث يربطهم القرآن بلفظة شنيعة الصورة ، منقرة لدى الطبع البشري ألا وهي لفظه بحثنا هذا ، لفظه الشيطان ، فلا يتردد الدعاة بوصف اليهود مثلاً بأنهم شياطين ، وبوصف المنجمين ولاعبي القمار وشاربي الخمر بأنهم أولياء للشيطان ، فهذا سبيل حسن في التنفير من مثل هؤلاء الناس ومن مثل هذه الآثام .
- 5- وأختم هذه الوصايا بوصية ذات أهمية خاصة بالنسبة لأهلنا المرابطين على ثغور أمة الإسلام في فلسطين ، فنحن في هذه الأرض نواجه قوماً تبين من البحث أنهم يجمعون أخطر صفات الشيطان وأكثرها جلياً للفساد على العالمين وهي : الكفر بالله ، والتحاكم إلى الطواغيت ، والافتراء على الله ، والتعامل بالسحر ، فتلك صفات شديدة الوقع على العالم

بأسره ، ولا يردّها ولا يوقف أصحابها عند حدّهم إلا وسيلة
إيمانية قوية الوقع أيضاً ألا وهي قتال أعداء الله ودفع طغيانهم
بإظهار الغلظة عليهم ، فتتواصى جميعاً على مواصلة الجهاد
في سبيل الله حتى دحر هذه الشياطين وكتبها بإذن الله
ومعيته فإنه نعم المولى ونعم النصير .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية
سورة البقرة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
217 , 75 , 74	14	وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا	1
67	30	قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها	2
123 , 26 , 24	34	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم	3
169 , 159	36	- فأزلهما الشيطان عنها	4
177	80	وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة	5
162	81	بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته	6
25	89	ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ..	7
, 179 , 118 202	102	واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان	8
26	146	الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	9
224	166	إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا	10
224	167	وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة	11
, 92 , 37 , 175	168	يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً	12
, 162 , 101 175	169	إنما يأمركم بالسوء والفحشاء	13
130	212	زين للذين كفروا الحياة الدنيا	14
17 , 7	256	لا إكراه في الدين	15
165 , 72	257	الله ولي الذين آمنوا	16
143	267	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم	17
142	268	الشیطان يعدكم الفقر ويأمركم	18

		بالفحشاء	
153 , 152	275	الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم	19

سورة آل عمران

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
56	31	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني	1
231	36	فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى	2
177	75	ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ..	3

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
177	78	وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب	4
145	145	وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله	5
144	152	ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه	6
188 , 160	155	إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان	7
144 , 86	175	إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه	8

سورة النساء

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
193	37	الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل	1
193	38	وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر	2
16	51	ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت	3
171 , 7	60	ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا	4

30	76	الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله	5
165	116	إن الله لا يغفر أن يشرك به	6
165 , 54 , 14	117	إن يدعون من دونه إلا إناثاً	7
165 , 64	118	لعنه الله	8
221 , 140	119	ولأصلنهم ولأمنينهم	9
221 , 140 , 32	120	يعدهم ويمنيهم	10

سورة المائدة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
187	27	واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق	1
187	28	لئن بسطت إلي يدك لتقتلني	2
187	29	إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك	3
187	30	فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله	4
66 , 63	49	وأن احكم بينهم بما أنزل الله	5
172	50	أفحكم الجاهلية يبغون	6
173 , 53	60	قل هل أنبئكم بشر من ذلك	7
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
46	67	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك	8
204 , 202	90	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر	9
, 202 , 186 204	91	إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة	10

176	103	ما جعل الله من بحيرة	11
128	105	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم	12

سورة الأعراف

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
35	12	قال يا إبليس ما منعك أن تسجد	1
26	13	قال فاهبط منها	2
105 , 166	16	قال بما أغويتني	3
, 103 , 68 , 64 135	17	ثم لآتينهم من بين أيديهم	4
, 219 , , 28 225	18	قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً	5
, 123 , 109 206 133	20	فوسوس لهما الشيطان ليبيد لهما	6
133	21	وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين	7
201 , 42 , 38	22	فدلاهما بغرور	8
206 , 23 , 22	27	يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان	9
163	28	وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا	10
52	30	فريقاً هدى	11
240	38	قال ادخلوا في أمم قد خلت	12

27	40	إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها	13
52	175	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا	14
69	179	ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس	15
236	199	خذ العفو وأمر بالعرف	16
, 230 , 149 236 , 231	200	وإما ينزغناك من الشيطان نزغ	17
, 230 , 154 231	201	إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف	18
240	202	وإخوانهم يمدونهم في الغي	19

سورة الأنعام

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
127	43	فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا	1
136	68	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا	2
222	71	قالوا أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا	3
127	108	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله	4
, 43 , 13 , 12 116 , 115 94	112	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن	5
63	116	وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك	6
115 , 83 , 82	121	ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه	7
240 , 69 , 61	128	ويوم يحشرهم جميعاً	8
127	137	وكذلك زين لكثير من المشركين قتل	9

		أولادهم شركاؤهم	
--	--	--------------------------	--

سورة الأنفال

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
132	47	ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطلاً	1
, 119 , 31 , 23 134 , 132	48	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم	2

سورة التوبة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
178	31	اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً	1
169	32	يريدون أن يطفئوا نور الله	2
217	65	ولئن سألتهم ليقولن	3
217	66	لا تعتذروا قد كفرتم	4

سورة یونس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وقال الذين لا يرجون لقاءنا	15	45
2	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم	62	51
3	الذين آمنوا وكانوا يتقون	63	51

سورة یوسف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	قال يا بني لا تقصص رؤياك	5	201 , 42 , 39
2	وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما	42	138
3	وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي	100	149
4	وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	103	63

سورة إبراهيم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وقال الشيطان لما قضي الأمر	22	, 135 , 88 , 32 225

سورة الحجر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ولقد خلقنا الإنسان من صلصال	26	22
2	والجان خلقناه من قبل من نار السموم	27	22
3	قال لم أكن لأسجد لبشر	33	25
4	وإن عليك اللعنة	35	219 , 29

128 , 89 , 76 242	39	قال رب بما أغويتني	5
224 , 128 , 89	40	إلا عبادك منهم المخلصين	6
89	42	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان	7
225	43	وإن جهنم لموعدهم أجمعين	8

سورة النحل

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
134	38	وأقسموا بالله جهد أيمانهم	1
129	63	تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك	2
230 , 88 , 28 234 , 231 242	98	فإذا قرأت القرآن	3
242 , 234 , 88	99	إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا	4
242 , 234 , 88	100	إنما سلطانه على الذين يتولونه	5

سورة الإسراء

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
235 , 201 237	53	وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن	1
25	61	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم	2
65 , 36 , 29 164	62	قال أرايتك هذا الذي كرمت علي	3
164 , 36	63	قال اذهب فمّن تبعك منهم	4
211 , 134	64	واستفزز من استطعت منهم بصوتك	5
45	73	وإن كادوا ليفتنونك	6

45	74	ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن	7
31	81	وقل جاء الحق وزهق الباطل	8

سورة الكهف

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
87	2	قيماً لينذر بأساً	1
136	24	واذكر ربك إذا نسيت	2
136	73	قال لا تؤاخذني بما نسيت	3

سورة مريم

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
52 , 27	44	يا أبت لا تعبد الشيطان ...	1
28	46	قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ...	2
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
224 , 20	68	فوربك لنحشرنهم والشياطين ...	3
149	83	ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ...	4

سورة طه

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
29	24	إذهب إلى فرعون إنه طغى	1
30	81	كلوا من طيبات ما رزقناكم	2
136	115	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي	3
220 , 40 , 39	117	فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك.....	4
220 , 40 , 39	118	إن لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى	5

220, 40, 39	119	وأنت لاتظموا فيها ولا تضحى	6
, 111, 109 124	120	فوسوس إليه الشيطان	7
160	121	فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما	8
220	123	قال اهبطا منها جميعاً	9
220	124	ومن أعرض عن ذكرى	10

سورة الحج

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
81	3	ومن الناس من يجادل في الله بغير علم	1
85	4	كتب عليه أنه من تولاه	2
85	5	يا أيها الناس إن كنتم في ريب	3
85	6	ذلك بأن الله هو الحق	4
85	7	وأن الساعة آتية لا ريب فيها	5
48, 46, 44	52	وما أرسلنا من قبلك من رسول	6

سورة المؤمنون

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
231, 146	97	وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين	1
231, 146	98	وأعوذ بك رب أن يحضرون	2

سورة النور

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
163	21	يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا	1
175	49	وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين	2

175	50	أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا	3
-----	----	------------------------------------	---

سورة الفرقان

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
239 , 120	27	ويوم يعض الظالم على يديه	1
225 , 219	28	يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً	2
225 , 219 , 32	29	لقد أضلني عن الذكر	3
43	31	وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً	4

سورة الشعراء

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
226	94	فكذبوا فيها هم والغاوون	1
226	95	وجنود إبليس أجمعين	2
226	96	قالوا وهم فيها يختصمون	3
226	97	تالله إنا كنا لفي ضلال مبين	4
226	98	إذ نسوبكم رب العالمين	5
226	99	وما أضلنا إلا المجرمون	6
226	100	فما لنا من شافعين	7
226	101	ولا صديق حميم	8
226	102	فلو أن لنا كرة	9
180	153	قالوا إنما أنت من المسحرين	10
238 , 78	221	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين	11

		
238 , 78	222	تنزل على كل أفك أئیم	12

سورة النمل

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
26	14	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ...	1
168 , 128	24	وجدتها وقومها يسجدون للشمس ...	2
80	65	قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله	3

سورة القصص

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
187 , 42	15	ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها	1

سورة العنكبوت

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
, 131 , 130 167	38	وعاداً وثمرود وقد تبين لكم	1

سورة الروم

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
198	30	فأقم وجهك للدين حنيفاً	1

سورة لقمان

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
225 , 169	21	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	1

سورة السجدة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
69	13	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها	1

سورة الأحزاب

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	قالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا	67	240

سورة سبأ

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	يعملون له ما يشاء من محارِب	13	67
2	ولقد صدق عليهم إبليس ظنه	20	أ ، 65 ، 67 ، 68
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
3	وقال الذين كفروا لن نُؤمن بهذا القرآن	31	240
4	قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم	41	55
5	قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد	49	31

سورة فاطر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً	6	أ ، 40 ، 169

سورة يس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ألم أعهد إليكم يا بني آدم	60	245 ، 54
2	وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم	61	245
3	ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً	62	70

سورة الصافات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وحفظاً من كل شیطان مارد	7	15
2	احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ...	22	21
3	أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم	62	183
4	إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم	64	24
5	طلعها كأنه رؤوس الشياطين	65	24

سورة ص

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	واذكر عبدنا أيوب	41	153
2	قال يا إبليس ما منعك	75	25
3	قال أنا خير منه	76	37 , 25
4	وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين	78	29
5	قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين	82	164 , 65
6	إلا عبادك منهم المخلصين	83	164 , 65

سورة فصلت

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وقيضنا لهم قرناء	25	240 , 130
2	ولا تستوي الحسنة ولا السيئة	34	236 , 149
3	وما يلقاها إلا الذين صبروا	35	236 , 149
4	وإما ينزغناك من الشيطان نزغ	36	, 230 , 149 236

سورة الزخرف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ومن يعيش عن ذكر الرحمن	36	19 , 20 , 21 , 168
2	وإنهم ليصدونهم عن السبيل	37	168 , 19
3	حتى إذا جاءنا قال	38	20

سورة الجاثية

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وترى كل أمة جاثية	28	224

سورة محمد

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	إن الذين ارتدوا على أدبارهم	25	76 , 126 , 140
2	ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا	26	77

سورة ق

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ولقد خلقنا الإنسان ونعلم	16	115

سورة النجم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	وما ينطق عن الهوى	3	45
2	إن هو إلا وحي يوحى	4	45

سورة الرحمن

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	خلق الإنسان من صلصال كالفخار	14	22
2	وخلق الجان من مارج من نار	15	22

سورة المجادلة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى	8	214
2	إنما النجوى من الشيطان	10	213
3	استحوذ عليهم الشيطان	19	, 221 , 135 234 , 222
4	ألم تر إلى الذين نافقوا	11	73
5	كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر	16	100 , 32
6	فكان عاقبتهما أنهما في النار	17	226 , 100

سورة الملك

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح	5	127

سورة الحاقة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
1	ولو تقول علينا بعض الأقاويل	46	45
2	لأخذنا منه باليمين	47	45
3	ثم لقطعنا منه الوتين	48	45

سورة الجن

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
120	4	وأنه كان يقول سفيها على الله شططاً	1
87 , 62	6	وأنه كان رجال من الإنس	2

سورة القيامة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
137	16	لا تحرك به لسانك لتعجل به	1
137	17	إن علينا جمعه وقرآنه	2

سورة النازعات

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
30	37	فأما من طغى	1
30	38	وأثر الحياة الدنيا	2
30	39	فإن الجحيم هي المأوى	3

سورة البينة

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
73	5	إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين	1

سورة العلق

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
29	6	كلا إن الإنسان ليطغى	1

سورة الناس

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
109 , 14 , 112	4	من شر الوسواس الخناس	1
109 , 14 , 112	5	الذي يوسوس في صدور الناس	2
14	6	من الجنة والناس	3

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث
83	1. أتى ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، أأأكل ما نقتل
56	2. أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي صليب من ذهب
189	3. اجتنبوا السبع الموبقات
233	4. إذا أوى الرجل إلى فراشه أتاه ملك وشيطان
232	5. إذا سمعتم صياح الديكة
24	6. إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز
198	7. ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم
12	8. أن أبا ذر كان يوماً يصلي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم
234	9. إن إبليس قال لربه بعزتك وجلالك
208	10. إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها
167	11. إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه
152 ، 155	12. إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم
204	13. أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة تصنع
137	14. أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سها في الصلاة
45	15. أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن
71	16. تحاجت الجنة والنار

186	17. تعس عبد الدينار وعبد الدرهم
155	18. جاءت امرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وبها طيف فقالت
	19. خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارح من نار ...
200	20. رأيت في يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الميسم ...
رقم الصفحة	طرف الحديث
223	21. كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين
110 ، 236	22. كان رسول الله معتكفا فأتته أزوره
232	23. كان نبي الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل الخلاء
203	24. كل مسكر خمر
195	25. كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة
187	26. لا تقتل نفس ظلما
235	27. لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح
199	28. لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات
232	29. لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله
138	30. لو لم يقل يعني يوسف الكلمة التي قال
184	31. من أتى عرافا فسأله عن شيء
80	32. من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد
194	33. من سيدكم يا بني سلمة ؟
51	34. من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة
238	35. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره

145	36. نفت روح القدس في روعي أن نفسا لن تخرج من الدنيا ...

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

- 1- إبليس ، عباس محمود العقاد ، دار نهضة مصر للطبع - الفجالة ، بدون تاريخ .
- 2- أحكام القرآن ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، المتوفى سنة 370 هـ ، ضبط نصه وخرج آياته عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى 1415 هـ - 1994 م .
- 3- أحكام القرآن ، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، المتوفى سنة 543 هـ ، تحقيق علي محمد البيجاوي ، دار الجيل - بيروت ، طبعة جديدة فيها زيادة شرح وضبط وتحقيق 1408 هـ - 1988 م .
- 4- إحياء علوم الدين ، الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، المتوفى سنة 505 هـ دار الوثائق - القاهرة ، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م .
- 5- الأدب المفرد ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، المتوفى سنة 256 هـ علق عليه الألباني ، دار الصديق ، الطبعة الثانية 1421 هـ - 2000 م .
- 6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، قاضي القضاة الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، المتوفى سنة 951 هـ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الرابعة 1414 هـ - 1994 م .
- 7- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر - القاهرة ، الطبعة الثالثة 1991م .
- 8- إصابة السهام فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام ، للشيخ محمود محمد أحمد خطاب السبكي ، بدون تاريخ .
- 9- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني المالكي ، المتوفى سنة 1393 هـ ، وتكملته لتلميذه عطية محمد سالم ، طبعة جديدة منقحة ومصححة اعتنى بها الشيخ صلاح الدين العلايلي ، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي - بيروت ، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م .
- 10- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الخامسة 1980 م .
- 11- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة 751 هـ ، حققه وكتب هوامشه محمد تحامد الفقي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1412 هـ - 1992 م .
- 12- إلى الذين أسرفوا على أنفسهم ، عائض بن عبد الله القرني ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م .
- 13- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، الطبعة الثانية 1407 هـ - 1987 م .

- 14- الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار علي جريشة ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة 1411 هـ - 1990 م
- 15- البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، المتوفى سنة 754 هـ ، طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل ، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1412 هـ - 1992 م .
- 16- بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة وتقديم الأستاذ عباس محمود العقاد ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع - القاهرة ، بدون تاريخ .
- 17- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، المتوفى سنة 817 هـ ، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية - بيروت ، بدون تاريخ .
- 18- بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمغتربين ، الدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة - القاهرة ، 1988 م .
- 19- التحرير والتنوير ، الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس ، بدون تاريخ .
- 20- تزكية النفس ، الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان - عمان ، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م .
- 21- التعريفات ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، المتوفى سنة 1031 هـ ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر - بيروت - دمشق ، الطبعة الأولى 1410 هـ .
- 22- تفسير الشعرواي ، محمد متولي الشعراوي ، راجعه أحمد عمر هاشم ، دار الكتب - القاهرة ، الطبعة الأولى 1991 م .
- 23- تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ، الطبعة الثانية .
- 24- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، المتوفى سنة 747 هـ ، تحقيق مصطفى السيد محمد ومحمد السيد رشاد ومحمد فضل العجماوي وعلى أحمد عبد الباقي ، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م .
- 25- تفسير القرآن العظيم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم ، المتوفى سنة 327 هـ ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز ، مكتبة نزار الباز - مكة المكرمة ، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1997 م .
- 26- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي ، المتوفى سنة 604 هـ ، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م .
- 27- تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت ، 1945 م .

- 28- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، دار الفكر - دمشق ، بدون تاريخ .
- 29- تقريب تهذيب الكمال ، أحمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة 852 هـ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1416 هـ .
- 30- تلبیس إبلیس ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي ، المتوفى سنة 597 هـ ، حققه وعلق عليه أيمن صالح شعبان ، دار الحديث - القاهرة ، 1424 هـ - 2003 م .
- 31- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي ، المتوفى سنة 1137 هـ ، اختصار خادم الكتاب والسنة الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القلم - دمشق ، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م .
- 32- تهذيب تهذيب الكمال ، أحمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة 852 هـ ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م .
- 33- التوجيه الإسلامي للشباب ، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ، الدين وحماية الشباب من الانحراف السلوكي والفكري ، الأستاذ محمد خلف الله أحمد ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، 1391 هـ - 1971 م .
- 34- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المتوفى سنة 1376 هـ ، دار الحديث - القاهرة ، 1422 هـ - 2002 م .
- 35- الثبات عند الممات ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، المتوفى سنة 597 هـ ، حققه على مخطوطتين ومطبوعتين المعتصم بالله أبو هريرة مصطفى بن علي بن عوض ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى 1413 هـ - 1993 م .
- 36- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة 310 هـ ، اعتنى بتصحيحه وفهرسته مكتبة التحقيق والإعداد العلمي بدار الأعلام ، دار ابن حزم - دار الأعلام ، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002 م .
- 37- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، إعداد المكتب الثقافي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987 م .
- 38- الجواب الكافي فيمن سأل عن الدواء الشافي - الداء والدواء ، للإمام ابن قيم الجوزية المتوفى سنة 751 هـ ، اعتنى به وراجعته عبد الكريم الفيضلي ، المكتبة العصرية بيروت ، 1423 هـ - 2002 م .
- 39- الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات ، طنطاوي جوهرى ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، 1974 .
- 40- الحجاب ، أبو الأعلى المودودي ، دار التراث العربي للطباعة والنشر - ميدان المشهد الحسيني - القاهرة ، بدون تاريخ .

- 41- حزب الله في مواجهة حزب الشيطان ، المهندس وائل عثمان ، تقديم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي ، الطبعة الثالثة بدون تاريخ .
- 42- الدر المثور في التفسير المأثور ، الإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ ، ضبط النص وتصحيحه وإسناد الآيات ووضع الحواشي والفهارس بإشراف دار الفكر ، دار الفكر ، 1423 هـ - 2002 م .
- 43- دراسات في القصص القرآني - مقاصده وأغراضه ودفع الشبهات عنه ، عبد المنعم القصاص ، دار الطباعة المحمدية - القاهرة ، 1992 م .
- 44- دَرَّةُ الناصحين في الوعظ والإرشاد ، عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخويري ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، بدون تاريخ .
- 45- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، المتوفى سنة 1270 هـ ، قرأه وصححه محمد حسين العرب بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، بدون تاريخ .
- 46- زاد المسير في علم التفسير ، الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي البغدادي ، المتوفى سنة 597 هـ ، المكتب الإسلامي - دار ابن حزم الطبعة الأولى الجديدة 1423 هـ - 2002 م .
- 47- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية 1415 هـ - 1995 م .
- 48- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الثانية 1986 م .
- 49- شبهات حول الإسلام ، محمد قطب ، دار الشروق - بيروت ، الطبعة الحادية عشرة 1978 م .
- 50- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ، محمد علي الصابوني ، المؤلف - بيروت ، 1980 م .
- 51- شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، حققه وراجعها جماعة من العلماء وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثامنة 1404 هـ - 1974 م .
- 52- الصارم البتار في التصدي للسحرة والأشرار ، وحيد عبد السلام بالي ، مكتبة الصحابة جدة ، الطبعة الأولى 1412 هـ .
- 53- صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، المتوفى سنة 354 هـ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الثانية 1414 هـ - 1993 م .

- 54- صحیح الجامع الصغیر وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة 1408 هـ - 1988 م .
- 55- صحیح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة 1422 هـ - 2002 م .
- 56- صحیفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم ، اعتنى بها وحققها وخرجها راشد عبد المنعم الرجال ، مكتبة السنة ، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م .
- 57- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الداودي ، تحقيق سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم - السعودية ، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1997 م .
- 58- عالم الجن والشیاطين ، الدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع - عمان ، الطبعة العاشرة 1417 هـ - 1997 م .
- 59- العوائق ، محمد أحمد الراشد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الثانية عشرة 1988 م .
- 60- غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة ، للشيخ القاضي بدر الدين بن عبد الله الشبلي ، تحقيق وتعليق إبراهيم محمد الجمل ، مكتبة القرآن - القاهرة ، بدون تاريخ .
- 61- فتح الباري بشرح صحیح البخاري ، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هـ ، راجعه قصي محب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الريان للتراث - القاهرة ، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1986 م .
- 62- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، رئاسة إدارة البحوث العلمية - السعودية ، بدون تاريخ .
- 63- الفقه الإسلامي وأدلته ، الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر - دمشق ، الطبعة الثالثة 1409 هـ - 1989 م .
- 64- في ظلال القرآن ، بقلم سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الثالثة عشرة 1407 هـ - 1987 م .
- 65- كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، المتوفى سنة 175 هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ .
- 66- الكتاب المقدس ، كتب العهد القديم والعهد الجديد ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .
- 67- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، المتوفى سنة 538 هـ ، دار المعرفة - بيروت .
- 68- لباب النقول في أسباب النزول ، العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911 هـ ، خرج أحاديثه أبو عبد الله محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002 م .

- 69- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، المتوفى سنة 711 هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الأولى 1410 هـ - 1990 م .
- 70- مجمل اللغة ، لابن فارس ، المتوفى سنة 395 هـ ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية 1406 هـ - 1986 م .
- 71- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب الفقير إلى الله عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد وفقهما الله ، مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر كتب السلفية ، بدون تاريخ .
- 72- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، وقف على طبعه وصححه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبد الباقي ، ، دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ .
- 73- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الإمام أبو محمد عبد الحق بن غانم بن عطية الأندلسي ، المتوفى سنة 546 هـ ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، طبعة محققة عن نسخة أيا صوفيا - إسطنبول رقم 119 ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001 م .
- 74- المحيط في اللغة ، كافي الكفاة صاحب بن عباد ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الأولى 1414 هـ - 1994 م .
- 75- مختار الصحاح ، الإمام محمد بن أبي بكر الرازي ، دار الفكر - بيروت ، بدون طبعة .
- 76- مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد ، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة 852 هـ ، تحقيق صبري عبد الخالق أبو ذر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1992 م .
- 77- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن بكر بن القيم ، دار الكتاب العربي للطباعة - بيروت ، 1972 م .
- 78- المرأة المسلمة (رسائل) المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم ، الدكتور عمر سليمان الأشقر خرج أحاديثه وراجعه محمد ناصر الدين الألباني ، دار الجيل - بيروت الطبعة الثانية 1408 هـ - 1988 م .
- 79- المستخلص في تزكية الأنفس ، سعيد حوى ، دار القبس - بيروت ، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م .
- 80- المستدرک على الصحيحين ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المتوفى سنة 405 هـ ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1990 م .
- 81- مسند أحمد ، الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، المتوفى سنة 241 هـ ، مؤسسة قرطبة - القاهرة ، بدون تاريخ .

- 82- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، محمد الفيومي ،
المطبعة العلمية ، الطبعة الأولى 1315 هـ .
- 83- معارج التفكير ودقائق التدبير ، عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني ،
دار القلم - دمشق الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م .
- 84- معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، أبو محمد الحسين بن مسعود
الفراء البغوي ، المتوفى سنة 510 هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع ، إعادة النشر 1405 هـ - 1985 م .
- 85- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ،
المتوفى سنة 360 هـ ، حققه حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة
العلوم والحكم - الموصل ، الطبعة الثانية 1404 هـ - 1983 م
- 86- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ،
دار الحديث - القاهرة 1414 هـ - 1994 م .
- 87- معجم المقاييس في اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
، المتوفى سنة 395 هـ ، حققه شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية 1418 هـ - 1998 م .
- 88- المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، أسئلة أجاب
عليها فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ، (د. ن.) للطباعة والنشر -
فلسطين ، 1996 م .
- 89- مفاتيح الخير والشر ، سلمان نصيف الدحدوح ، دار البشائر
الإسلامية - بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م .
- 90- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم حسين بن محمد
المعروف بالراغب الأصفهاني ، المتوفى سنة 502 هـ ، تحقيق
وضبط محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة - بيروت ، بدون تاريخ .
- 91- مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية والرد على ما أثير من
شبهات حول حجيتها وروايتها ، علي الخفيف ، مجلة الأزهر - القاهرة ،
1999 م .
- 92- من كنوز القرآن السحر في القرآن العظيم ، عبد المنعم الهاشمي ،
دار ابن حزم - بيروت ، الطبعة الثانية 1419 هـ - 1989 م .
- 93- مناهل العرافان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ،
دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى 1416 هـ - 1996 م .
- 94- مواعد للإمام سفيان الثوري ، قام بجمعها صالح أحمد الشامي ،
المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م .
- 95- مواعد للإمام مالك بن دينار ، قام بجمعها صالح أحمد الشامي ،
المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى - 1419 هـ - 1998 م .
- 96- موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة ، بإشراف ومراجعة
صالح بن عبد العزيز ابن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، دار السلام
للنشر والتوزيع - الرياض ، الطبعة الثالثة 1421 هـ - 2000 م .
- 97- نحو علم نفس إسلامي ، الدكتور حسن محمد الشرقاوي ، تقديم
الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور مصطفى محمود ، مؤسسة
شباب الجامعة - الإسكندرية ، 1984م .

- 98- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، المتوفى سنة 885 هـ ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى 1415 هـ - 1995 م .
- 99- النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المصري ، المتوفى سنة 450 هـ ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، بدون تاريخ .
- 100- الوابل الصيب من الكلم الطيب ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد بن خريز بن مكى الدمشقي ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة 751 ، مطابع المختار الإسلامية - القاهرة ، الطبعة الخامسة 1400

الدوريات

- 101- مجلة هدى الإسلام، العدد الرابع ، السنة الرابعة ، ربيع الآخر 1406 هـ - كانون الأول 1985 م .
- 102- مجلة السنة ، العدد 9 - 10 ، 1411 هـ - 1991 م .
- 103- مجلة الأزهر العدد 5 - 6 ، جمادى الأولى - جمادى الآخرة 1403 هـ - فبراير مارس 1983 م .
- 104- مجلة منبر الإسلام ، العدد 2 ، السنة 56 ، صفر 1418 هـ - يونيو 1997 م .
- 105- مجلة البيان ، العدد 162 ، السنة السادسة عشرة ، صفر 1422 هـ - مايو 2001 م .
- 106- موقع دائرة الآداب والأفلام بالمجلس البريطاني على الإنترنت - <http://www.contemporarywriters.com/authors/?p=auth87#top>
- 107- موقع موسوعة إنكارتا على شبكة الإنترنت <http://welfare.nashiri.net/durkheim.htm>
- 108- موسوعة العقائد والأديان على شبكة الإنترنت - www.aklaam.net/ency/encfroid.htm .

رابعاً : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
د	المقدمة
1	الفصل الأول : الشيطان تعريفه ونظائره وصفاته
2	المبحث الأول : تعريف لفظه الشيطان ونظائرها
2	المطلب الأول : تعريف لفظه الشيطان
2	تعريفها لغة
4	بين العربية وغيرها من اللغات
5	تعريف لفظه الشيطان في مفهوم الشرع
6	المطلب الثاني : تعريف نظائر لفظه الشيطان
6	لفظة إبليس لغة
6	في مفهوم الشرع
6	لفظة الطاغوت لغة
7	في مفهوم الشرع
8	المبحث الثاني : لفظه الشيطان ونظائرها في السياق القرآني
8	لفظة الشيطان في السياق القرآني
8	لفظة الطاغوت في السياق القرآني
9	لفظة إبليس في السياق القرآني
9	لطائف مستنبطة مما سبق
12	المبحث الثالث : أصناف الشيطان وصفاته
12	المطلب الأول : أصناف الشيطان

14	مردة الشياطين
15	الطاغوت
18	أنواع الطواغيت
19	القرين
20	مصير القرناء في الآخرة
21	المطلب الثاني : صفات الشياطين
الصفحة	الموضوع
21	الصفات الخلقية
22	شیطان الجن مخلوق من نار
22	طبيعة شياطين الجن لا ترى للإنس
23	قبح صورة الشيطان
24	الصفات المعنوية
24	الاستكبار والكفر
26	جزاء المتكبرين
27	معصية الله
27	اللعن والرجم
29	بعض اللطائف حول الآيات
29	الطغيان ومجاوزة الحد
30	الضعف أمام الحق
31	خذلان أتباعه

31	الصورة الأولى
32	الصورة الثانية
33	تعليق على هذه الصفات
34	الفصل الثاني : عداوة الشيطان وأولياؤه
35	المبحث الأول : العداوة بين الشيطان والإنسان
35	المطلب الأول : الاستكبار والعلو أصل العداوة بين إبليس وآدم وذريته
37	المطلب الثاني : عداوة الشيطان وذريته للبشر
37	بيان شدة تلك العداوة والتحذير منها
40	موقف المؤمنين من تلك العداوة
42	المطلب الثالث : الشيطان ألد أعداء الأنبياء
43	من لطائف الآية
46	وأما المعقول فمن وجوه
47	ختم الرسالة لم يمنع تلك العداوة
48	التفسير الصحيح
الصفحة	الموضوع
50	المبحث الثاني : أولياء الشيطان
51	المطلب الأول : ولاية الشيطان
52	كيف تحصل ولاية الشيطان
59	ارتباط هذه الظاهرة باليهود
59	أسباب تلك الظاهرة
61	أسباب موالاة الشياطين

63	المطلب الثاني : كثرة أتباع الشيطان في الدنيا والآخرة
64	كثرة أتباع الشيطان في الدنيا
69	كثرة أتباع الشيطان في الآخرة
72	المطلب الثالث : أولياء الشيطان وصفاتهم
72	أولياء الشيطان
74	اليهود
75	المنافقون
78	الكهنة والسحرة والمنجمون شياطين اليوم
79	شياطين اليوم
81	صفات أولياء الشيطان
81	الجدال بالباطل
83	المثل الأول
85	المثل الثاني
86	الاغترار بالباطل
88	الخوف من الشيطان
90	الفصل الثالث : خطوات الشيطان
92	المبحث الأول : الخطوات بين التعريف وبلاغة التعبير
92	أهل اللغة
93	أهل التفسير
95	نظرة في هذه الأقوال

96	وللإجابة على هذه التساؤلات أقول
الصفحة	الموضوع
97	التعبير القرآني "خطوات الشيطان"
101	معنى خطوات الشيطان
102	معنى الخطوات شرعاً
102	بين الخطوات و الغايات
103	التدرج في الغواية
105	نظرات ولطائف في تعريف الخطوات
108	المبحث الثاني : وسائل الشيطان ومداخله إلى النفس
108	المطلب الأول : وسائل الشيطان في خطاب الإنسان
108	الوسوسة
108	الوسوسة عند أهل اللغة
108	هل الوسوسة من الخطوات
110	تعريف الوسوسة: وكيفيةها
111	آراء علماء النفس الإسلامي في معنى الوسوسة
112	هل تقتصر الوسوسة على شياطين الجن
112	الوسوسة والإرادة
115	علاج الوسواس
115	الإيحاء

115	الإیحاء لغة
117	نظرات ولطائف في وحي الشيطان
119	الخطاب الصريح
121	المطلب الثاني : مداخل الشيطان إلى النفس
122	النظرة القرآنية
123	الكبر والعجب
123	حبُّ الخلود
124	حبُّ المُلْك
125	المبحث الثالث : الخطوات المنهجية للشيطان
125	المطلب الأول : تزيين العمل وتسويله
الصفحة	الموضوع
125	التزيين والتسويل لغة
128	محاور التزيين
129	تزيين الدنيا والتنفير من الحق
131	لطائف في تزيين الشيطان
132	الكذب
133	الحلف والوعد الكاذب
135	المطلب الثاني : الإنساء
136	في الآية إشكال
139	الإنساء في عصرنا الحاضر
139	المطلب الثالث : التمنية والإملاء

142	المطلب الرابع : التخويف من الفقر والموت
142	التخويف من الفقر
143	التخويف من الموت
145	لطائف اجتماعية في هذه الخطوة
146	المطلب الخامس : النزغ والمس
146	النزغ
146	مفهوم الهمز في كتاب الله
148	مفهوم النزغ في كتاب الله
149	مفهوم الأز في القرآن الكريم
151	استنباطات مهمة
152	المس
153	المسُّ النفسي
153	المس الجسدي
155	المس والخطوات
156	المس وشياطين الإنس
157	الفصل الرابع : غايات الشيطان
158	المبحث الأول : تعريف الغايات
الصفحة	الموضوع
158	المطلب الأول : تعريف الغايات في اللغة والشرع
158	في اللغة
158	في الشرع

159	المطلب الثاني : الزلل
161	المبحث الثاني : غايات عامة
161	المطلب الأول : السوء والفحشاء والمنكر
164	المطلب الثاني : إيقاع الناس في الكفر
166	المطلب الثالث : الصد عن سبيل الله
168	مشاهد من الواقع
169	المطلب الرابع : إبعاد أعدائه عن الجنة
171	المبحث الثالث : غايات فرعية
171	المطلب الأول : إيقاع الناس في الكفر
171	التحاكم إلى الطاغوت
173	واقع العالم اليوم في ظل هذه الغاية
175	القول على الله بغير علم
177	ارتباط هذه الغاية باليهود
178	السحر
178	السحر في اللغة والاصطلاح
178	في اللغة
179	في الاصطلاح
179	السحر والشیطان
180	السحر واليهود
181	السحر والكفر

182	مضار السحر
182	من لطائف هذا المطلب
183	المطلب الثاني : إيقاع الناس في المحرمات
183	الاستقسام بالأزلام (التنجيم) (
الصفحة	الموضوع
185	صور الاستقسام بالأزلام اليوم
185	الصد عن الصلاة وذكر الله
186	بغير الحق
188	التولي يوم الزحف
190	كسب المال وإنفاقه بالحرام
191	غاية خطيرة في زمان الأموال
192	البخل والإسراف
193	البخل وعدم الإنفاق
194	التبذير والإسراف
194	التبذير والإسراف لغة
196	بين البخل والتبذير
196	تغيير خلق الله
197	المسألة الأولى : تبتيك أذان الأنعام
197	المسألة الثانية : تغيير خلق الله
198	مراد الشيطان من تغيير خلق الله

200	المطلب الثالث : تمزيق المجتمعات
201	الكيد وإيقاع العداوة بين الناس
202	شرب الخمر
203	الخمر في عصرنا الحاضر
204	لعب الميسر
205	كشف العورات
207	الشیطان والمرأة
210	واقع المسلمين في ظل هذه الغاية
211	الزنا والتبني
213	التناجي بالإثم
215	التناجي بالإثم في عصرنا الحاضر
216	الاستهزاء بالمؤمنين
الصفحة	الموضوع
219	الفصل الخامس : عواقب اتباع الشيطان ووسائل محاربه
219	المبحث الأول : عواقب اتباع الشيطان
219	المطلب الأول : عواقب الشيطان وأتباعه في الدنيا
220	الشقاء وخسران الدنيا
222	الحيرة والتخبط
223	المطلب الثاني : عاقبة الشيطان وأتباعه في الآخرة
223	أتباع الشيطان يُحشرون معه يوم القيامة
224	تبرأ إبليس من أتباعه يوم القيامة

225	دخول الشيطان وأولياؤه النار
228	المبحث الثاني : وسائل محاربة الشيطان
229	المطلب الأول : وسائل الوقاية من خطوات الشيطان وغاياته
229	الاستعاذة بالله
230	استمرارية هذا الدواء
231	مواطن الاستعاذة
233	تعليق على هذا الدواء
234	الاستعاذة وذكر الله
235	قول الحق والخير
237	المجتمع وهذه الوسيلة
238	اجتناب كل ما يجلب الشيطان
238	اجتناب الإفك والإثم
239	اجتناب قرناء السوء
241	ضرورة هذا السلاح
241	المطلب الثاني : وسائل محاربة الشيطان وولايته
241	التبرؤ من الشيطان والإيمان بالرحمن
243	قتال أولياء الشيطان
244	مكانة هذه الوسيلة في يومنا الحاضر
245	كشف مخططات الشيطان
الصفحة	الموضوع

245	الخاتمة
	..
252	التوصيات
	..
254	فهرس الآيات القرآنية
267	فهرس الأحاديث النبوية
269	فهرس المصادر والمراجع
279	فهرس الموضوعات

The conclusion
The Satan, his footsteps & aims- a Quoranic subjective study

:Chapter 1: the Satan: his definition, synonyms & descriptions

:The Results

- 1 The word Satan & its synonyms (Transpassing Satan, devil) are mentioned 108 times in the Quoranic context which refers to the importance of this subject
- 2 The transpassing Satan is a type of Satans who is specialized in persuading the god privacy of legislation & judgment
- 3 Satans equally exist within the Jinn & men, but they are sorted into normal Satans, rebellious Satans, transpassing Satans
- 4 Satans are created from fire; this material makes their nature invisible for humans & terrifying in same time
- 5 The Quoranic expressions tend always to join Satans to awful things in the humans' minds to warn them from them
- 6 Prejudice came on the top of vices which caused devil to disbelieve in god & then to be cursed & expelled from God's mercy, this atrocious pride pushed devil & his followers to be disobeyers, suppressors, but so weak in front of the right & so forsakers for their followers

Chapter2: the aggression & followers of Satan

:The results

- 1 The arrogance of devil started an unlimited aggression between him & his followers from a side & Adam & his sons from the other side; this hatred was deepened upon time to enclose all the non devil followers among Jinn & men
- 2 The prophets who convey the communications of god were the first to be attacked fiercely by Satans which bored their aggression on them
- 3 This war against prophets didn't stop with the termination of prophecy, but it continued to be a war against the communications conveyed by them
- 4 The disciple of Satan is that who loves him & fights for his domination, this disciple can be a Satan if he devotes himself to make as the Satans do of straying others
- 5 Satan worshipping or "Satanism" isn't devoted on a certain sect or religion, but every one who does what the Satan wants him to do

& supports him on mischief is considered as a Satan worshipper,
so Jews were known among their history that they are the more to
.worship Satan

Unfortunately Satan followers are so plenty in this world& in the -6
.hereafter

The disbelievers, the Jews, the hypocrites, the sorceress, and the -7
.fortune tellers are the most approach disciples of Satan

The argument for error, the deception by false & fearing the Satan -8
.are descriptions for the Satan followers

Chapter3: the footsteps of Satan :The results

The expression “the Satan footsteps” is a rhetoric Quoranic -1
expression which doesn’t only mean perpetrating the sin, but it
passes this meaning to cover all the stages of sin beginning of its
whispers within the mind & ending with the major sin which is
.leaving this life with a disbelieving heart

Satan leads a very malicious snaky method in pulling the legs of -2
his enemies into his trap, as he follows very slow gradual weapons
.which lead one to an other with no since of people

This maliciousness pushed a lot of psychologists to yield for the -3
considering them as suppressive, but Quoran affirms whispers of
.that those whispers are so fable in front of strong belief in god

One of the dangerous satanic methods in straying his enemies are -4
these chanted words & ideologies through the books of the
.different eras

Decorating the evilness to appear goodness by using all possible -5
.false promises is the most dangerous footsteps for the Satan

Satan tends to plant the compassion of immortality & treasure in -6
.the week soles of his enemies

These two delicious lies lead to the purpose of Satan that tends to -7
frighten people & prevent them from striving in the cause of god
& spending their property in his way

Anger comes upon the dangerous Satan footsteps, because it -8
.outrages the man of his sense, and then rushes him into bad deeds

Chapter4: the aims of Satan :The results

Aims of Satan come as a part of his footsteps; this stage begins as -1
.the Satan followers fall in sin

- Satan aims through his footsteps to make all of his enemies to fall -2
in evilness, indecency & wrong, then to be unbelievers, who fight
.against right, then finally to be the eternal inmates of hell
- Satan seeks to convert man to unbelief through turning him to his -3
judgment, also through forging lies on god, sorcery & fortune
.telling, while these indecencies have been strictly joined to Jews
- Murdering others with no right, fleeing the army amid the battle -4
.are the aims of Satan
- Satan strives to make man as a money worshipper by pushing him -5
to gain it & spending it in forbidden deeds, while frightening him
.from spending money in the cause of god
- One of the most dangerous Satan aims is to tear societies by -6
alcohols, gambling & by depriving women out of their shyness to
be their apostles to a temptation, seduction, adultery, nakedness
& attributing the sons not to their parents

**Chapter 5: the consequences of following Satan & The means of
fighting him
:The results**

- Quoran clears out the inevitability of Satan followers' punishment -1
.in this life & in the hereafter
- This consequence appears on them in the form of depression, life -2
narrowed down, skepticism, anxieties & insecurity in this life, and
.then they take nothing with them as they leave it
- Satan followers are raised up with him at the Day of Judgment, -3
then ironically he renounces them, then finally they are all to
.gather immortal mates in hell
- Man should begin his war against Satan by the prevent means of -4
.seeking refuge with god & bringing him always to remembrance
- Bringing god to remembrance is disparately important in sweeping -5
away the whispers & suggestions of Satan as Satan sweeps into
the vessels of man while keeping remembering god expels Satan
& choke his passes
- Saying what's better & avoiding what's wrong closes the entries of -6
.Satan to the man
- As Satan worshipping strengthens man should face it with a -7
.stronger weapon which is the belief in god
- Fighting the followers of Satan precises when the danger of those -8
.followers aggravate against the right followers

:The recommendations

:The researcher recommends

- 1 The scholars, the callers for right & the curriculum writers to pay serious attention for the story of Adam & Devil where it has the big role in clearing out how big & clear it is the apprehension between the devil & Adam & his children, so when they realize this apprehension they will avoid splitting in his way
- 2 The writers, the scholars to be accurate in expressing out the idioms which stand for important meanings exploiting the tremendous accurate rich quoranic expressions which cover all the extensions & dimensions of the targeted expression
- 3 The sermons addressors, the teachers, & the goodness callers not to underestimate the cereous consequences of misunderstanding the quoranic expression “the footsteps of Satan” as every one should consider the beginnings & callers of disobedience as dangerous as the sin it’s self
- 4 Finally, I emphasize on the importance of continuing the noble strive against the Zionists in Palestine as it’s the stronger way to suppress the enemies of god, the followers of Satan, especially those Zionist Jews who carries the most dangerous Satan descriptions of forging on god, seeking judgment to the Satan & sorcery